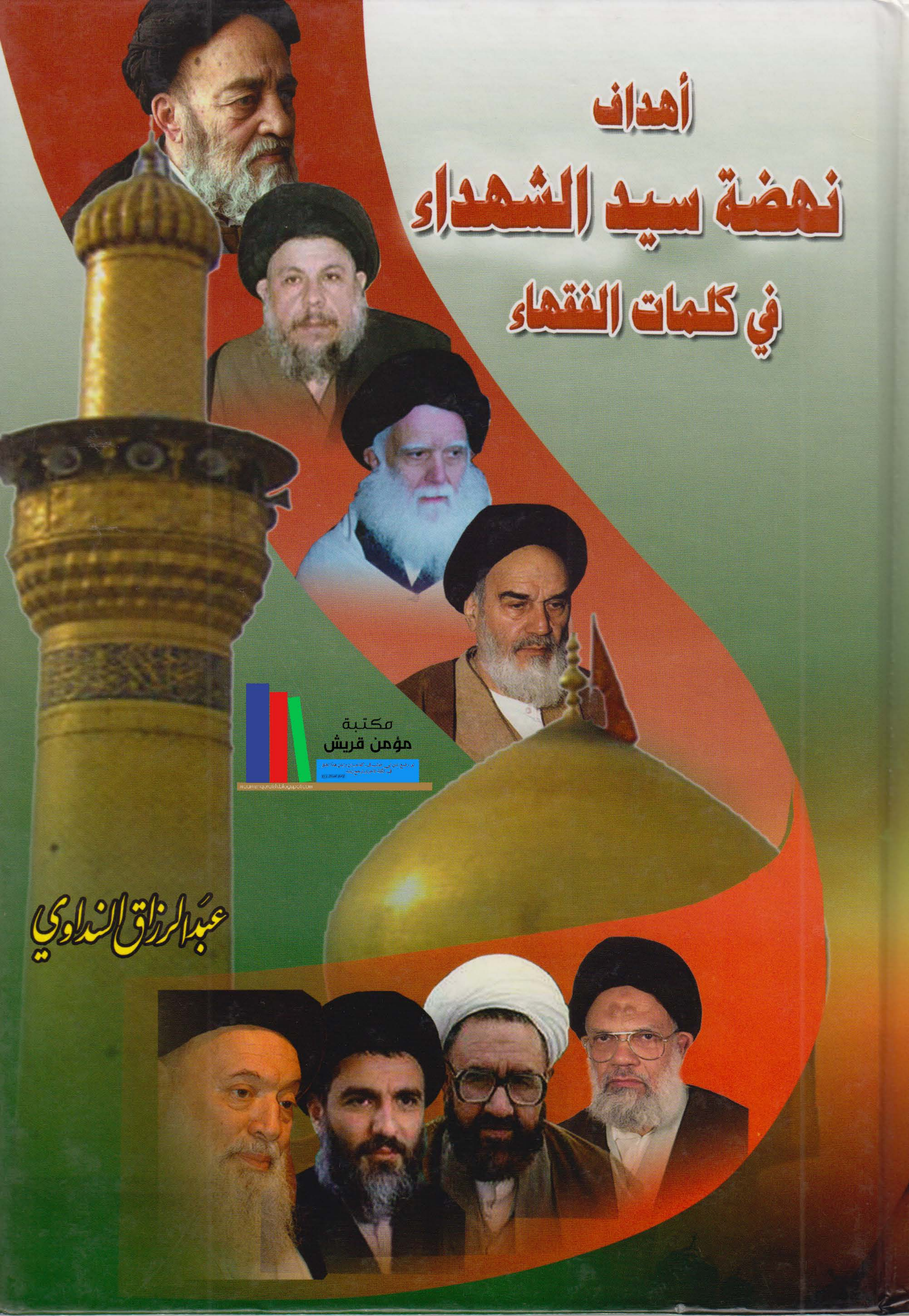

أهداف
نهضة سيد الشهداء
في كلمات الفقهاء
مكتبة
مؤمن قريش
عبد الرزاق النداوي

أهداف
نهضة سيد الشهداء
في كلمات الفقهاء

إصدارات
مركز الدراسات التخصصية
في فكر السيد الشهيد محمد الصدر (قده)
(٢٥)

أهداف
نهضة سيد الشهداء
في كلمات الفقهاء

عبد الرزاق النداوي





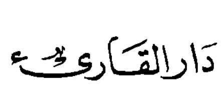
دار القارئ

إصدارات
مركز الدراسات التخصصية
في فكر السيد الشهيد محمد الصدر(قدّس سرّه)
(٢٥)

أهداف
نهضة سيد الشهداء
في كلمات الفقهاء

عبد الرزاق النداوي





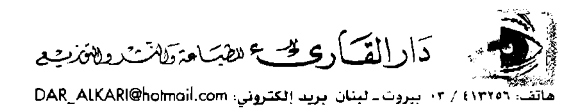


الطبعة الأولى

١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م



مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره



هاتف: ٤١٣٢٥٦ / ٠٣ بيروت ـ لبنان بريد إلكتروني: DAR_ALKARI@hotmail.com

الإهداء

الى المرأة التي علمتني حب آل البيت الأطهار..

وغذتني ولائهم منذ نعومة الأظفار..

وغرست في نفسي عشق سيد الشهداء..

التي مافارق قلبها، ولا لسانها، ولا دمعها، الحسين وكربلا..

اللهم إن كنت قد رضيت هذا العمل، وبواسع رحمتك قبلته، فإني أرجوك أن تبعث بثوابه الى روح والدتي.

وكل رجائي وأملي من كل اللذين يستفيدون من هذه الوريقات أن لا ينسوها بالدعاء والفاتحة...

النداوي

بسمه تعالى

هذا كتاب كريم تفضل به علينا ـ بعد اطلاعه على البحث ـ الشريف الأوحد سيدنا حسنة الوقت، العَلَم الحجة الثّبْت، النسابة السيد عبد الستار الحسني ﴿دامت بركاته﴾، لازال للعلم والأدب مقباسا، وللفضيلة والحسب نبراسا...

وإنه لشرف لي ولأمثالي أن يتفضل علي هذا السيد الجليل ليطوّقني بفضله ويدبّج﴿١﴾ هذه الوريقات بيده بمثل هذه الكلمات التي تنم عن تواضع جم، وعلم وافر. وإليك نص ما قاله مشفوعا بالشكر له:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرمنا بالإقتداء بأئمة الهدى، والصلاة والسلام على أشرف خليقته محمد بن عبد الله وآله الطاهرين هداة الخلق الى نهج الحق الذين جعلهم الله سبحانه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون.

وبعد..

فما زالت قضية الطف موضوعا ثرّا لأنظار المفكرين وأقلام الباحثين لما اصطبغت به من قدسية شاء الله لها أن تتجاوز الآماد، وتخلد في سجل مفاخر الأمجاد.

وقد شاء الله أن يقيّض أقلاما حرة للخوض في بعض فصول هذه الملحمة الخالدة، والكشف عن أسرارها، وسبر﴿١﴾ أسبابها ونتائجها. وإن مما يغبط عليه

﴿١﴾ قال في لسان العرب: الدبج هو النقش والتزيين.

صديقنا الكريم صاحب السماحة والفضيلة خطيب العلماء وعالم الخطباء الأستاذ العلامة النَّداوي دامت إفاضاته وعمَّت إفاداته أن توفَّر على دراسة جانب مهم من هذه القضية ـ إن صح التعبير ـ فسلَّط الأضواء الكاشفة بما أوتي من براعة التحليل، وطول الباع في مثل هذه البحوث الرصينة وغيرها.. كيف لا وهو الخطيب المصقع الذي هو مصداق قول الشاعر:

شرحَ المنبرُ صدراً لتلقّيكَ رحيبا   أترى ضمَّ خَطيباً منْكَ أمْ ضمّخَ طِيْبا

وأشهد للحق أن مولانا العلامة النداوي هو من مفاخر الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ومن أعلام الخطابة المشهود لهم بالبراعة وحسن العرض والتحليل فيما يتناوله من موضوعات حيوية جديرة بالمتابعة.

واليوم قد خرج علينا بهذا البحث الجديد الذي هو في حدود ما أعلم بكر لم يفترع بكارته باحث قبله ـ على هذا النحو الذي تراه بين دفتي هذا الكتاب ـ حيث اقتنص جملة من كلمات أعلام الطائفة المعاصرين وقام باستجلاء أهداف نهضة سيد الشهداء من منظور فقاهي تحليلي.

وغير خفي على المتتبع اللبيب أن الفقهاء هم الفرد الأكمل من نوع المثقفين والمفكرين، وقد يتجلى لهم من الحقائق ما لا يتجلى لمن سواهم وإن كان الأخيرون على جانب من الثقافة والمعرفة.

وقد وفق مولانا المؤلف ـ زيد توفيقه ـ في عرض هذا الموضوع الخليق بالبحث والتنقيب عرضا موعباً[٢]، وسبر[٣] أبعاده سبرا يشهد له بقوة العارضة، وسلامة الذوق، وصحة الإستنتاج من المقدمات الصحيحة.

وبالجملة، وبغية عدم إطالة الحديث عن هذا الجهد المبارك فإن ما دبّجه يراع[١] السيد المؤلف يشهد له بالبراعة والتضلع مما هو بصدد البحث فيه.

﴿١﴾ السبر هو الكشف.

﴿٢﴾ جامعاً.

﴿٣﴾ كشف.

هذا، وأكِل الوقوف على صدق هذه الدعوى على الإطلاع على الكتاب نفسه.

سبوح لها منها عليها شواهد[٢]

وفق الله مولانا المؤلف لخدمة الإسلام والمسلمين، وأخذ بيده لأن يشفع بحثه الرصين هذا بأخوات له تأخذ موضعها اللائق بها من المكتبة الإسلامية، والله الموفق والهادي الى سواء السبيل.

حرره في النجف الأشرف أقل طبلة العلم
عبد الستار الحسني
١٠/ج١/١٤٣٠هـ

﴿١﴾ اليراع هو القلم.

﴿٢﴾ أنظر : موسوعة الشعر والادب الاصدار الخامس، قرص سي دي مدمج، وهو عجز بيت من قصيدة لابي الطيب المتنبي صدره هذا:

وتسعدني في غمرة بعد غمرة ... سبوح ...

المقدمة

الحمد لله العالمين، وصلى الله على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام على الحسين، وعلى حامل لواء الحسين، وعلى أبناء الحسين، وعلى أصحاب الحسين، وعلى أخت الحسين، وعلى السالكين نهج الحسين، ولعنة الله الدائمة على من قتلهم، وخذلهم، ومنعهم حقهم.

-١-

لا إشكال في أن الباحث المنصف إذا أراد أن يستعرض تاريخ البشرية فإنه سيقف طويلا عند حادثة الطّف، ويعتبرها من أعظم حوادث التاريخ، بل لعلها أعظم حادث في تاريخ البشرية على الإطلاق، ومنعطف خطير في تاريخ الإسلام على وجه الخصوص؛ الذي هو بالآخر جزء من تاريخ البشرية، وله انعكاس عليها لا يمكن تجاهله أو تجاوزه.

وقد يتصوّر بعضهم أن هذا الكلام يصدر من منطلق ذاتي، أو نتيجة اندفاع عاطفي. فتاريخ البشرية حافل بالكثير الكثير من الحوادث المهولة والكبيرة[1]، فما

﴿١﴾ ينبغي الإلتفات الى أن الكثير من المفكرين يرون في واقعة الطف أنها أهم حوادث التاريخ البشري، ومنهم السيد الشهيد ﷿ حيث يقول ﷿ : ﴿... جانب الحزن والألم لما أصاب الحسين ﷺ وأهل بيته وأصحابه ونساءه، من بلاء وقتل وتشريد وسبيٍ وإذلال. وهي حادثة بمجموعها تعتبر أعظم ما وقع من البلاء الدنيوي على أي مجموعة أخرى من البشر خلال التاريخ البشري الطويل. ومن هنا كان رد فعلها المأساوي أعظم وأجل من كل حادثة أخرى في العالم مماثلة أو غير مماثلة. ومن هنا قال الشاعر عنها:

وفجائع الأيام تبقى مدة ... وتزول وهي الى القيامة باقية﴾

هو المقياس الذي يجعل من حادثة الطف تتربع على عرش الحوادث والوقائع في طول تاريخ البشرية؟

وللإجابة على هذا السؤال يمكن الإلتفات الى الجهات الآتية.

الجهة الأولى: عظمة شخصية الحسين:

لا إشكال في أن الحسين شخصية استثنائية، يحمل من المميزات ما لا يحمله غيره من أفراد المجتمع المسلم، وأقل ما يقال في حقه:

أولا: انه صحابي؛ لأنه رأى النبي وسمع حديثه.

ثانيا: انه حفيد الرسول صلى الله عليه وآله، وسبطه؛ لأنه عليه السلام ابن ابنته.

ثالثا: انه ابن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو علي أمير المؤمنين عليه السلام.

رابعا: وإذا قلنا إن الحسن عليه السلام يُعدّ الخليفة الخامس ـ من حيث تسلّم السلطة وممارسة الحكم[١] ـ فالحسين بالإضافة الى أنه ابن خليفة هو أخو خليفة أيضا.

خامسا: انه ابن فاطمة الزهراء بضعة الرسول، وسيدة نساء العالمين[٢].

سادسا: كما أنه لا ينبغي الشك في مكانته العلمية، باعتباره من علماء الأمة، والقادة الدينيين، ورواة حديث النبي صلى الله عليه وآله.

سابعا: يضاف الى ذلك قائمة من الأوسمة منحها الرسول الأعظم

انظر: الصدر، محمد، اضواء على ثورة الإمام الحسين، اصدار: مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره، تحقيق وتعليق: الشيخ كاظم العبادي الناصري، ص١١١.

﴿١﴾ لأنه بايعه بعد استشهاد أمير المؤمنين أهل العراق والمدينة ومكة وغيرها من الحواضر، باستثناء الشام؛ لأنها كانت تخضع للحكم الأموي.

﴿٢﴾ رواه البخاري بلفظ: ﴿**سيدة نساء أهل الجنة**﴾. انظر: البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، طبعة بالأوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول ـ ١٤٠١هـ، دار الفكر بيروت، الناشر دار الفكر بيروت، ج٤ص١٨٣، وص٢٠٩، وص٢١٩. ورواه أيضا بلفظ: ﴿سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة﴾، ج٧ص١٤٢.

صلى الله عليه وآله وسلم لحفيده ـ عن جدارة واستحقاق أكيدا ـ منها:

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا[١].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني﴾[٢]. ﴿يعني حسناً وحسيناً﴾.

وقال الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال: ﴿أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم﴾[٣].

وقال الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه حسن وحسين هذا على عاتقه الواحد وهذا على عاتقه الآخر وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله والله إنك تحبهما، فقال: ﴿من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني﴾[٤].

وروى الترمذي عن أنس بن مالك يقول: سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي أهل بيتك أحب إليك، قال: ﴿الحسن والحسين﴾، قال: وكان يقول: ﴿ادع لي ابني فيشمهما ويضمهما إليه﴾[٥].

وقال الإمام أحمد بسنده عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر فيقول: ﴿الصلاة يا أهل البيت ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾﴾[٦]، ورواه الترمذي

﴿١﴾ انظر: البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، طبعة بالأوفسيت عن دار الطباعة العامرة باستانبول ١٤٠١هـ، طبع ونشر دار الفكر ـ بيروت، ج٧ ص٧٤.

﴿٢﴾ الإمام، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ط ـ سنة ـ، طبع ونشر: دار صادر ـ بيروت، ج٢ص٢٨٨.

﴿٣﴾ م ن، ج٢ص٤٤٢.

﴿٤﴾ م ن، ج٢ص٤٤٠.

﴿٥﴾ الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ط الثانية ١٤٠٣هـ، طبع ونشر: دار الفكر ـ بيروت، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان،ج٥ص٣٢٣.

﴿٦﴾ الإمام، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج٣ص٢٥٩، م س.

أيضاً[١].

وفي مسند أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط﴾[٢].

وأخرج الطبراني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم **قال:** ﴿الحسن والحسين سبطان من الأسباط﴾[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة﴾[٤]. ورواه الترمذي من حديث سفيان الثوري، وغيره عن يزيد بن أبي زياد، وقال: حسن صحيح. وأخرجه النسائي من حديث مروان بن معاوية الفزاري به.

وفي الذخائرعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا. يعني الحسين عليه السلام[٥].

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان... إلى أن يقول: أن رجلاً أخبره أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضم اليه حسناً وحسيناً، ويقول: ﴿اللهم إني أحبهما، فأحبهما﴾[٦].

وبسند آخر عن علي عليه السلام **قال:** ﴿دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا نائم، فاستسقى الحسن أو الحسين - يعني طلب الماء- فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

﴿١﴾ في السنن، ج٥ ص٣١.

﴿٢﴾ الإمام، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج٤ ص١٧٢، م س.

﴿٣﴾ الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ط الثانية سنة ـ. دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الناشر: مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ج٣ ص٣٢.

﴿٤﴾الإمام، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج٣ص٣و٦٢و٦٤و٨٤، وج٥ ص٣٩١و٣٩٢، م س.

﴿٥﴾ الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ط ـ ١٣٥٦هـ، المطبعة: عن نسخة دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية، الناشر: مكتبة القدسي ـ لحسام الدين القدسي، ص١٣٠.

﴿٦﴾ الإمام، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج٥ ص٣٦٩، م س.

إلى شاة لنا كي يحلبها فدرّت، فجاءه الآخر فنحاه، فقالت فاطمة: يا رسول الله كأنه أحبهما إليك. قال: لا ولكنه استسقى قبله، ثم قال إني وإياك وهذين وهذا الراقد ـ يعني أمير المؤمنين ـ في مكان واحد يوم القيامة. ورواه أبو داود الصيارفي عن علي عليه السلام أيضاً[1].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في الحسن والحسين عليهما السلام: ﴿.. إنهما فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة وأبوهما خير منهما. ثم قال: والله لأشرفنهما اليوم بما شرفهم الله سبحانه، فخطب فقال: أيها الناس ألا أخبركم بخير الناس جدا وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، جدهما رسول الله وجدتهما خديجة بنت خويلد، ألا أخبركم بخير الناس أبا وأما؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الحسن والحسين، أبوهما علي ابن أبي طالب وأمهما فاطمة بنت محمد. ألا أخبركم أيها الناس بخير الناس عما وعمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال الحسن والحسين، عمهما جعفر ابن أبي طالب، وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب. أيها الناس ألا أخبركم بخير الناس خالا وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، خالهما القاسم بن محمد رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله. ألا إن أباهما في الجنة، وأمهما في الجنة، وجدهما في الجنة، وجدتهما في الجنة، وخالهما في الجنة، وخالتهما في الجنة، وعمهما في الجنة، وعمتهما في الجنة، وهما في الجنة، ومن أحبهما في الجنة، ومن أحب من أحبهما في الجنة﴾[2].

ثامنا: إن الإمام الحسين هو خامس أصحاب الكساء، وآخرهم في هذه الحياة، ووجوده بمثابة التعويض عن فقدهم، ورحم الله القائل:

طلعت على الدنيا حساما مهندا	فعاشتك حينا ثم عاشت على الصدى
تمجد قوم بالخلود وإنني	رأيت بمعناك الخلود تخلدا
أيا واحدا من خمسة إن ذكرتهم	ذكرت بهم في كل وجه محمدا

﴿١﴾ م ن، ج١ص١٠١.

﴿٢﴾ الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة، ط الثانية ١٤٠٥هـ، دار الأضواء ـ بيروت، ج٢ص١٤٦.

ولهذا نسمع العقيلة زينب صلوات الله تعالى عليها في بعض كلماتها تخاطب الحسين - يوم الطّف - يا عطر الماضين وثمال الباقين﴿١﴾.

وقالت: اليوم مات جدي رسول الله، اليوم مات أبي أمير المؤمنين، اليوم ماتت أمي فاطمة، اليوم مات أخي الحسن﴿٢﴾...

كل هذه الأمور وغيرها تدلنا على عظمة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام من حيث موقعه الديني والإجتماعي والسياسي وإن جهله السواد الأعظم من المسلمين نتيجة التعتيم الإعلامي، والإعلام المضلل..

وكل هذه الأمور التي ذكرناها صحيحة من وجة نظر المسلمين عموما، وأما لو أردنا أن نتقدم خطوة ونتكلم بلسان الشيعة الإمامية فالمسألة أوضح من ذلك وأعمق، ولاداعي، إذ ماذكرناه كافٍ لإثبات المدعى..

الجهة الثانية: موقع الحسين عليه السلام في الوجدان العالمي.

انتفض الحسين عليه السلام على حكم يزيد الطاغوتي أكيدا، ولكن ينبغي أن نفهم أنه لم يكن المستهدف شخص يزيد، بل المقصود الإطاحة بالمنهج الطاغوتي الذي سار عليه آل ابي سفيان، والقضاء على الخط الذي يمثل يزيد إحدى حلقاته، وهذا ما صرح به أبو عبد الله عليه السلام نفسه، ففي الوقت الذي دعى والي يزيد على المدينة الإمام الحسين عليه السلام للبيعة، أجابه الإمام عليه السلام: ﴿أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالبيعة والخلافة﴾﴿٣﴾.

﴿١﴾ ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ط الأولى، ١٤١٧هـ، مطبعة مهر، ص٥٠.

﴿٢﴾ م ن، ص٥٠.

﴿٣﴾ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، طبع ونشر: مؤسسة الوفاء - بيروت، ج٤٤ص٣٢٥.

لاحظ أن الحسين عليه السلام لم يقل أنا لا أبايع يزيد، بل قال: ﴿مثلي لا يبايع مثله..﴾، يعني أن المنهج والمعسكر الذي ينتمي له الحسين عليه السلام لا يلتئم مع المنهج والمعسكر الذي ينتمي له يزيد، فهذا معسكر يمثل الخير والحق والعدل، وذاك معسكر يمثل الشر والباطل والظلم.

ومن هذا المنطلق فإن الحسين عليه السلام دافع عن القيم الإنسانية النبيلة التي يرضاها جميع الناس، ويحترمها جميع الناس، ولهذا السبب شكلت حركت الحسين عليه السلام عامل جذب للناس كل الناس، وتعاطف معها المسلمون وغيرهم، والموحدون وغيرهم[1].

﴿١﴾ ومن هنا نجد جملة من أعلام الفكر من الغرب والشرق من المسلمين وغيرهم مجدوا الحسين عليه السلام وحركته. ومنهم على سبيل المثال:

١. الكاتب المسيحي انطوان بارا: ﴿لو كان الحسين منا لنشرنا له في كل أرض راية، ولأقمنا له في كل أرض منبر، ولدعونا الناس إلى المسيحية بإسم الحسين﴾.

٢. المستشرق الإنجليزي ادوار دبروان: ﴿وهل ثمة قلب لا يغشاه الحزن والألم حين يسمع حديثاً عن كربلاء؟ وحتى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح التي وقعت هذه المعركة في ظلها﴾.

٣. الكاتب الإنجليزي المعروف كارلس السير برسي سايكوس ديكنز: ﴿إن كان الإمام الحسين قد حارب من أجل أهداف دنيوية، فإنني لا أدرك لماذا اصطحب معه النساء والصبية والأطفال؟ إذن فالعقل يحكم أنه ضحى فقط لأجل الإسلام﴾.

٤. الهندوسي والرئيس السابق للمؤتمر الوطني الهندي تاملاس توندون: ﴿هذه التضحيات الكبرى من قبيل شهادة الإمام الحسين رفعت مستوى الفكر البشري، وخليق بهذه الذكرى أن تبقى إلى الأبد، وتذكر على الدوام﴾.

٥. الزعيم الهندي غاندي: ﴿لقد طالعت بدقة حياة الإمام الحسين، شهيد الإسلام الكبير، ودققت النظر في صفحات كربلاء واتضح لي أن الهند إذا أرادت إحراز النصر، فلا بد لها من اقتفاء سيرة الحسين﴾.

٦. موريس دوكابري: ﴿يقال في مجالس العزاء أن الحسين ضحى بنفسه لصيانة شرف وأعراض الناس، ولحفظ حرمة الإسلام، ولم يرضخ لتسلط ونزوات يزيد، إذن تعالوا نتخذه لنا قدوة، لنتخلص من نير الاستعمار، وأن نفضل الموت الكريم على الحياة الذليلة﴾.

الجهة الثالثة: ضخامة المهمة التي نهض بها الحسين عليه السلام:

من أجل تربية البشرية على أحسن وجه، والرقي بها في مدارج الكمال بذل الأنبياء صلوات الله عليهم جهودا مضنية، وأعطوا الكثير من الدم والعرق والوقت والتعب، حتى وصل الدور الى خاتمهم وسيدهم صلى الله عليه وآله وسلم، فأدى ما حمله الى العباد وجاهد في الله عز وجل حق الجهاد، وبشر بما هو حق من الثواب وأنذر بماهو صدق من العقاب.

وعلى هذا الضوء يكون النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو الوريث الشرعي لنهضة الأنبياء، والحامل لرسالة السماء، وقد ترك هذه الرسالة أمانة في ذمة هذه الأمة، فأراد حكام الجور وسلاطين الخمر والفجور حرف هذه الرسالة عن مسارها. ومن يقرأ تاريخ الحكومات التي تسلطت على رقاب المسلمين يجد ذلك جليا من خلال سيرتهم وسلوكهم. وفي ذلك يقول الأستاذ بولس سلامة:

رافع الصوت داعيا للفلاح	اخفض الصوت في أذان الصباح
وترفق بصاحب العرش مشغولا	عن الله بالقيان الملاح
ألف الله أكبر لا يساوي	بين كفي يزيد نهلة راح

٧. توماس ماساريك: ﴿على الرغم من أن القساوسة لدينا يؤثرون على مشاعر الناس عبر ذكر مصائب المسيح، إلا أنك لا تجد لدى أتباع المسيح ذلك الحماس والانفعال الذي تجده لدى أتباع الحسين عليه السلام لا تمثل إلا قشة أمام طود عظيم﴾.

٨. العالم والأديب المسيحي جورج جرداق: ﴿حينما جنّد يزيد الناس لقتل الحسين وإراقة الدماء، كانوا يقولون: كم تدفع لنا من المال؟ أما أنصار الحسين فكانوا يقولون لو أننا نقتل سبعين مرة، فإننا على استعداد لأن نقاتل بين يديك ونقتل مرة أخرى أيضاً﴾.

٩. المستشرق الإنجليزي السير برسي سايكوس: ﴿حقاً إن الشجاعة والبطولة التي أبدتها هذه الفئة القليلة، على درجة بحيث دفعت كل من سمعها إلى إطرائها والثناء عليها لا إرادياً. هذه الفئة الشجاعة الشريفة جعلت لنفسها صيتاً عالياً وخالداً لا زوال له إلى الأبد﴾.

انظر:

تتلظـــى في الـــــدن بكـــرا فلـــم　　　تـــدنس بلـــثم ولا بمـــاء قـــراح[1]

فكـان لابـد مـن وقفـة تعيـد الأمـور الى نـصابها، وتحفـظ معانـاة الأنبيـاء وجهودهم وجهادهم ورسالتهم، ولابد أن يكون رائد هذه الوقفة شخصية استثنائية تحظى بوقع لدى المسلمين، ولم يكن هناك أحد مؤهل للنهوض بأعباء هذه المهمة أفضل من الحسين عليه السلام، بل هو الأفضل على الإطلاق، لما يحتله من مكانة في نفوس المسلمين، وما يختزنه من إمكانات ذاتية، ونفس أبية، وروح محمدية، وشجاعة علوية.

فالحسين وريث النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشرعي، وهذا ليس استنتاجا ولا ذوقا، بل هذا ماصرّح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ما روي عنه بقوله: ﴿حسين مني وأنا من حسين﴾[2]، ووريث النبي هو وريث الأنبياء جميع الأنبياء في طول تاريخهم، وهذا المعنى هو الذي أراده الإمام الصادق عليه السلام ـ فيما يروى عنه بزيارة وارث ـ حيث يقول مخاطبا الحسين عليه السلام: ﴿السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله! السلام عليك يا وارث نوح نبي الله! السلام عليك يا وارث إبرهيم خليل الله! السلام عليك يا وارث موسى كليم الله! السلام عليك يا وارث عيسى روح الله! السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله ...﴾[3].

ومن كل ذلك نفهم عظمة المهمة التي نهض بها الحسين عليه السلام.

﴿١﴾ الأميني، عبد الحسين، الغدير، ط الأولى ١٣٩٧هـ ١٩٩٧م، طبع ونشر: دار الفكر ـ بيروت، ج١٠ص٣٢.

﴿٢﴾ النيسابوري، محمد بن محمد، مستدرك الحاكم، ط ـ ١٤٠٦هـ، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، تحقيق: د. يوسف المرعشي، ج٣ص١٧٧. وصفه الحاكم بأنه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

﴿٣﴾ الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد، ط الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، الناشر: مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت، ص٧٢٠.

الجهة الرابعة: **بشاعة الجريمة**:

بغض النظر عن من هو الحق ومن هو الباطل حدثت الكثير من الصدامات الدموية التي سُفكت فيها الكثير من الدماء، وأُزهق فيها الكثير من الأرواح في طول تاريخ البشرية. ومن الطبيعي أن تتمخض الصراعات الدموية عن نتائج كهذه، كما أنه لابد لمن يخوض صراعا دمويا أن يحسب حساب الثمن، ويوطن نفسه لدفع الثمن، وهذا هو شأن الرجال كما قال بعضهم:

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذيول[١]

ولم يكن الإمام الحسين عليه السلام قد دخل هذا الصراع من دون أن يحسب نتائجه، بل إنه صرح منذ انطلاق دعوته بأنه مشروع شهادة، حيث يقول: ﴿كأني بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا ...﴾[٢]. كما أنه عليه السلام تمثل ـ عندما حذره البعض لما لاقى الحر ـ بأبيات أخي الأوس:

سأمضى فما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مذموما وخالف مجرما

أقدم نفسي لا أريد بقاءها لتلقى خميسا في الهياج عرمرما

فإن عشت لم أذم وإن مت لم ألم كفى بك ذلا أن تعيش فترغما[٣]

ولكن على الطرف الآخر أن يكون نظيفا في صراعه ويتوقف عند حدود قتل الرجال، خصوصا بعد ملاحظة أمرين:

الأول: زعمهم أنهم على دين الإسلام.

الثاني: أنهم في مواجهة الحسين الذي هو ابن بنت نبيهم.

أما أن يتجاوزوا حدود اللياقة وجميع الخطوط الحمراء ـ لو صح التعبير ـ

﴿١﴾ القائل هو عمر بن أبي ربيعة، انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ط ـ سنة ـ، الناشر مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء، ج٤ص٥٧٤.

﴿٢﴾ انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٣٨، م س.

﴿٣﴾انظر: ابن شهر آشوب، شير الدين، مناقب آل ابي طالب، ط ـ ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م، الطبعة الحيدرية ـ النجف، تحقيق لجنة من أساتذة النجف، ج٣ص٢٢٤.

وتصل المسألة الى محاصرة آل الرسول صلى الله عليه وآله ، ومنعهم من الماء، وقتل النساء والصبية والأطفال الرّضع، وقع الرؤوس، وسلب الأجساد، والتمثيل بها، وسحقها بحوافر الخيل، وعدم دفنها، ونهب الخيام وحرقها، وسلب النساء وسبيها، فإن كل واحدة من هذه الجرائم يندى لها جبين الإنسانية، فضلا عن المجموع. وذلك ما لم يحدث في جميع حروب الدنيا، وفي تفاصيل المعركة مايمزق الفؤاد، ويدمي القلب.

الجهة الخامسة: عظمة الأهداف التي حققها الحسين:

لا ينبغي الشك في أن الحسين عليه السلام استهدف من وراء نهضته المباركة أهدافا كبرى ونبيلة، تتناسب وحجم التضحيات التي قدمها، وسنعرف ذلك لاحقا من خلال ما فهمه وسجله العلماء. وما نريد الإلماح إليه هنا أننا لاحظنا أن فهم أهداف هذه النهضة قد غُيِّبت بين إفراط وتفريط:

أولا جانب الإفراط: أن البعض حلّق بأهداف هذه النهضة وجعلها من الأسرار ومن الغيب الذي لاتطاله العقول، وهذا ما أدى الى أن من يستدل بحركة الحسين عليه السلام على وجوب التحرك، والتغيير، وردع الظالمين، يجابه بالقول: لا تقس على الحسين، فإنه إمام معصوم، وأن أهدافه من الغيب، وأن أوامره خاصة، وأنه نفذ إرادة الرّب، والله أراد له أن يقتل.. ونحو ذلك من الكلمات.

أقول: وهذا المضمون مسموع، ويتردد في بعض الأوساط العلمية، وكاتب هذه السطور سمعه من بعض فضلاء الحوزة، وهوغريب، ولو صحّ للزم منه عدة إشكالات، منها.

الإشكال الأول: أن الحسين عليه السلام مجبور، ولم يكن له خيار إلا الشهادة.

الإشكال الثاني: أنه عليه السلام لم يرسم في مخيلته أي هدف، وإنما الأهداف مخطط لها في الحكمة الإلهية، وهو عليه السلام ما عليه إلا أن ينفذ.

الإشكال الثالث: بطلان معنى الأسوة، حيث يقال: مادامت حركة الحسين من الغيب والأسرار الإلهية، إذا لايقاس بها، ولا يتأسى بها في أي عملية تغيير. وهذه هي النتيجة التي يريدها أصحاب مبدأ الغيبية.

الإشكال الرابع: قد يقال بصحة المقولة التي تقول: إن أفعال المعصومين وأقوالهم فوق إدراكنا، وأعمق من تفكيرنا، ولاتطالها عقولنا. ولكن تبقى هنا مساحة من التفكر والتدبر في أفعالهم وأقوالهم قد تمنح الإنسان رؤية قريبة من الواقع، وإلا فإن هذه المقولة تنطبق على القرآن أيضا فهو أعلى وأعمق وأدق من أن تطاله العقول، فلماذا كان ولا زال المفسرون يكتبون حول توضيح مفاهيم القرآن؟ إنما هم يسعون، وحسن التوفيق من الله تعالى.

ثانيا جانب التفريط: وبالوقت الذي نجد بعضهم حلّق فجعل هذه النهضة من الغيب، نجد على النقيض من ذلك أن البعض تسافل بالنهضة وأهدافها حتى عدها حلقة من سلسلة الصراع بين قبيلتين ـ هاشم وأمية ـ فمازال الصراع قائما بين هاتين القبيلتين يحتدم مرة ويخف أخرى، وكانت واقعة الطف انفجارا أدى اليه تراكم النزاع، حتى قال بعضهم:

عبد شمس قد أضرمت لبني ها   شم حربا يشيب منها الوليد

فابن حرب للمصطفى، وابن هند   لعلي، وللحسين يزيد

وقد يقال: ان هذا شعر، وينبغي للشاعر ما لاينبغي لغيره.

وجوابه:

﴿١﴾ هذا صحيح الى حد ما، ولكن على أن لايصل الى مستوى محق روح الإسلام، ومناقضة القيم التي غرسها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿٢﴾ إن هذا الشعر وقبيله كان وما زال يتلى من على أعواد المنابر الحسينية، الأمر الذي قد يؤدي الى تشكيل ذهنية تبعد عن روح الإسلام بمسافات لدى السواد الأعظم من الناس. ومن ذلك قول الشاعر:

يا غيرة الله اهتفي   بحمية الدين المنيعة

وظبا انتقامك جردي   لطلا ذوي البغي التليعه

ودعي جنود الله تمـ   ـلأ هذه الأرض الوسيعة

الى أن يقول:

واستأصـــلي حتـــى الرضيـــ ـــع لآل حـــرب والرضـــيعة

أقول: وهل تقبل غيرة الله بأن يقتل ويستأصل الأطفال؟ أليس هذا يصطدم بأهم المفاهيم الإسلامية وأوضحها كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1].

وغير ذلك كثير، ومافي الشعر الشعبي أكثر وأدهى وأمر.

وفي هذا الإطار يقول السيد الشهيد ﷫ في الجمعة الرابعة والأربعين الخطبة الثانية: ﴿إننا نعلم ان كل شاعر سواءً كان فصيحا ام شعبيا [إنما] ينظم الشعر في الحسين عليه السلام واصحابه بمقدار ما يفهم من ثورة الحسين، ومن اقواله، ومن افعاله، ولا نتوقع من الشاعر ان يتعدى فهمه الشخصي بطبيعة الحال، بل لعل ذلك يكون في عداد المستحيل، في حين اننا نعلم بكل تأكيد ان بين فهمنا للحسين عليه السلام وواقع الحسين عليه السلام وحقيقة مقاصده بونا شاسعا وفجوة ضخمة جدا... يعني اننا لا نفهم الحسين عليه السلام حقيقة، ولا يمكن ان نفهمه حقيقة، كل ما في الأمر اننا يمكن ان نقترب نحو هذا الفهم قدما او اقداما بالتعلم، والتكامل، والإطلاع على بعض حقائق الكتاب والسنة، واذا نحن لم نكن بهذا الصدد... اي ننظم شعرا ونحن لا نعلم: ما الحسين، وما اصحاب الحسين، ومن الحسين، ومن زينب، ومن الأصحاب، والأولاد... فاذا نحن لم نكن بهذا الصدد اذن فنحن معاتبون ومعاقبون؛ لأننا نكون قد كذبنا على المعصومين عليهم السلام المتمثلين بالحسين نفسه... ولربما السجاد ايضا عليهم السلام، واصحاب المعصومين عليهم السلام .

يكفي اننا نلتفت الى ان اغلب الأشعار الفصيحة والشعبية التي قيلت بهذا الصدد تحمل جانبين باطلين في فهم المشاعر الحسينية لو صح التعبير:

الجانب الأول: الجانب الأسري، والعاطفة الدنيوية الشخصية التي يشعر بها الشاعر هو نفسه تجاه ولده، ووالديه، واخيه، وزوجته، فهو يضيفها الى الحسين والى اصحاب الحسين ﴿عليهم افضل الصلاة والسلام﴾. في حين لو كان شيء من ذلك

﴿١﴾ الأنعام: ٦٤.

مهما قل لديهم لما ترك الرجال زوجاتهم واطفالهم، ولما ترك النساء ازواجهن، ولما افتخرن ان يكن من المسبيات مع زينب ﴿سلام الله عليها﴾ وغير زينب من نساء الحسين عليهم السلام، فهذه تضحية حقيقية. وهذا ونحوه من العواطف الحقة لا تكون إلا عند نفي العاطفة الأسرية تماما، وإسقاطها من النفس حقيقة[1]، فاذا كان ذلك في النساء والرجال من الأصحاب، فكيف بأهل البيت عليهم السلام، وهم السادة انفسهم ﴿سلام الله عليهم﴾، وكيف بالحسين بشخصه الذي هو معصوم ومفترض الطاعة.

الجانب الثاني: الجانب القبلي. اعوذ بالله من الجانب القبلي الذي كان وما زال وسيبقى يضرنا ما لم يخرج الشيطان من الساحة. والجانب القبلي هو ما اشرنا اليه في الأضواء من التاكيد على جانب الأسرة والنسب وكأن الحرب ـ حرب الحسين عليهم السلام ـ بين اسرتين متعاديتين لا بين الحق والباطل، ومن ذلك قول الشاعر:

قوضي يا خيام عليا نزار　　　فلقد قوض العماد الرفيع
واملئي العين يا امية نوما　　　فحسين على الصعيد صريع[2]

وكأن بني امية انتصروا على الحسين فقط... وغير ذلك كثير، في حين اننا نعلم ان هذا من غير المحتمل ان يخطر في بال الحسين عليهم السلام واصحابه طرفة عين، فضلا عن ان يكون هو الهدف الرئيسي لهم، ولو كان هو الهدف الرئيسي لكانوا على باطل والعياذ بالله، وعلى طلب الدنيا وحاشاهم.

﴿١﴾ وهذا لايعني أن الحسين عليه السلام وأصحابه ليسوا بعاطفين، لا، وإنما يعني، أنه لو حصل التزاحم بين العاطفة والموقف المبدئي فإنه يقدم الموقف المبدئي، فمثلا: ان عاطفة الوالد تجاه الولد هي الحرص عليه والسعي للمحافظة على حياته بأي ثمن، وقد يقتضي الموقف المبدئي التضحية بذلك الولد، فهنا تسقط العاطفة، وتكون الأولوية للموقف فيضحي بالولد، كما فعل الحسين عليه السلام في تضحيته بولده علي الأكبر عليه السلام.

﴿٢﴾ هذان البيتان من قصيدة للسيد حيدر الحلي، مطلعها:

قد عهدنا الربوع وهي ربيع　　　اين لا اين انسها المجموع

انظر: أدب الطف، جواد شبر، ج٨ص٦.

وقد كان الإعتذار اساسا للشعراء حين يريدون التجنب عن الكذب، فإنهم يقولون ـ وكذلك بعض الخطباء الحسينيين المتورعين يقولون ـ: ان هذا بلسان الحال[1] لا بلسان المقال. وهذا مسموع ﴿وماشي﴾ جيلا بعد جيل. فنسالهم انك هل تعرف حالهم ﴿سلام الله عليهم﴾ بلسان الحال حقيقة لتقول ان كلامك بلسان الحال؟ ﴿سبحان الله ما أدراك ما حالهم؟﴾ وهل ان حالهم كما تقول انت لكي تكون صادقا؟ او ان حالهم ليس كذلك، وانما انت الكاذب؟

فمثلا لو أكد الشاعر على الجانب الأسري، او الجانب القبلي اللذين ذكرناهما بعنوان انه بلسان الحال، لكان كاذبا لا محالة، وكان من الكذب على المعصومين ﴿سلام الله عليهم﴾، ونحن لا نريد من اي شاعر او ناثر ان يكذب على الحسين عليه السلام واصحابه، وانما لا بد ان يبين حالهم باقصى ما يستطيع من الصحة والدقة﴾.

ـ ٢ ـ

من هنا كان لابد من وضع مقاسات تحكم الأهداف التي كان يتوخاها الإمام الحسين من وراء نهضته المباركة.. مقاسات تنسجم مع الحسين عليه السلام كإنسان جسد الإنسانية بأجلى صورها أولا، و كرمز من رموز هذا الدين الذي يطفح بالنبل والإستقامة ثانيا، وبعبارة أخرى ضوابط لاتخرج عن إطار الشريعة المقدسة.

﴿١﴾ **لسان الحال:** في مقابل لسان المقال، والثاني: هو الكلام، والأول: هو الأثر الظاهر الدال على معنى من دون كلام، كدلالة عظمة المخلوق على عظمة الخالق.

وعرفه محمد قعلجي ـ في معجم لغة الفقهاء، ص٣٩١ ـ بقوله: ما دل على حالة الشيء من ظواهر أمره.

وعرفه الطباطبائي بأنه: انكشاف المعنى عن الشيء، لدلالة صفة من صفاته، وحال من أحواله عليه، سواء شعر به أم لا، كما تفصح آثار الديار الخربة عن حال ساكنيها، وكيف لعب الدهر بهم، وعدت عادية الأيام عليهم، فأسكنت أجراسهم، أخمدت أنفاسهم، وكما يتكلم سيماء البائس المسكين عن فقره ومسكنته وسوء حاله. انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط الثانية، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، ج٨ص٣٠٨، م سابق.

وقد كتب السيد الشهيد في الأضواء حول هذا الموضوع قائلا:

﴿حينما نريد أن نتحدث عن حدود أهداف الحسين عليه السلام في ثورته، فإنما نتحدث، كما أسلفنا في حدود فهمنا ومدى إدراكنا، وهو البعيد عن فهم الواقعيات، والمحجوب أساساً عن الوصول إلى تلك المستويات. فنحن نتحدث عن أقصى ما ندركه من أمر منطقي ومعقول، كأطروحة مقبولة ومحتملة في هذا الصدد وليس كشيء قطعي وناجز، ونحن نعلم ان ما خفي علينا من الحق أكثر مما اتضح لنا بكثير، وخاصة ونحن نعرف ـ كما سبق أيضاً ـ بأن أقوال المعصومين عليهم السلام وأفعالهم مطابقة للحكمة الإلهية، ومساوقة للعلم الإلهي، لما لهم من التأييد والتسديد منه جل جلاله. ومن المعلوم أن الحكمة والعلم الإلهيين غير محدودين ونحن محدودون. ﴿ولا يمكن للمحدود أن يدرك اللامحدود﴾.

ولو تنزلنا عن ذلك جدلاً، أمكننا القول بأن الواحد من المعصومين عليهم السلام هو أفضل من أفضل واحد من البشر رأيناه أو سمعنا عنه، في جميع المستويات وعلى أي صعيد. والفرد مهما أوتيَ من قوة تفكير، وحدة ذكاء، فهو أدنى منهم بمراتب عظيمة. ومن المعلوم أن الادنى لا يمكن أن يدرك جميع ما لدى الأعلى، ولا يمكن أن يفهم مستواه إلا إذا كان مساويا له.

خذ إليك مثلا: إن الطفل الدارس في المدارس الابتدائية، أو من هو على شاكلته، هل يصح ان نتصور أن يفهم الرياضيات المعمقة، والفلسفة المحققة، أو علوم الفيزياء، أو الكيمياء المفصلة؟! وهكذا مستوى أي واحد منا تجاه أي واحد من المعصومين عليهم السلام. إذن فالتعرف على كل حقيقتهم وأهدافهم إن لم يكن محالاً، فهو بمنزلة المحال.

ولكن في حدود ما نفهم، فإننا حين نريد أن نطرح بعض الأفكار عن أهداف الإمام الحسين عليه السلام في ثورته، فتلك الأفكار لا بد أن تكون حاوية على عدد من الشروط لا بد منها. ولا يمكن أن تكون أفكارنا جزافية أو مطلقة:

الشرط الأول: أن يكون الشيء الذي نتصوره هدفا للأمام الحسين عليه السلام أمرا

مرضياً لله عز وجل، لا تشوبه شائبة عصيان، أو أن يكون مرجوحا في الشريعة المقدسة، بما في ذلك حب الدنيا، وطلب المال والجاه، والسيطرة المنفصلة عن الأمر الإلهي والتكليف الشرعي.

الشرط الثاني: أن يكون الهدف الذي نتصوره مناسباً مع حال الحسين عليه السلام وشأنه. لا أن يكون هدفاً مؤقتاً أو متدنياً أو ضئيلاً. فإن ذلك مما لا يصح له وجود هذه التضحية الكبيرة التي أقامها الحسين عليه السلام وعاناها. فإنها عندئذ لا تكون معقولة ولا عقلائية، وإنما لا بد أن يكون الهدف معمقاً وواسعاً وأكيداً وشديداً، بحيث يسع كل هذه التضحيات.

الشرط الثالث: أن يكون أمراً متحققاً، إما في الحال أو في الإستقبال، ولا يجوز أن نطرح له هدفاً فاشلاً وغير متحقق أو غير قابل للتحقيق. فإنه خلاف الحكمة الإلهية. ولا يمكن أن ننسب ما هو فاشل وعاطل إلى الحكمة اللامتناهية.

مثال ذلك: أن الإمام الحسين عليه السلام لو كان قد استهدف النصر العسكري العاجل، أو إزالة حكم بني أمية، أو ممارسة الحكم في المجتمع فعلا. فهذا ونحوه من الأهداف القطعية الفشل؛ لأنها لم تحدث ولم يكن من الممكن أن تحدث. إذن فهو ليس بأمر مستهدف، وإن تخيله بعض من المفكرين أو عدد منهم، إلا أنه لاشك في بطلانه؛ لأن هدفه عليه السلام راجع إلى أهداف الحكمة الإلهية، ومثل هذه الأهداف لا يمكن أن تكون فاشلة، لأن الله تعالى كما هو حكيم هو قادر، فهو يستطيع أن ينفذ ما في حكمته بكل تقدير. فلو استهدف الله سبحانه هدفاً لحصل. وحيث إنه لم يحصل فهو إذن غير مستهدف.

الشرط الرابع: إنه يمكن أن يقال: إن من شروط فهم أهدافه عليه السلام، أن يكون مذكوراً في كلامه، لأننا إنما نعلم بالأمور من أصحابها وأهل الحل والعقد فيها. وقديماً قال الشاعر:

وأهل البيت أدرى بالذي فيه

وليس لنا أن نضيف من عندنا شيئاً، وإنما نسمع منه سلام الله عليه مثل

قوله: ﴿إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر﴾[١]. بعد أن وصف المجتمع بضعف الدين وقلة الالتزام بالتعاليم: ﴿ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه﴾[٢].

فالغرض من هذا العرض، هو ان الهدف إن كان مذكوراً في كلامه سلام الله عليه أخذنا به، وإن لم يكن قد ذكره أعرضنا عنه، ولم نعتبره هدفاً حقيقياً له. إلا أن هذا الشرط غير صحيح. لعدة أجوبة يمكن أن تورد ضده:

الجواب الأول: ضعف الروايات الناقلة لكلامه سلام الله عليه، إذن فلم يردنا عن طريق صحيح بيان أهدافه سلام الله عليه. فلو اشترطنا ذلك لم يكن لنا طريق إلى معرفة الأهداف إطلاقاً.

الجواب الثاني: إن هناك قانوناً عرفياً وشرعياً، متبعا في التفاهم بين جميع الناس، وان لم يكن يلتفت إليه الكثيرون بصراحة. وهو قانون: ﴿كلم الناس على قدر عقولهم﴾[٣]. والحسين عليه السلام لا شك أن المجتمع في ذلك الحين لم يكن يطيق فهم واستيعاب أهدافه الحقيقية من حركته؛ لأنه كان حديث عهد بالدين وبشريعة سيد المرسلين، ولم يكن المجتمع يومئذ تربى بالمقدار المطلوب، وإنما كان فهمه للدين بسيطاً، وتطبيقه للتعاليم قليلاً ما عدا نفر يسير من الناس. وبالتالي، لم تكن هذه

﴿١﴾ الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ط ـ سنة ـ، الناشر: مكتبة بصيرتي، ص٣٠.

﴿٢﴾ هذه الكلمة من جملة خطبة قالها الحسين عليه السلام عند لقائه بالحر، قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر جده وصلى عليه: ﴿**إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإن الدينا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حذاء ولم تبق منه الإصبابة كصبابة الاناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقا فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما**﴾. انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٤٨، م س.

﴿٣﴾ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ط الثالثة ١٣٨٨هـ، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ آخوندي، تحقيق علي أكبر غفاري، ج١ص٢٣.

الألف وحوالي النصف من السنين قد مرت وأثرت في تربية المجتمع، وتكامل فهمه العقلي والنفسي تكاملاً معتداً به، وكلما مرت السنين أكثر كان هذا التكامل أكثر لا محالة.

فإذا لم يكن بيان أهدافه ممكناً عندئذ، فخير له أن يطويها في نفسه وأن يكتمها عن غيره، وإنما يقول للآخرين بمقدار ما هو ممكن فقط، مما لا يكون هو الهدف الحقيقي لحركته ﷺ، ولا أقل من احتمال ذلك. الأمر الذي يسقط به هذا الشرط الرابع.

الجواب الثالث: على هذا الشرط: إن هناك بعض الأعمال يعتبر التصريح بأهدافها إفساداً لها، وتكون عندئذ عقيمة وغير منتجة، وهذا أحد التأويلات المهمة لما ورد: ﴿استعينوا على أموركم بالكتمان﴾[١].

وما ورد: ﴿من أن التصريح بالشيء قبل إنجازه موجب لإفساده﴾[٢]. وهذا المعنى ظاهر للعيان بالتجربة، في كثير من الأمور الشخصية والعامة.

إذن فمن المحتمل، والإحتمال قاطع للإستدلال، كما عرفنا في مقدمات هذا البحث من المحتمل أن يكون تصريح الحسين ﷺ بأهدافه قبل حركته، مفسداً لها مخرّباً لنتائجها. ومن هنا سيكون المتعين عليه كتمان ما يريده والصمت عما يستهدفه حفظا للنتائج من الضياع، إذ من المؤسف حقاً وجداً، وجود حركة مهمة من هذا القبيل الذي قام به ﷺ وتضحية ضخمة على هذا الغرار، ومع ذلك لا تكون منتجة ولا نافعة. إذن فمن الضروري أن تكتم أهدافه الحقيقية في سبيل صحتها وإنتاجها. إذن، فهذا الشرط الرابع، وهو أن نتوقع سماع الأهداف منه ﷺ، ليس بصحيح.

وهذا بخلاف ما سوف نذكره بعون الله تعالى من الأهداف، فإنها إنما تأتي

﴿١﴾ الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ط الثانية ١٤٠٤هـ، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، تحقيق: علي أكبر غفاري. ص٤٨.

﴿٢﴾ المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول، ج٩ص١٨٦.

بعد إنجاز حركته ووجودها وإلقائها، بل بعد حصول عدد معتد به من نتائجها. وإنما يختص ما قلنا بالتصريح بالهدف قبل الحركة لا بعدها﴾[1].

أقــول: ولنا على هذه الأجوبة التي ذكرها السيد الشهيد قدس سره بعض المناقشات:

أولا: ما قاله في الجواب الأول من أن ضعف الروايات ـ الناقلة لكلام الحسين عليه السلام ـ يسد الطريق أمامنا، فلا منفذ لمعرفة أهدافه عليه السلام من خلال كلامه.

وهذا يمكن المناقشة فيه من عدة جهات منها:

الجهة الأولى: أن منهج البحث التاريخي يختلف عن منهج البحث الفقهي، فلا يمكننا التعامل مع روايات السيرة كما نتعامل مع روايات الأحكام الشرعية، وإلا لم يبق من تاريخنا شيء، ويلزمنا نسف التاريخ ورميه في البحر. وعليه فلامناص من الأخذ بروايات السيرة وإن كانت ضعيفة سندا، إلا أنه يمكن تصحيحها بجملة من القرائن والمؤيدات.

الجهة الثانية: لوتنزلنا عن الجهة الأولى، فإننا لايمكننا الجزم والحكم بضعف جميع ماوردنا من الروايات مطلقا، وعليه فإنه لابد أن يسلم البعض منها من الضعف، فيكون معتبرا، وحينئذٍ يمكن الإستناد إليه في معرفة أهدافه عليه السلام.

الجهة الثالثة: إن بعض الكلام الوارد عن الحسين عليه السلام، يشهد أسلوبه ومضامينه بأنه لايخرج إلا من مشكاة أهل بيت النبوة، الذين علموا الناس الفصاحة والبلاغة، كقوله ـ بحسب الرواية ـ: ﴿ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز منا بين اثنتين بين السلّة والذلة وهيهات منا الدنيئة، يأبى الله ذلك، ورسوله، والمؤمنون، وحجور طابت، وانوف حمية، ونفوس أبية، وأن نؤثر طاعة اللئام على مصراع الكرام. وإني زاحف إليهم بهذه الاسرة على كلب العدو، وكثرة العدد، وخذلان

﴿1﴾ الصدر، محمد، أضواء على ثورة الإمام الحسين، ط الأولى، تحقيق الشيخ كاظم العبادي الناصري، ص٨٢.

الناصر، ألا وما يلبثون إلا كريثما يركب الفرس حتى تدور رحا الحرب، وتعلق النحور. عهد عهده إلي أبي عليه السلام. فاجمعوا أمركم ثم كيدون فلا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾[1].

ثانيا: وأما قوله قدس سره: ان قانون كلم الناس على قدر عقولهم يمنع الإمام الحسين من التصريح بأهدافه الحقيقية، فإن بإمكان الحسين عليه السلام، أن يذكر أهدافه للبعض ممن يتحمل فهم تلك الأهداف. ويؤيد ذلك اننا نسمع أجوبة متعددة للحسين عليه السلام للذين اعترضوا على خروجه. بل ويمكن أن يذكر بعض المؤشرات التي يكشف الزمن عن حقيقتها، كقوله ـ بحسب الرواية ـ ﴿من لحق بنا منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح﴾[2].

ثالثا: نعم ما ذكره في الجواب الثالث من أن ذكر الأهداف قبل النهضة قد يفشلها، من باب ﴿أن التصريح بالشيء قبل إنجازه موجب لإفساده﴾، فهو صحيح بحدود إعلان الأهداف على الملأ، أما إيداع الأهداف عند من هو أهل لحمل الأمانة، كأبنائه المعصومين عليهم السلام ثم هم عليه السلام يقومون بتوضيحها للأمة ولو بعد حين؛ فلا محذور فيه.

وبناء على ذلك كله فإنه من المحتمل جدا أن نفهم، أو أن نعلم بأهداف تلك النهضة الخالدة من رائدها وقائدها الإمام الحسين عليه السلام نفسه. وعلى أية حال فإن مما يهوّن الخطب أن السيد الشهيد قدس سره في مناقشته للشرط الرابع قد ذيّل كلامه بأن مناقشته تأتي على التصريح بالأهداف قبل النهضة... حيث يقول: ﴿وهذا بخلاف ما سوف نذكره بعون الله تعالى من الأهداف، فإنها إنما تأتي بعد إنجاز حركته ووجودها وإلقائها، بل بعد حصول عدد معتد به من نتائجها. وإنما يختص ما قلنا بالتصريح بالهدف قبل الحركة لا بعدها﴾.

﴿١﴾ ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول، ص٢٤١، م س.
﴿٢﴾ المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ط الرابعة، مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف، ص٥٨.

- ٣ -

ومن هنا وجب علينا أن نتلمس أهداف الإمام الحسين عليه السلام من خلال كلمات الفقهاء؛ لأنهم الأقرب ـ أكيدا ـ الى فهم كلام المعصومين عليهم السلام، وذلك لأنهم يدرسون سند الرواية ومتنها، ويلاحظون إن كان لها معارض من الكتاب أو السنة، وما يحف بها من قرائن حالية أو مقالية، وغير ذلك من الأمور التي تعطي رؤية واضحة لمن يدرس حياة الأئمة عليهم السلام وكلماتهم.

ومن هذا المنطلق آثرنا جمع كلمات أعلام الأمة من الفقهاء الذين أدلوا بدلوهم في هذا الموضوع، مع إضافة شيء من التحليل والتحقيق والتعليق. آملين أن نقدم زادا نقيا للباحثين وللخطباء الحسينيين، حتى إذا ما عرضت هذه النهضة المباركة الى الجمهور كانت الخلفية التي ننطلق منها خلفية علمية، والأضواء التي نستهدي بها نقية، عسى الله أن ينفعنا هذا السبيل لصناعة أمة حسينية، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

- ٤ -

وفي الختام أود التنبيه على أمور عدة:

الأمر الأول: انني لاحقت كلمات العلماء الأعلام فيما كتبوا عن الحسين عليه السلام بشكل مستقل، أو في ضمن بحوث مرتبطة بالمطلب، أو في ضمن كلماتهم المتناثرة في أحاديثهم ـ الموثقة ـ هنا وهناك.

الأمر الثاني: ينبغي الإلتفات الى أنني لم أنقل عن أي شخص مهما بلغ من مراتب العلم إلا أن يكون فقيها مجتهدا مشهودا له بصحة الإجتهاد في الأوساط العلمية.

الأمر الثالث: كما ينبغي الإلتفات الى أن تقديم فقيه على آخر ـ من حيث استعراض الآراء ـ لا يدل على أن هذا فاضل وذاك مفضول، فهذه الجهة غير مهمة

بالنسبة للبحث، وغير مُلْتَفت إليها.

الأمر الرابع: إنني حاولت جهد الإمكان الحصول على أكبر قدر ممكن من الآراء، إذ أنني أعتقد أن التنوع في الآراء ـ وإن كانت مختلفة ـ يجعل من البحث بحثا ثرا غنيا وإن كان البعد بين رأي وآخر لايعد شاسعا، ومباينا.

الأمر الخامس: قد يكون لبعض علمائنا ـ المعاصرين أو الراحلين ـ رأي في المسألة إلا أنه لم يصل إلينا، أو لم نعلم به أصلا، فليس إغفاله عن قصد. وإنما نعرض ما وقع بأيدينا ووصل إلينا، والمعذرة مقدما للذين لم نذكر لهم رأيا إن وجد.

وعلى أية حال فإن باب الإستدراك كان ولا يزال مفتوحا، فيمكن أن نستدرك لاحقا ـ إذا بقيت ـ الحياة في طبعات لاحقة.

الأمر السادس: التعليقات والتحقيقات التي نثبتها في الهامش وقد أخذناها من المصادر التي أخذنا منها كلمات الفقهاء نميزها عن تحقيقاتنا بجعلها بين قوسين مضلعين، هكذا: [...].

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وله الشكر

الأمـر الـسـابع: إن مـا استطعنا جمعـه هـو آراء ثمانيـة مـن العلمـاء الأعـلام المعاصرين، وهم ـ من حيث تسلسلهم في البحث ـ كالتالي:

﴿١﴾ آية الله العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره.

﴿٢﴾ آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره.

﴿٣﴾ آية الله العظمى السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره.

﴿٤﴾ آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي الخميني قدس سره.

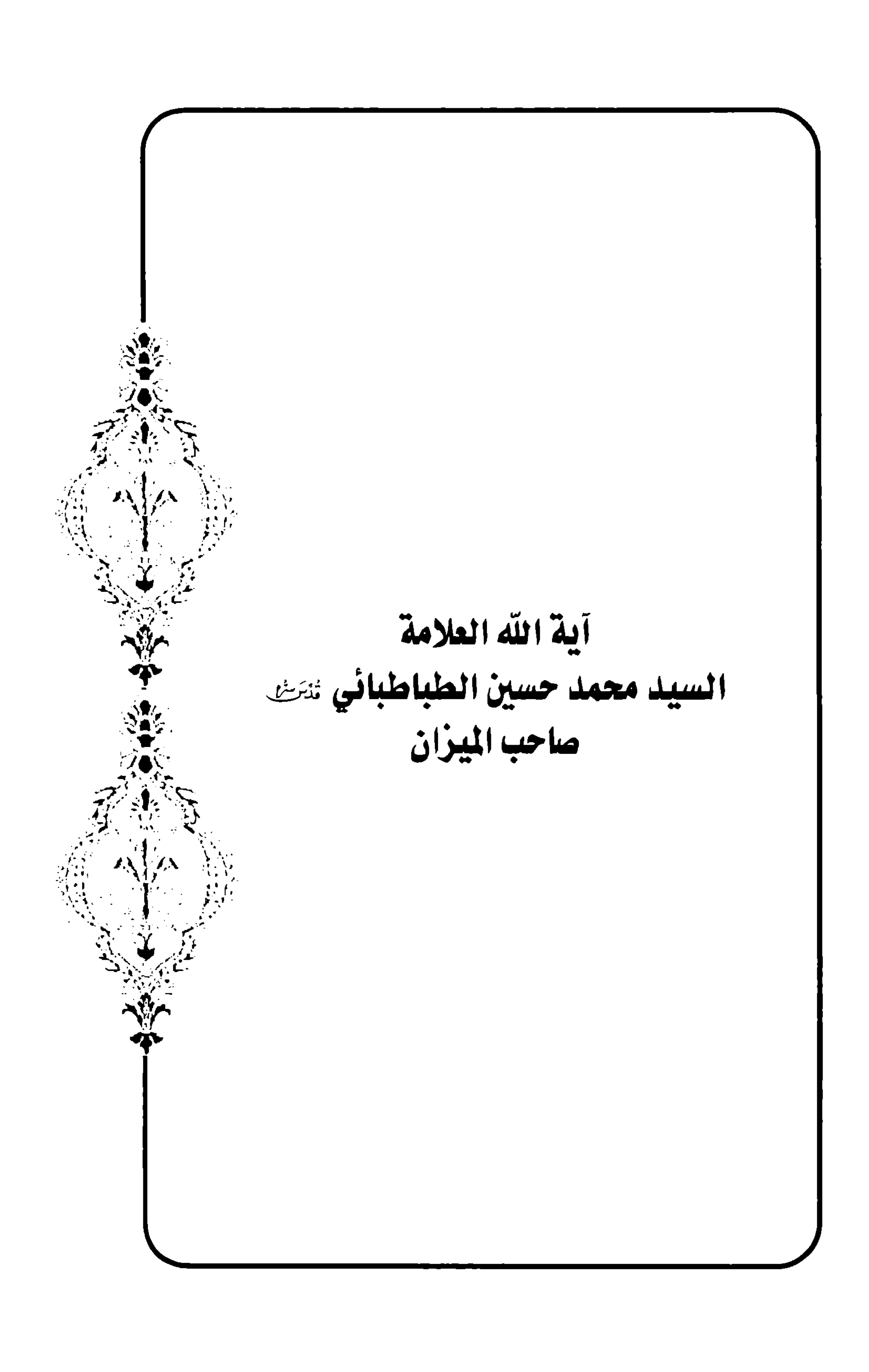
﴿٥﴾ آية الله العظمى السيد كاظم الحسيني الحائري دام ظله.

﴿٦﴾ آية الله الشيخ الشهيد مرتضى المطهري قدس سره.

﴿٧﴾ آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله دام ظله.

﴿٨﴾ آية الله السيد محمود الهاشمي الشاهرودي دام ظله.

النجف الأشرف
عبد الرزاق النداوي
٤/محرم/١٤٣٠هـ



آية الله العلامة
السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره
صاحب الميزان

توطئة:

ما قاله السيد الطباطبائي في هذا المجال عبارة عن مقالة نشرت في كتاب ﴿مقالات وأسئلة وأجوبة﴾ باللغة الفارسية، ترجمه الى العربية محمد حسين بن موسى، وقدم له وترجمه محمد رضا بن محمد اللواتي، ونشر في كراس مستقل بعنوان ﴿علم الإمام ونهضة سيد الشهداء﴾.

ونلفت النظر الى أن هذا المقال فيه مسحة فلسفية، ولأن السيد تناوله بهذه المسحة، وتعمق فيه ليسبر أغواره، فإن فهمه يحتاج الى شيء من التأمل، علاوة على ذلك فإن الترجمة مهما كانت عالية ودقيقة فإنها لاتفي بالمطلب كما يريده المؤلف، وقد علمت أن السيد قدس سره كتبه باللغة الفارسية. وإليك نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

علم الإمام ونهضة سيد الشهداء[1]

القسم الأول: علم الإمام ونهضة سيد الشهداء [**سلام الله عليه**].

هل كان سيد الشهداء عالماً في سفره من مكة إلى الكوفة بأنه سوف يستشهد أو لا؟ وبعبارة أخرى هل انه عليه السلام توجه صوب العراق بقصد الشهادة أم بقصد تشكيل حكومة إسلامية عادلة؟

الجواب:

ان سيد الشهداء عليه السلام في عقيدة الشيعة إمام مفترض الطاعة، وهو ثالث خلفاء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو صاحب الولاية الكلية، وان علم الإمام بالأعيان الخارجة، والحوادث الواقعية، وطبقاً للأدلة النقلية والبراهين العقلية ينقسم

﴿١﴾ الطبا طبائي، محمد حسين، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار المحجة البيضاء، علم الإمام ونهضة سيد الشهداء، ترجمة محمد رضا اللواتي.

إلى قسمين فالقسم الأول: وقوف الإمام سلام الله عليه بإذن الله تعالى على كل حقائق عالم الوجود، وفي جميع شرائطها، أعم من تلك التي هي في متناول الحس وخارج الحس كذلك، كالموجودات السماوية والحوادث الماضية والوقائع الآتية، ونستدل على ذلك بالآتي:

أولا: طريق إثبات ذلك العلم بالنقل يتم بالروايات المتواترة الموجودة في جوامع أحاديث الشيعة مثل كتاب الكافي، وكتاب البصائر، وكتب الصدوق، والبحار.. وغيرها، فبموجب هذه الروايات التي لا يمكن حدها وحصرها، يتبين ان الإمام عليه السلام عن طريق الموهبة الإلهية.. عن طريق الاكتساب واقف على كل شيء ومطلع عليه، وكل ما يطلبه يعلمه بإذن الله وبأقل توجه.

هناك آيات في القرآن الكريم التي تحصر علم الغيب بالله المتعال وبساحته المقدسة، لكن الاستثناء الموجود في الآية الكريمة: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[1] تبين ان اختصاص علم الغيب بالله تعالى بهذا المعنى، ان الغيب المستقل والامتلاك الذاتي لا يكون عند احد غير الله تعالى، ولكن يمكن للأنبياء المختارون ان يعرفوه بتعلم من الله، ومن الممكن أيضاً ان يعرفه مختارون آخرون بتعليم الأنبياء لهم؛ ففي كثير من الروايات وارد ان الرسول وأيضاً كل إمام من بعده وفي آخر لحظات حياته يسلم ويؤمن عمله للإمام الذي يأتي بعده.

ثانياً: وأما عن طريق العقل فهنالك براهين بموجبها الإمام عليه السلام حسب مقامه النوراني أكمل إنسان عصره، ومظهر تام للأسماء والصفات الإلهية وعالم بالفعل بجميع الوقائع الشخصية وبحسب عنصره أينما توجه تنكشف له كل الحقائق، ونرى ان هذه البراهين معقودة بسلسلة من المسائل العقلية ومستواها أعلى من مستوى هذه المقالة لذا نحيلها إلى موضع آخر.

﴿١﴾ سورة الجن: الآية ٢٧.

هذا العلم لا تأثير له في العمل ولا ارتباط له بالتكليف

قضية يجب أن نلتفت إليها هي أن مثل هذا العلم الثابت بموجب الأدلة العقلية والنقلية غير قابل لأي تخلف أو تغير، وبالاصطلاح وهو علم بما ثبت في اللوح المحفوظ، وخبر عما تعلق في قضاء الله.

وضرورة بيان ما سبق أنه ليس هنالك أية علاقة بين أي نوع من التكليف بمتعلقات هذا النوع من العلم ﴿وذلك من جهة كون متعلقات هذا العلم حتمية الوقوع﴾، وكذلك فلا ارتباط لقصد أو طلب الإنسان به؛ لأنه في الوقت الذي يكون فيه التكليف مرتبطاً بالفعل عن طريق الإمكان، والفعل والترك كلاهما في اختيار المكلف فإنهما في مورد طلبه، وأما من جهة كونه ضروري الوقوع ومتعلقاً بالقضاء الحتمي محال ان يكون مورداً للتكليف.

صحيح مثلا ان الله تعالى يقول لعبده: ان العمل الذي فعله وتركه ممكن لك وهو في اختيارك يجب ان تأتيه، ولكنه من المحال أن يقول: إن العمل الذي يجب أن يوجد بموجب مشيئتي التكوينية وقضائي الحتمي والذي ليس في تحققه أي تردد يجب عليك أن تأتيه أو لا تأتيه، فإن مثل هذا الأمر والنهي لغو لا أثر له.

وهكذا فإن الإنسان يمكن أن تكون له الإرادة في الأمر الذي فيه إمكان الحدوث وعدمه، وأن يجعل له قصداً أو هدفاً يسعى جاهداً في تحقيقه لكن لا يمكن ان تكون له الإرادة في الأمر الذي هو حادث يقيناً ويستحيل تغيره وتخلفه والواقع تحت القضاء الحتمي لله سبحانه وتعالى؛ فإرادة الإنسان ليس في وسعها أن تطلب أو تهمل أمراً من ذلك النوع الذي لا بد من تحققه ﴿يرجى التدقيق﴾[1].

﴿١﴾ هكذا وردت العبارة نصا.

يتضح من هذا البيان:

١. إن هـذا العلـم الموهـوب للإمـام عليه السلام لـيس لـه أثـر في أعمالـه وتكاليفـه الخاصة.

وأساساً فإن كل أمر مفروض من جهة تعلقه بالقضاء الحتمي لا علاقة له بالأمر أو النهي أو أداء الإنسان أو قصده، نعم متعلق قضاء الله المحتوم ومشيئته القاطعة تكون مورد الرضا به، كما قال سيد الشهداء وفي آخر ساعة حياته وبينما هو بين التراب والدم قال: ﴿رضا بقضائك وتسليماً لأمرك لا معبود سواك﴾﴿١﴾، وكما قال في خطبة له عند خروجه من مكة: ﴿رضا الله رضانا أهل البيت﴾﴿٢﴾.

٢. إن كون فعل الإنسان حتميا من جهة تعلقه بالقضاء الإلهي لا ينافي كونه اختيارياً له من جهة فعالية الإختيار حيث إن القضاء الإلهي للفعل له تعلق بجميع تفاصيله وليس بمطلق الفعل فحسب.

مثلاً: أراد الله تعالى أن يأتي شخص ما بفعل إختياري باختياره ففي هذه الصورة إن التحقق الخارجي لهذا الفعل الإختياري من جهة أنه متعلق بإرادة الله

﴿١﴾ قال المقرم: ولما اشتدت به الحال رفع طرفه الى السماء وقال: ﴿اللهم متعالى المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، ومدرك ما طلبت، وشكور إذا شكرت، وذكور إذا ذكرت، أدعوك محتاجا، وأرغب إليك فقيرا، وأفزع إليك خائفا، وأبكي إليك مكروبا، وأستعين بك ضعيفا، وأتوكل عليك كافيا، احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا، وخدعونا، وخذلونا، وغدروا بنا، وقتلونا، ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد بن عبد الله، الذى اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على وحيك، فاجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا برحمتك يا أرحم الراحمين﴾

﴿صبرا على قضائك يا رب لاإله سواك، يا غياث المستغيثين، مالي رب سواك ولا معبود غيرك، صبرا على حكمك يا غياث من لا غياث له، يا دائما لا نفاد له، يا محيى الموتى، يا قائما على كل نفس بما كسبت، احكم بينى وبينهم وأنت خير الحاكمين﴾. انظر: المقرم، عبد الرزاق، ص٣٤٤، م س.

﴿٢﴾ ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٣٨، م س.

الحتمية غير قابل للاجتناب، وفي الوقت نفسه اختياري للإنسان ونسبته إليه نسبة الإمكان ﴿يرجى التدقيق﴾[1].

٣. إن قابلية ظاهر أعمال الإمام ﵇ للتفسير بالعلل والأسباب الظاهرية لا يمكن أن يكون دليلاً على عدم وجود هذا العلم الوهبي أو شاهداً على جهله بالواقع، مثلما يقال: إذا كان سيد الشهداء ﵇ له علم بالواقع فلماذا أرسل مسلم بن عقيل إلى الكوفة كوكيل له؟ ولماذا أرسل الصيداوي كتابه إلى أهل الكوفة؟ ولماذا ألقى نفسه إلى التهلكة مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[2]؟ ولماذا؟ ولماذا؟ فإن ما ذكرناه رد على هذه الأسئلة ولا معنى من تكراره.

القسم الثاني: علم الإمام العادي:

الرسول ﷺ بنص القرآن الكريم وكذلك الأئمة ﵈ من عترته الطاهرة كلهم بشر مثل سائر أفراد البشر، والأعمال التي يقومون بها من خلال مسيرة حياتهم هي مثل أعمال سائر أفراد البشر، تكون في مجرى اختيارهم وعلى أساس العلم العادي.

الإمام ﵇ مثل الآخرين يشخصون الخير، والشر، والنفع، والضرر.. والأعمال كلها عن طريق العلم العادي، وما يراه لائقاً من هذه الأعمال فهو يريدها ويسعى ويجد في القيام بها، ووقتها تكون فيها العلل والعوامل والأوضاع والأحوال الخارجية مناسبة تتحقق غايتها، وفي حال كون الأسباب والشرائط غير مساعدة لا تتحقق غايتها.

﴿وعلم الإمام ﵇ بإذن الله بكل جزئيات الحوادث الماضية والآتية لا تأثير له على أعماله الإختيارية ذلك كما تم بيانه﴾.

﴿١﴾ هكذا وردت العبارة نصا.

﴿٢﴾ البقرة: ١٩٥.

الإمام مثل سائر أفراد البشر عبد الله مكلف وموظف بالمقررات والتكاليف الدينية، ونظراً لمنزلته القيادية التي أعطيت له من الله تعالى وجب أن يؤديها بالموازين البشرية العادية، وأن يبذل أقصى جهده في إحياء كلمة الحق والحفاظ على الدين.

نهضة سيد الشهداء وهدفها:

بنظرة عابرة مجملة في أحوال تلك الأيام يمكننا تصور تصميم وإقدام سيد الشهداء عليه السلام.

إن أقسى وأظلم الأيام في أحداث التاريخ الإسلامي التي حلت بآل بيت الرسالة وشيعتهم كانت خلال فترة حكومة عشرين سنة لمعاوية﴿١﴾.

فمعاوية بعدما وضع يده على الخلافة الإسلامية بكل وسائل المكر والدهاء، وبعدما اصبح حاكما بلا شرط أو قيد على البلاد الإسلامية الواسعة، صرف كل قواه في تقوية ملكه ومحو وجود أهل بيت الرسالة، وليس هذا فحسب بل في محو وإعدام ذكرهم من ألسنة الناس، وقد ضم جماعة من أصحاب رسول الله الذين كانوا موضع ثقة الناس آنذاك تحت سلطته﴿٢﴾، وافتلعت هذه الجماعة احاديث في

﴿١﴾ أمسك معاوية السلطة سنة ﴿٤٠ هـ﴾ بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بستة أشهر، وهلك سنة ﴿٦٠ هـ﴾.

﴿٢﴾ كأبي هريرة، وسمرة بن جندب، وعمرو بن العاص، وآخرين... روى الاعمش قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة ﴿ سنة ٤١ ﴾ ﴿وهو في الحقيقة عام الفرقة﴾ جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مرارا وقال يا أهل العراق! أتزعمون أني ﴿أكذب﴾ على رسول الله وأحرق نفسي بالنار! ﴿والله﴾ لقد سمعت رسول الله يقول: إن لكل نبي حرما، وإن حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور ﴿١﴾، فمن أحدث فيهما حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها!! فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة. انظر: محمود أبو رية، شيخ المضيرة أبو هريرة، ط الثالثة ١٩٧٠م، طبع ونشر: دار المعارف ـ مصر، ص ٢٣٦.

مدح الصحابة وذم أهل البيت[١]، وأمر كل المنابر في سائر أنحاء البلدان الإسلامية بسب ولعن أمير المؤمنين وجعله فريضة دينية[٢]. وعبر آياديه مثل زياد بن أبيه، وسمرة بن جندب، وبسر بن أرطأة، وأمثال هؤلاء.. بعث وراء شيعة أهل البيت في كل مكان لأجل القضاء عليهم ومحو وجودهم، ولم يتورع لأجل ذلك من استخدام الذهب، والكذب، والترغيب، والترهيب غاية إمكانه.

وفي ظل هذه الأجواء وصل الأمر إلى نفرة الناس من ذكر اسم علي وآل وعلي، وقطيعة كل من له مودة ومحبة بهم حفاظاً على النفس، والمال، والعرض.

فبالنظر إلى هذا الموضوع يمكننا معرفة لماذا لم تنقل عن سيد الشهداء سلام الله عليه رواية واحدة في أي من أبواب الفقه الإسلامي طوال مدة إمامته التي بلغت عشرة سنين غير الأشهر الأخيرة والتي كان فيها معاصراً لمعاوية مع أنه كان إمام وقته ومبيناً لمعارف أحكام الدين ﴿ويقصد بالروايات هنا التي نقلها الناس وليس أهل بيته والأئمة من بعده﴾[٣] ومن هنا نعلم أن إقبال الناس على أهل البيت في ذلك الوقت وصل إلى درجة الصفر.

إن ذلك الإختناق والضغط الذي ملأ محيط العالم الإسلامي وقف حائلاً يمنع الإمام الحسين عليه السلام في أن يستمر في حرب معاوية إذ لم يكن فيه أدنى فائدة، وذلك:

﴿١﴾ عقد الشيخ الأميني تَنُسِّ في غديره فصلا خاصا جمع فيه الكثير من الخزعبلات التي كانت تروى كفضائل للصحابة، وسماه ﴿**أحاديث الغلو أو قصص الخرافة**﴾. انظر: الأميني، عبد الحسين، الغدير، ج٧ص٢٧٣، م س.

﴿٢﴾ ذكر هذه الظاهرة جمع من المؤرخين، ومنهم الحموي حيث ينقل: ﴿أنه لعن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، على منابر الشرق والغرب...﴾. انظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ط ـ سنة ـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ج٣ص١٩١.

﴿٣﴾ بل يمكن أن نفهم السر في عدم قدرة الإمام الحسين عليه السلام على تربية العلماء كما فعل الباقر والصادق عليهما السلام بهذه النكتة، وهي ابتعاد الناس عنهم نتيجة الضغط الإرهاب الأموي.

أولاً: لأن معاوية كان قد أخذ البيعة منه﴿١﴾.

﴿١﴾ اختطفت البيعة من الحسين عليه السلام وباقي رجال الأمة خطفا تحت بريق السيوف. قال ابن الأثير: ﴿كان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبة فإن معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك فقال: الرأي أن أشخص إلى معاوية فأستعفيه ليظهر للناس كراهتي للولاية. فسار إلى معاوية وقال لأصحابه حين وصل إليه: إن لم أكسبكم الآن ولاية وإمارة لا أفعل ذلك أبدا، ومضى حتى دخل على يزيد وقال له: إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكبراء قريش وذوو أسنانهم وإنما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وأعلمهم بالسنة والسياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة؟ قال: أو ترى ذلك يتم؟ قال: نعم. فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة، فأحضر المغيرة وقال له: ما يقول يزيد؟ فقال: يا أمير المؤمنين! قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفي يزيد منك خلف فاعقد له، فإن حدث بك حادث كان كهفا للناس، وخلفا منك، ولا تسفك دماء، ولا تكون فتنة. قال: ومن لي بهذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك. قال: فارجع إلى عملك وتحدث مع من تثق إليه في ذلك، وترى ونرى.

فودعه ورجع إلى أصحابه فقالوا: مه؟ قال: لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد، وفتقت عليهم فتقا لا يرتق أبدا. وتمثل:

بمثلي شاهدي نجوى وغالى ... بي الأعداء والخصم الغضابا

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة وذاكر من يثق إليه ومن يعلم أنه شيعة لبني أمية أمر يزيد، فأجابوا إلى بيعته فأوفد منهم عشرة ويقال أكثر من عشرة. وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة، وقدموا على معاوية فزينوا له بيعة يزيد، ودعوه إلى عقدها. فقال معاوية: لا تعجلوا بإظهار هذا وكونوا على رأيكم، ثم قال لموسى: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بثلاثين ألفا. قال: لقد هان عليهم دينهم.

وقيل: أرسل أربعين رجلا وجعل عليهم ابنه عروة، فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا: إنما أشخصهم إليه النظر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقالوا: يا أمير المؤمنين! كبرت سنك وخفنا انتشار الحبل، فانصب لنا علما، وحد لنا حدا ننتهي إليه، فقال: أشيروا علي، فقالوا: نشير بيزيد بن أمير المؤمنين، فقال: أوقد رضيتموه؟ قالوا: نعم، قال: وذلك رأيكم؟ قالوا: نعم، ورأي من وراءنا، فقال معاوية لعروة سرا عنهم: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بأربعمائة دينار. قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصا، وقال لهم: ما نظر ما قدمتهم له ويقضي الله ما أراد، والأناة خير من العجلة. فرجعوا وقوي عزم معاوية على البيعة ليزيد، فأرسل إلى زياد يستشيره،

فأحضر زياد عبيد بن كعب النميري وقال له: إن لكل مستشير ثقة، ولكل سر مستودعا، وإن الناس قد أبدع بهم خصلتان: إذاعة السر، وإخراج النصيحة إلى غير أهلها، وليس موضوع السر إلا أحد رجلين: رجل آخرة يرجو ثوابها، ورجل دنيا له شرف في نفسه، وعقل يصون حسبه، و قد خبرتهما منك، وقد دعوتك لأمر اتهمت عليه بطون الصحف: إن أمير المؤمنين كتب يستشيرني في كذا وكذا، وإنه يتخوف نفرة الناس، ويرجو طاعتهم، وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم، ويزيد صاحب رسلة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد، فألق أمير المؤمنين وأد إليه فعلات يزيد وقل له: رويدك بالأمر فأحرى لك أن يتم لك، لا تعجل فإن دركا في تأخير خير من فوت في عجلة. فقال له عبيد: أفلا غير هذا؟ قال: وما هو؟ قال: لا تفسد على معاوية رأيه، ولا تبغض إليه ابنه، وألقي أنا يزيد فأخبره أن أمير المؤمنين كتب إليك، يستشيرك في البيعة له، وإنك تتخوف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونها عليه، و إنك ترى له ترك ما ينقم عليه لتستحكم له الحجة على الناس، ويتم ما تريد فتكون قد نصحت أمير المؤمنين وسلمت مما تخاف من أمر الأمة. فقال زياد: لقد رميت الأمر بحجره، أشخص على بركة الله، فإن أصبت فما لا ينكر، وإن يكن خطأ فغير مستغش، وتقول بما ترى، ويقتضي الله بغيب ما يعلم، فقدم على يزيد فذكر ذلك له فكف عن كثير مما كان يصنع، وكتب زياد معه إلى معاوية يشير بالتوئدة وأن لا يعجل، فقبل منه، فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد، فأرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر: هذا أراد، إن ديني إذن لرخيص وامتنع.

ثم كتب معاوية بعد ذلك إلى مروان بن الحكم: إني قد كبرت سنّي، ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الأمّة بعدي، وقد رأيتُ أن أتخيّر لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمراً دون مشورة مَن عندك. فاعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردُّون عليك. فقام مروان في الناس فأخبرهم به، فقال الناس: أصاب ووفّق، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألو.

فكتب مروان إلى معاوية بذلك فأعاد إليه الجواب يذكر يزيد، فقام مروان فيهم وقال: إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده. فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: ﴿كذبت والله يا مروان وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل﴾.

فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه ﴿والذي قال لوالديه أفٍ لكما﴾ فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت: ﴿يا مروان يا مروان﴾ فأنصت الناس، وأقبل مروان بوجهه فقالت: أنت القائل لعبد الرحمن أنه نزل فيه القرآن! كذبت والله ما هو ولكنه فلان بن فلان، ولكنك أنت فضض من لعنه نبي الله، وقام الحسين بن علي فأنكر ذلك وفعل مثله ابن عمر، وابن الزبير، فكتب

مروان بذلك إلى معاوية. وكان معاوية قد كتب إلى عماله بتقريظ يزيد ووصفه، وأن يوفدا إليه الوفود من الأمصار، فكان فيمن أتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة، والأحنف بن قيس في وفد أهل البصرة، فقال محمد بن عمرو لمعاوية: ﴿إن كل راع مسؤول عن رعيته فانظر من تولي أمر أمه محمد. فأخذ معاوية بُهر - أي انبهر- حتى جعل يتنفس في يوم شات ثم وصله وصرفه، وأمر الأحنف أن يدخل على يزيد، فدخل عليه فلما خرج من عنده قال له: كيف رأيت ابن أخيك؟ قال: رأيت شباباً، ونشاطاً، وجلداً، ومزاحاً.

ثم أن معاوية قال للضحاك بن قيس الفهري لما اجتمع الوفود عنده: إني متكلم فإذا سكتُ فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحثني عليها، فلما جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر الإسلام، وحرمة الخلافة وحقها، وما أمر الله به من طاعة ولاة ألأمر، ثم ذكر يزيد وفعله وعلمه بالسياسة، وعرض ببيعته، فعارضه الضحاك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ﴿يا أمير المؤمنين إنه لا بد للناس من وال بعدك، وقد بلونا الجماعة والألفة فوجدناهما أحقن للدماء، وأصلح للدهماء، وآمن للسبل، وخيراً في العاقبة، والأيام عوج رواجع، والله كل يوم هو في شأن، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حُسن هديه، واجعله لنا علماً بعدك، ومفزعاً نلجأ إليه ونسكن في ظله﴾.

وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق بنحو من ذلك، ثم قام يزيد بن المقنع العذري فقال: ﴿هذا أمير المؤمنين﴾، وأشار إلى معاوية ﴿فإن هلك فهذا﴾، وأشار إلى يزيد ﴿ومن أبى فهذا﴾، وأشار إلى سيفه، فقال معاوية: أجلس فأنت سيد الخطباء.

وتكلم من حضر من الوفود، فقال معاوية للأحنف ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: نخافُكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله تعالى وللأمة رضا فلا تُشاور فيه، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا، وأنت صائر إلى الآخرة، وإنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا.

وقام رجل من أهل الشام فقال: ما ندري ما تقول هذه المعدية العراقية وإنما عندنا سمع وطاعة، وضرب وازدلاف. فتفرق الناس يحكون قول الأحنف، وكان معاوية يعطي المقارب، ويداري المباعد، ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس، وبايعه. فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز في ألف فارس، فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي أول الناس، فلما نظر إليه قال ـ معاوية ـ: لا مرحبا ولا أهلا بُدنة يترقرق دمها والله مهريقه قال: قال مهلا فإني والله لست بأهل لهذه المقالة. قال: بلى ولشر منها.

ولقيه ابن الزبير فقال: لا مرحبا ولا أهلا خب ضب تلعة، يدخل رأسه، ويضرب بذنبه، ويوشك الله أن يؤخذ بذنبه، ويدق ظهره نَحِّياه عني. فضرب وجه راحلته.

ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر فقال له معاوية: لا أهلا ولا مرحبا، شيخ قد خرف وذهب عقله، ثم أمر فضرب وجه راحلته.

ثم فعل بابن عمر نحو ذلك، فأقبلوا معه لا يتلفت إليهم حتى دخل المدينة، فحضروا بابه فلم يؤذن لهم على منازلهم، ولم يروا منه ما يحبون، فخرجوا إلى مكة فأقاموا بها، وخطب معاوية بالمدينة فذكر يزيد فمدحه وقال: من أحقُ منه بالخلافة في فضله، وعقله، وموضعه، وما أظن قوماً بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم، وقد أنذرت إن أغنت النذر، ثم أنشد متمثلاً:

قد كنت حذرتك آل المصطلق ... وقلت يا عمرو أطعني وانطلق

إنك إن كلفتني ما لم أطق ... ساءك ما سرّك مني من خلق

دونك ما استسقيته فاحس وذق

ثم دخل على عائشة، وقد بلغها أنه ذكر الحسين وأصحابه فقال: لأقتلنهم إن لم يُبايعوا، فشكاهم إليها، فوعظته وقالت له: بلغني أنك تتهددهم بالقتل، فقال: يا أم المؤمنين هم أعز من ذلك، ولكني بايعت ليزيد وبايعه غيرهم، أفترين أن أنقض بيعة قد تمت؟ قالت: فارفق بهم فإنهم يصيرون إلى ما تحب إن شاء الله قال: أفعل.

وكان في قولها له: ما يؤمنك أن أقعد لك رجلا يقتلك وقد فعلت بأخي ما فعلت؟ تعني أخاها محمداً، فقال لها: كلا يا أم المؤمنين إني في بيت أمن. قالت: أجل.

ومكث بالمدينة ما شاء الله، ثم خرج إلى مكة فلقيه الناس، فقال أولئك النفر: نتلقاه فلعله قد ندم على ما كان منه، فلقوه ببطن مر، فكان أول من لقيه الحسين فقال له معاوية: مرحباً وأهلا يا بن رسول الله، وسيد شباب المسلمين. فأمر له بدابة فركب وسايره، ثم فعل بالباقين مثل ذلك، وأقبل يُسايرهم لا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة، فكانوا أول داخل وآخر خارج، ولا يمضي يوم إلا ولهم صلة، ولا يذكر لهم شيئاً حتى قضى نسكه، وحمل أثقاله، وقرب مسيره، فقال بعض أولئك النفر لبعض: لا تُخدعوا فما صنع بكم هذا لحبكم، وما صنعه إلا لما يريد، فأعدوا له جوابا.

فاتفقوا على أن يكون المخاطب له ابن الزبير، فأخرهم معاوية وقال: قد علمتم سيرتي فيكم، وصلتي لأرحامكم، وحملي ما كان منكم، ويزيد أخوكم، وابن عمكم، وأردت أن تقدموه باسم الخلافة، وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمّرون، وتجبون المال وتقسمونه، لا يعارضكم في شيء من ذلك. فسكتوا فقال: ألا تجيبون؟ مرتين.

ثم أقبل على ابن الزبير فقال: هات لعمري إنك خطيبهم، فقال: نعم. نخيّرك بين ثلاث خصال. قال: أعرضهن. قال: تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو كما صنع أبو بكر، أو كما صنع عمر. قال معاوية: ما صنعوا؟ قال: قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يستخلف أحداً فارتضى الناس أبا

وثانياً: أن معاوية قد عرف نفسه بين الناس على أنه كاتب للوحي، وصحابي رسول الله، وموضع ثقة الثلاثة من الخلفاء الراشدين، وجعل لنفسه لقباً اعتبره مقدساً وهو ﴿خال المؤمنين﴾.

وثالثاً: استطاع بمكر ودهاء أن يقتل الإمام الحسن عليه السلام، ثم اظهر انتقامه من قاتليه، وأقام له مجلس عزاء.

لقد أوصل معاوية وضع حياة الإمام الحسن عليه السلام إلى حد لم يكن له أقل أمنية حتى داخل بيته فعندما أراد أخذ البيعة ليزيد من الناس قتل الإمام عليه السلام بالسم

بكر. قال: ليس فيكم مثل أبا بكر، وأخاف الاختلاف. قالوا: صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر فإنه عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه، وإن شئت فاصنع كما صنع عمر جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده، ولا من بني أبيه.

قال معاوية: هل عندك غير هذا؟ قال: لا. ثم قال: فأنتم. قالوا: قولنا قوله. قال: فإني قد أحببت أن أتقدم إليكم. إنه قد أعذر من أنذر. إني كنت أخطب فيكم فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فأحمل ذلك وأصفح، وإني قائم بمقالة فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقيِن رجل على نفسه.

ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين، ومع كل واحد سيف فإن ذهب رجل منهم يردِ علي كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما.

ثم خرج. وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يبتز أمر دونهم، ولا يقضى إلا عن مشورتهم، وإنهم رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله. فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر، ثم ركب رواحله وانصرف إلى المدينة فلقي الناس أولئك النفر فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون فلم رضيتم وأعطيتم وبايعتم؟ قالوا: والله ما فعلنا. فقالوا: ما منعكم أن تردَوا على الرجل؟ قالوا: كادنا وخفنا القتل، وبايعه أهل المدينة، ثم انصرف إلى الشام وجفا بني هاشم، فأتاه ابن عباس فقال له: ما بالك جفوتنا. قال: إن صاحبكم لم يُبايع ليزيد فلم تنكروا ذلك عليه. فقال: يا معاوية إني لخليق أن أنحاز إلى بعض السواحل فأقيم به ثم أنطلق بما تعلم حتى أدَعَ الناس كلهم خوارج عليك. قال: يا أبا العباس تعطون وترضون وتزادون.

انتهى، انظر: الكامل في التاريخ، ، محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، ط الرابعة ٢٠٠٦م، منشورات: دار الكتب العلمية - بيروت، ج٣ص٤٩.

بيد زوجته[١].

وأما ما قام به سيد الشهداء بعد مضي معاوية وهو الوقوف في وجه يزيد وفدي نفسه وأقربائه وحتى طفله الرضيع في هذا الطريق لم يكن ليقدر على مثل هذا طوال وقت وجود معاوية، فالحق كان ظاهراً معه[٢] وبالنظر إلى البيعة التي أخذها فإن شهادة الحسين لم يكن لها أدنى فائدة أو تأثير.

كان هذا خلاصة الوضع السيء الذي أوجده معاوية في محيط الإسلام فقد أغلق باب بيت رسول الله كلياً، وأسقط تمام أثر أهل البيت.

موت معاوية وخلافة يزيد:

الضربة الأخيرة التي وجهها معاوية إلى هيكل الإسلام والمسلمين كان استبداله الخلافة الإسلامية بسلطنة استبدادية وراثية، ووضعه ابنه يزيد محله في الوقت الذي لم تكن ليزيد أية مظاهر تديّن شخصية ﴿حتى من باب التظاهر والرياء﴾، وكان يصرف كل أوقاته علناً في اللعب، والغناء، والسكر، والعربدة، واللهو، والرقص مع القرود. ولم يكن يحترم المقررات الدينية. وإضافة إلى كل هذا لم يكن له اعتقاد لا بدين ولا دستور[٣]، وكما أنه حينما دخل أسارى أهل البيت

﴿١﴾ قال الأصفهاني: ﴿ودسَّ معاوية إليه ـ أي الحسن عليه السلام ـ حين اراد ان يعهد إلى يزيد بعده وإلى سعد بن ابي وقاص سما فماتا منه في ايام متقاربة. وكان الذي تولى ذلك من الحسن زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية﴾. انظر: الاصفهاني، ابو الفرج ، مقاتل الطالبيين، ط: الثانية، سنة ـ، المطبعة: المكتبة الحيدرية في النجف، الناشر: مؤسسة دار الكتاب ـ قم، تحقيق: كاظم المظفر، ص٣١.

﴿٢﴾ أي مع معاوية.

﴿٣﴾ قال ابن سعد: ﴿لما وثب أهل المدينة ليالي الحرة فأخرجوا بني أمية عن المدينة وأظهروا عيب يزيد بن معاوية وخلافه، أجمعوا على عبد الله بن حنظلة فأسندوا أمرهم إليه، فبايعهم على الموت وقال: يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن رجلا ينكح الامهات، والبنات، والاخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو

ورؤوس شهداء كربلاء دمشق خرج يتفرج عليهم فوصل نعيب الغراب إلى المسامع يقول:

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل ... فلقد قضيت من الرسول ديوني﴿١﴾

وكذلك حينما أتوا بأسارى أهل البيت ورأس سيد الشهداء المقدس في محضره تغنى في قصيدة كان من ضمنها هذا البيت:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل﴿٢﴾

إن حكم يزيد الذي كان توأماً لسياسة معاوية أبان للإسلام والمسلمين تكليفه ومنه شكل رابط أهل بيت الرسالة مع المسلمين ومع شيعتهم ﴿والذي كان من الممكن نسيانه على الإطلاق﴾﴿٣﴾.

في مثل هذه الشرائط فإن الوسيلة الوحيدة والعامل الأكثر تأثيراً في الإسقاط

لم يكن معي أحد من الناس لابليت لله فيه بلاء حسنا﴾. انظر: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ط ـ سنة ـ، الناشر: دار صادر ـ بيروت، ج٥ص٦٦.

﴿١﴾ عن الزهري انه لما جاءت الرؤوس كان يزيد في منظرة على جيرون فانشد لنفسه:

لما بدت تلك الحمول واشرقت ... تلك الشموس على ربي جيرون
نعب الغراب فقلت صح اولا تصح ... فلقد قضيت من الغريم ديوني

انظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٢١٨، م س.

﴿٢﴾ قال الطاغية عليه اللعنة والعذاب لما أطلت عليه الرؤوس متمثلا بأبيات ابن الزبعرى:

ليت اشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحا ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لعبت هاشم بالملك فلا ... خبرجاء ولا وحي نزل
قد قتلنا القرم من اسيادهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل
لست من خندف ان لم انتقم ... من بني احمد ما كان فعل

الأبيات لابن الزبعرى، وتمثل بها يزيد. انظر: الطبري ، ابوجعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٨ص١٧٨، م س.

﴿٣﴾ كذا في المصدر، والعبارة مربكة كما ترى.

القطعي لأهل البيت، وهدم بنيان الحق والحقيقة كان مبايعة سيد الشهداء ليزيد وقبوله له خليفة مفترض الطاعة لرسول الله.

الإمام وبيعة يزيد:

إن سيد الشهداء سلام الله عليه وبالنظر إلى إمامته وقيادته الواقعية التي كانت له، ما كان له أن يبايع يزيد أو يقدم على عمل يسحق بنيان الدين، فلم يكن له تكليف آخر غير أن يمتنع عن مثل هذه البيعة، وما أراد الله منه غير ذلك.

أثر الإمتناع عن البيعة:

ومن هنا فإن أثر الامتناع عن البيعة كان مراً وسيّئاً إذ أن القدرة المخيفة، والمقاومة[١] الغير مغلوبة في ذلك الوقت كانت تريد البيعة لها من كل العالم.. كانت تطلب البيعة أو الرأس[٢]، وما كانت لتقنع لغير ذلك، ومن هنا فإن قتل الإمام سلام الله عليه في حالة امتناعه عن البيعة كان قطعياً ولازماً لا فكاك منه.

إن سيد الشهداء عليه السلام ونظراً لرعايته مصلحة الإسلام والمسلمين صمم تصميماً قطعياً على الإمتناع عن البيعة، وبالتالي الإستشهاد وهذا هو معنى ما ورد في بعض الأخبار أن رسول الله قال له في المنام: شاء الله أن يراك قتيلاً[٣]. أو في غيرها أنه قال لبعض الناصحين له بعدم الخروج: شاء الله أن يراني قتيلاً. وعلى أية حال فإن ذلك كان مراد المشيئة التشريعية لا التكوينية مثلما أوضحناه سابقاً، فإن

﴿١﴾ المقصود بالمقاومة: القوة، ويعني بها قوة الدولة آنذاك.

﴿٢﴾ كان نص الكتاب الذي كتبه يزيد ـ بعد هلاك معاوية ـ لعامله على المدينة: ﴿إذا أتاك كتابي هذا، فأحضر الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث لي برؤوسهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم ...﴾ انظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ط ـ سنة ـ، المطبعة: دار صادر ـ بيروت، الناشر: مؤسسة ونشر فرهنك أهل البيت عليهم السلام ـ قم، ج٢صد٢٤١.

﴿٣﴾ انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسني، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٣٩، م س.

المشيئة التكوينية ليس لها تأثير على الإرادة والفعل.

ترجيح الموت على الحياة:

نعم.. إن سيد الشهداء صمم [على] الإمتناع عن البيعة، ونتيجته القتل، ورجح الموت على الحياة، وقد أثبتت سيرة الحوادث إصابة نظرته سلام الله عليه، فقد سجل بشهادته وبذلك الألم مظلومية وحقانية أهل البيت. وبعد شهادته استمرت تلك النهضات والدماء اثنتي عشرة سنة، وبعد هذا كله فإن البيت﴿١﴾ الذي كان في زمانه لم يعرف أحد دربه، وبالهدوء النسبي الذي ساد في زمان الإمام الخامس عليه السلام ﴿٢﴾ فإن الشيعة قد انهالوا كالسيل من كافة الأطراف والأكتاف على باب ذلك البيت.

إن حقانية ونورانية سيد الشهداء قد وصلت إلى كل سمع وكل جزء من العالم مضيئة متلألئة، وأصبح مقامه الحقاني توأما مع مظلومية أهل البيت وفي طليعتهم سيد الشهداء.

والآن وبمقايسة وضع أهل الرسالة وعلاقة الناس معهم في زمانه من الوضع الذي أصبح بعد شهادته بمدة أربعة عشر قرناً والذي يتجدد بمرور السنين يوضح لنا النظرة الواضحة التي كان يحملها عليه السلام وقد تكون في هذه الأبيات التي تروى عنه إشارة إلى ذلك:

وما أن طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا﴿٣﴾

﴿١﴾ يعني بيت أهل البيت عليهم السلام حيث ابتعد الناس عنه حفاظاً على أنفسهم وخوفاً من بطش السلطة.

﴿٢﴾ الإمام الباقر عليه السلام حيث شيد جامعة الإسلام الكبرى لعلوم أهل البيت.

﴿٣﴾ هذا البيت من مجموعة أبيات لفروة بن مسيك المرادي، تمثل بها الحسين عليه السلام خلال إحدى خطبه أمام الأعداء في ساحة كربلاء. قال عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي وصلى عليه: ﴿تبا لكم ايتها الجماعة وترحا، احين استصرختمونا والهين، فاصرخنا كم موجفين، سللتم علينا سيفا لنا في ايمانكم، وحششتم علينا نارا قدحناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم ألبا على

اوليائكم، ويدا عليهم لاعدائكم، بغير عدل افشوه فيكم، ولا امل اصبح لكم فيهم، الا الحرام من الدنيا انالو كم، وخسيس عيش طمعتم فيه، من غير حدث كان منا ولا رأي تفيل لنا، فهلا لكم الويلات، اذ كرهتمونا وتركتمونا تجهزتموها، والسيف مشيم، والجاش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن اسرعتم إليها كطيرة الدبا، وتداعيتم إليها كتداعي الفراش، فسحقا لكم يا عبيد الامة، وشذاذ الاحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة اولاد الانبياء، ومبيدي عترة الاوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ ائمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، ولبئس ما قدمت لهم انفسهم وفي العذاب هم خالدون.

أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون. اجل والله الخذل فيكم معروف، وشجت عليه اصولكم. وتأزرت عليه فروعكم، وثبتت عليه قلوبكم، وغشيت صدوركم، فكنتم اخبث ثمر شجا للناظر، واكلة للغاصب. الا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا، فانتم والله هم.

الا وان الدعي ابن الدعي قدر كزبين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبي الله ذلك لنا، ورسوله، والمؤمنون، وجدود طابت، وحجور طهرت، وانوف حمية، ونفوس ابية، لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام.

الا قد اعذرت وانذرت، الا واني زاحف بهذه الاسرة مع قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلان الناصر.

ثم وصل عليه السلام كلامه بابيات فروة بن مسيك المرادي، فقال:

فـــان نهـــزم فهزامـــون قـــدما	وان نغلـــب فغــير مغلبينـــا
ومـــا إن طبنـــا جـــبن ولكـــن	منايانـــا ودولـــة آخرينـــا
إذا مـــا المـــوت رفـــع عـــن انـــاس	كلاكلـــه انـــاخ بآخرينـــا
فـــافنى ذلكـــم ســـروات قـــومي	كمـــا افنـــى القـــرون الاولينـــا
فلـــو خلـــد الملـــوك اذن خلـــدنا	ولـــو بقـــي الكـــرام اذن بقينـــا
فقـــل للـــشامتين بنـــا افيقـــوا	ســـيلقى الـــشامتون كمـــا لقينـــا

ثم قال عليه السلام اما والله لا تلبثون بعدها الاكريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده الي ابي عن جدي، فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة، ثم اقضوا الي ولا تنظرون. اني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الاهو آخذ بناصيتا ان ربي على صراط مستقيم.

ولذلك كان معاوية قد وصى يزيد بعدم التعرض للحسين إن امتنع عن البيعة﴿١﴾ لا حباً له وإنما لمعرفته إن تعرض له يزيد فإن الحسين سيظل ممتنعاً عن البيعة حتى وان قتل، وان حدث فإن أهل البيت سوف تظهر مظلوميتهم، وهذا اخطر ما يكون على السلطة الأموية، وهو أفضل وسيلة لتبليغ رسالة أهل البيت.

إشارات الإمام المختلفة إلى وظيفته:

إن سيد الشهداء كان عارفاً بوظيفته الإلهية والتي كانت الإمتناع عن البيعة، وكان عالماً أن امتناع البيعة لازماً لا ينفك عن قتله، وأنه عليه إجراء الوظيفة الإلهية والتي هي الشهادة، وقد كشف عن هذا المعنى في مقامات مختلفة، وبتعبيرات مختلفة. فقد قال في مجلس حاكم المدينة حينما طلب منه البيعة: مثلي لا يبايع مثل يزيد﴿٢﴾،

اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كاسا مصبرة، ولا يدع فيهم احدا الا قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولا وليائي واهل بيتي واشياعي منهم، فانهم غرونا، وكذبونا، وخذلونا، وانت ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير﴾. الأمين، س. محسن، لواعج الأشجان، ص١٢٩.

﴿١﴾ قال الطبري: ﴿ان معاوية لما مرض مرضته التى هلك فيها دعا يزيد ابنه فقال: يا بنى إنى قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد، وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن على، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبى بكر. فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين بن على فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحما ماسة وحقا عظيما، وأما ابن أبى بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم، ليس له همة إلا في النساء واللهو، وأما الذى يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إربا إربا...﴾. انتهى. انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٤ص٢٣٨، م س.

﴿٢﴾ كان جواب الإمام الحسين عليه السلام للوالي الأموي عندما دعاه للبيعة: ﴿**أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون،**

وحينما خرج من المدينة ليلاً نقل عن جده رسول الله ما قاله له في منامه: إن الله شاء[١] ـ أي بعنوان التكليف ـ.

وفي خطبة له عند خروجه من مكة ـ رداً على رجل أراد تغيير عزمه عن التوجه نحو الكوفة ـ كرر ذلك[٢]، وفي رد لأحد الاعراب الذي كان يصر على الإمام أن يصرف وجهه عن الذهاب إلى الكوفة؛ لكي لا يقتل قال: إن هذا الرأي

وننظر وتنظرون، أينا أحق بالبيعة والخلافة﴾. انظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٤ص٣٢٥، م س.

﴿١﴾ روى الصدوق أن الحسين عليه السلام لما أراد الخروج من المدينة، ذهب ليودع قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنام على القبر، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول له: ﴿بأبي أنت، كأني أراك مرملا بدمك بين عصابة من هذه الامة، يرجون شفاعتي، مالهم عند الله من خلاق، يا بني إنك قادم على أبيك وامك وأخيك، وهم مشتاقون إليك، وإن لك في الجنة درجات لا تنالها إلا بالشهادة. فانتبه الحسين عليه السلام من نومه باكيا، فأتى أهل بيته، فأخبرهم بالرؤيا...﴾. انظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الأمالي، ط الأولى ١٤١٧هـ، الناشر: مؤسسة البعثة، تحقيق: قسم الدراسات في مؤسسة البعثة ـ قم، ص٢١٧.

﴿٢﴾ الرجل الذي أراد أن يغير رأيه هو أخوه محمد بن الحنفية، فقد روى الصدوق عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ﴿سار محمد بن الحنفية الى الحسين في الليلة التى أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال: يا أخى إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه. فقال: يا أخى قد خفت أن يغتالنى يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذى يستباح به حرمة هذا البيت، فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحى البر فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد. فقال: أنظر فيما قلت. فلما كان السحر إرتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه، فأخذ زمام ناقته التى ركبها. فقال له: يا أخى ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلا؟ فقال: أتانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء ان يراك قتيلا، فقال له ابن الحنفية: انا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال: فقال له: قد قال لى: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا. وسلم عليه ومضى...﴾. انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسني، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٣٩، م س.

ليس مخفياً علي لكن هؤلاء لا يرفعون أياديهم عن طلبي وأينما ذهبت فإنهم قاتلي ﴿١﴾.

﴿بعض الروايات يمكن أن لا تكون سالمة من معارض، وبعضها قد لا يكون

﴿١﴾ اعترض جمع من الصحابة وأبنائهم على خروج الحسين، وحاولوا ثنيه عن ذلك دون جدوى، فقد ﴿جاءه أبو بكر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فنهاه عن الخروج إلى العراق، فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله خيرا يا ابن عم قد اجتهدت رأيك ومهما يقض الله يكن.

وجاءه عبد الله بن عباس فنهاه عن الخروج ايضا، فقال: استخير الله وانظر ما يكون.

ثم اتاه مرة ثانية فاعاد عليه النهي وقال: ان ابيت الا الخروج إلى اليمن، فقال الحسين عليه السلام: يا ابن عم اني والله لاعلم انك ناصح مشفق، وقد ازمعت واجمعت المسير. ثم خرج ابن عباس فمر بابن الزبير وانشد:

يالــــك مـــــن قـــــبرة بمعمـــــر	خـــلا لــك الجـــو فبيـــضي واصـــفري
ونقـــري مـــا شـــئت ان تنقـــري	هـــذا حـــسين خـــارج فأبـــشري

وجاءه عبد الله بن الزبير فاشار عليه بالعراق، ثم خشي ان يتهمه فقال لو اقمت لما خالفنا عليك.

فلما خرج ابن الزبير قال الحسين عليه السلام: ان هذا ليس شئ احب إليه من ان اخرج من الحجاز.

وجاءه عبد الله بن عباس وعبدا الله بن الزبير فاشارا عليه بالامساك عن المسير إلى الكوفة، فقال لهما: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد امرني بأمر، وانا ماض فيه، فخرج ابن عباس وهو يقول: واحسيناه.

ثم جاءه عبد الله بن عمر فأشار عليه بصلح اهل الضلال، وحذره من القتل والقتال، فقال له: يا ابا عبد الرحمن اما علمت ان من هوان الدنيا على الله ان رأس يحي بن زكريا اهدي إلى بغي من بغايا بني اسرائيل؟ اما تعلم ان بني اسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيا، ثم يجلسون في اسواقهم يبيعون ويشترون، كأن لم يصنعوا شيئا؟ فلم يجعل الله عليهم، بل اخذهم بعد ذلك اخذ عزيز ذي انتقام. اتق الله يا ابا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي، وكان الحسين عليه السلام يقول: **وأيم الله لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلوني،** والله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت، والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلط الله علهيم من يذلهم حتى يكونوا اذل من فرام المرأة﴾. أنظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٧٠.

سندها خال من ضعف، لكن بملاحظة الأوضاع وأحوال ذلك الوقت وتحليل قضاياه نتأكد تأكيداً كاملاً منها﴾[١].

اختلاف أسلوب الإمام :

بالطبع حينما نقول إن قصد الإمام من قيامه كان الشهادة، وإن الله كان يريد استشهاده، فليس معناه إن الله يريده أن يمتنع عن مبايعة يزيد ويبقى مكتوف الأيدي منتظراً مقتله بهذه الطريقة المريحة، ويسميها بعد ذلك بالقيام، كلا بل كانت وظيفته أن يثور على خلافة يزيد المشؤومة وأن يمتنع عن بيعته امتناعاً ينتهي به إلى الشهادة.

ومن هنا نلاحظ أن طريق سيد الشهداء خلال مدة قيامه وبحسب اختلاف الأوضاع والأحوال كانت مختلفة، ففي البداية حيث الضغط من حاكم المدينة تحرك منها ليلاً إلى مكة حيث حرم الله؛ ليكون لاجئاً هناك، وبعد مضي عدة أشهر تحرك منها بعد أن صممت الحكومة الأموية قتله، أو القبض عليه عبر أشخاص أتوا سراً من الشام في موسم الحج ﴿كما ذكر بعض المؤرخين﴾[٢]. ومن جهة أخرى جاءته رسائل عديدة من العراق وآخرها صرحت بإلقاء الحجة عليه[٣]، ومن هنا صمم

﴿١﴾ أقول: بهذه الإشارة ما بين القوسين يلمح تَتَئُ الى فكرة: ان منهج البحث التاريخي يختلف من منهج البحث الفقهي ومحاكمة الروايات فقهيا، ولو كنا نتعامل مع الروايات التاريخية كما نتعامل مع الروايات في الفقه لما سلم من تاريخنا شيء من الطعن إلا ما ندر.

﴿٢﴾ قال الأمين: ﴿وكان يزيد بن معوية قد انفذ عمرو بن سعيد بن العاص من المدينة إلى مكة في عسكر عظيم، وولاه امر الموسم وامره على الحاج كلهم، فحج بالناس، واوصاه بقبض الحسين عليه السلم سراً، وان لم يتمكن منه يقتله غيلة، وامره ان يناجز الحسين عليه السلام القتال ان هو ناجزه، فلما كان يوم التروية قدم عمرو بن سعيد إلى مكة في جند كثيف.

ثم ان يزيد دس مع الحاج في تلك السنة ثلاثين رجلا من شياطين بني امية، وامرهم بقتل الحسين عليه السلام على اي حال اتفق، فلما علم الحسين عليه السلام بذلك عزم على التوجه إلى العراق﴾. انظر: م ن، ص٦٩.

﴿٣﴾ ذكر السيد الأمين أن الكتب توالت على الحسين عليه السلام من أهل الكوفة وكان ﴿هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي... آخر الرسل وكتبوا إليه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

على القيام الدموي، وكان قد أرسل مسلم بن عقيل﴿١﴾ ـ بعنوان إتمام الحجة ـ الذي بدوره أرسل إليه يخبره عن مساعدة الأوضاع على القيام.

إن الإمام توجه نحو الكوفة لسببين تحدثنا عنهما أي وصول أشخاص سراً من الشام لقتله أو القبض عليه في حرم بيت الله التي سيتعرض للهتك، وتهيؤ العراق من أجل القيام، إلا أن الخبر الذي وصل إليه في الطريق عن مقتل مسلم وهاني الفجيع غيّر قصده من الهجوم إلى الدفاع، وبدأ في تصفية الغير مستعد من مرافقيه لإراقة آخر قطرة من الدماء في محبته﴿٢﴾ عندئذٍ خلا طريقه نحو مصرعه﴿١﴾.

للحسين بن علي عليهما السلام من شيعته من المؤمنين والمسلمين اما بعد فحيهلا، فان الناس ينتظرونك لا رأى لهم غيرك، فالعجل.. العجل.. ثم العجل.. العجل.. والسلام.

ثم كتب معهما ايضا شبث بن ربعى، وحجاربن ابجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمر وبن الحجاج الزبيدى، ومحمد بن عمير التميمي، ﴿اما بعد﴾ فقد اخضر الجناب، واينعت الثمار، فأذا شئت فاقبل على جند لك مجند، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى ابيك من قبلك.

وفي رواية ان اهل الكوفة كتبوا إليه ان لك هنا مائة الف سيف، فلا تتأخر... وتلاقت الرسل كلها عنده ..﴾. انظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٣٤، م س.

﴿١﴾ خرج الحسين عليه السلام من المدينة يوم ٢٨/رجب/٦٠هـ، ودخل مكة يوم ٣/شعبان/٦٠هـ، وبعث مسلم بن عقيل يوم ١٥/رمضان/٦٠ هـ، وبقي في مكة الى يوم التروية ٨/ذي الحجة/٦٠هـ، فخرج في ذلك اليوم متوجها الى العراق، وهو اليوم الذي استشهد فيه مسلم بن عقيل عليه السلام. ثم انه عليه السلام وصل كربلاء يوم ٢/محرم/٦١هـ، واستشهد فيها يوم ١٠/محرم/٦١هـ.

﴿٢﴾ حسب الظاهر أن الحسين عليه السلام بدأ بتصفية أصحابه في لحظة إنطلاقه من مكة، وليس أنه عندما وصله خبر مسلم بن عقيل عليه السلام كما ذكره السيد الطباطبائي تنترَّ، حيث أنه عليه السلام كان الكثير من الناس يلتفون حوله في مكة، ولكنه أعلن في خطبته ليلة التروية ـ التي انطلق في صبيحتها ـ أنه مشروع استشهاد، وهناك انفض عنه الكثير من الناس.

وقد جاء في تلك الخطبة: ﴿... خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما اولهنى الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، وخير لي مصرع انا لاقيه، كأني وأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملان منى اكراشا جوفا واجربة سغبا. لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا اجور الصابرين. لن تشذ على رسول

الخلاصة:

هذا تمام ماكتبه السيد الطباطبائي فيما يخص الموضوع، وسنحاول الآن تلخيص كلامه فنقول:

إن السيد الطباطبائي ركز على أهمية إمتناع الإمام الحسين عليه السلام عن بيعة يزيد، واعتبرها نقطة انطلاق الثورة الحسينية، ثم يصرح أن الحسين هو الذي بدأ بالمقاومة ولم يبايع ولم يهادن، ولو أنه بايع لكانت بيعته إقرارا لأفعال معاوية المشينة ومنها:

ـ نقض وهدم قواعد الإسلام واحدة واحدة.

ـ طمس السنة النبوية، خصوصا تلك الأحاديث التي تشيد بموقع أهل البيت عليهم السلام.

ـ دس الأحاديث، وصناعة الفضائل المكذوبة لصرف المجتمع المسلم عن قيادته الحقيقية المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام.

ـ وأخيرا قلب نظام الحكم بإلغاء الخلافة وتأسيس المملكة الأموية.

فقبول بيعة يزيد يعني انهيار الإسلام، كما صرح به أبو عبد الله عليه السلام ـ بحسب الرواية ـ في كلام له مع مروان صبيحة الليلة التي رفض فيها البيعة.

قال ابن طاووس: ﴿وأصبح الحسين عليه السلام، فخرج من منزله يستمع الاخبار فلقيه مروان فقال له: يا أبا عبد الله إنى لك ناصح فأطعني ترشد، فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك قل حتى أسمع! فقال مروان: إنى آمرك ببيعة يزيد بن معاوية، فإنه خير لك في دينك ودنياك. فقال الحسين عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدى رسول الله

الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده، من كان باذلا فينا مهجته، وموطنا على لقاء الله نفسه، فليرحل فاني راحل مصبحا﴾. انظر: ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، مثير الأحزان، ط ـ ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م، طبع ونشر: المكتبة الحيدرية ـ النجف، ص٢٩.

﴿١﴾ الى هنا انتهى ما قاله السيد الطباطبائي تنتئ .

صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الخلافة محرمة على آل أبى سفيان... وطال الحديث بينه وبين مروان حتى إنصرف مروان وهو غضبان﴾[1].

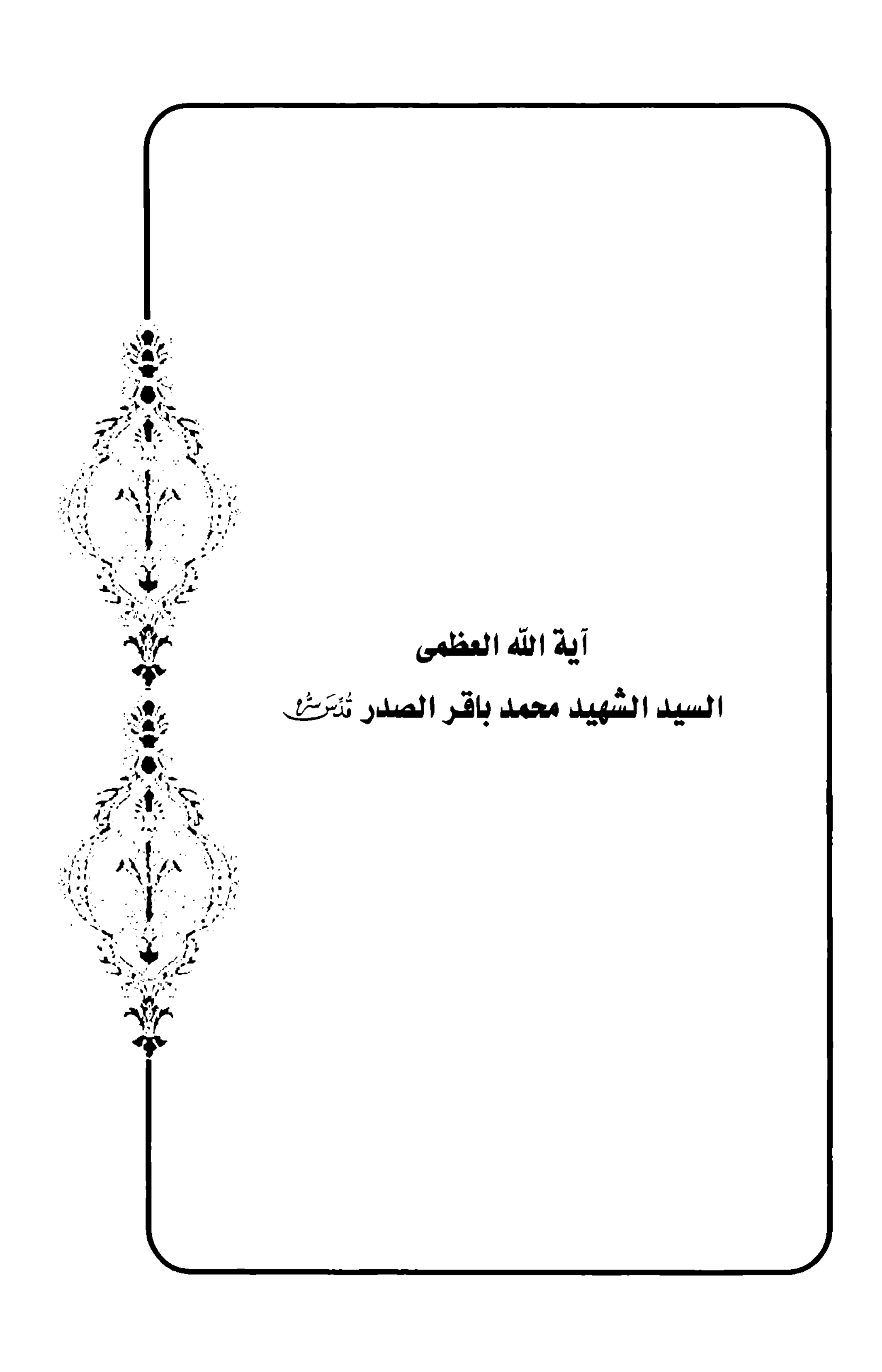
فكان تكليف الحسين عليه السلام مواجهة الإنحراف وإعلان الثورة، ولو أن الظروف ساعدته ونجحت مهمة مسلم في الكوفة لأصبحت الكوفة منطلق الثورة للإطاحة بالحكم الأموي، وهذا الذي عناه السيد الطباطبائي بوصفه حركة الحسين بأنها هجومية، ولكن فشل مهمة مسلم واستشهاده أدى إلى انقلاب الثورة من هجومية الى دفاعية تمشيا مع المعطيات والظروف الموضوعية.

وهذا التحول من الهجوم الى الدفاع جعل الإمام الحسين عليه السلام أمام خيارين لا ثالث لهما، إما الرجوع الى المربع الأول ـ كما يعبرون ـ والقبول ببيعة يزيد وهو محال لمثل الحسين عليه السلام، وإما المضي بالدفاع الى النهاية المعروفة سلفا. وهذا ما صرح به السبط الشهيد عليه السلام بقوله: ﴿الا وان الدعي ابن الدعي قدر كزبين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة﴾[2]، فاختار عليه السلام السلة على الذلة.

والشيء اللطيف الذي تجلى في هذه المقالة أن السيد الطباطبائي يركز على أن الإمام عليه السلام رغم علمه بالنتيجة سلفا بواسطة العلم الإلهامي المفترض في الإمام المعصوم، إلا أن الإمام عليه السلام كان يتصرف وفق الظروف والمعطيات، فمثلا نراه يستجيب لأهل الكوفة ويرسل إليهم مسلم بن عقيل، ويتجه نحوالعراق، فيأتيه خبر استشهاد مسلم في الطريق، فلا يثنيه ذلك عن عزمه ويمشي بخطى ثابتة نحو الشهادة؛ لأنها آخر ورقة بقيت بيده عليه السلام فهي الحل من وجهة نظره؛ لأنه رأى أن دمه الطاهر هو الذي سيسقط منهج الأمويين من ناحية، ويوقض الأمة من رقدتها من ناحية أخرى.

﴿1﴾ انظر: ابن طاروس، علي بن موسى بن جعفر الحسني، اللهوف في قتلى الطفوف، ص١٨.

﴿2﴾ انظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص١٢٩، م س.



آية الله العظمى

السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره

توطئة:

ما أفاده السيد الشهيد الصدر الأول تتنَتَّئُ في موضوع بحثنا تناوله في مجموعة محاضرات ألقاها في النجف الأشرف، في شهر صفر من عام ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م، وصلب الموضوع تناوله في محاضرتين ألقيتا في ١٦ و ١٧ من الشهر المزبور[١]، وهما من تقريرات آية الله السيد كاظم الحائري، وقد أضيف إليهما عنوان رئيسي وعناوين فرعية. فينبغي الإلتفات عند مطالعتهما أنهما كلام مرتجل، وليس نص مكتوب على شكل دراسة أو بحث.. وبالرغم من أن الكلام المرتجل إذا قرر يخرج مشوشا إلا أن كلام السيد الشهيد تتنَتَّئُ هنا في غاية الروعة والدقة، وهذا الأمر معروف لدى من تتلمذ على يد السيد الشهيد...

﴿١﴾ نشرت هاتان المحاضرتان عدة مرات، ومنها:

أولا: نشرتهما مجلة الفكر الإسلامي العدد السابع عشر، السنة الخامسة، محرم الحرام ـ ربيع الأول، ١٤١٨هـ.

ثانيا: أخذهما الأستاذ صادق جعفر الروازق، وحقق وعلق عليهما، وكتب لهما مقدمة تتضمن السيرة الذاتية للسيد الشهيد تتنَتَّئُ، وألحقهما ببحث بعنوان الشهداء من آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والصحابة، وصدر الجميع بكتاب عنونه بـ ﴿الحسين يكتب قصته الأخيرة﴾ ط الأولى ١٤١٧هـ ـ ٢٠٠٦م، طبع في مطبعة لسان الصدق ـ قم، الناشر: مكتبة الغدير.

ثالثا: نشرهما مؤخرا مكتب السيد الحائري في النجف الأشرف ـ القسم الإعلامي، في كراس تحت عنوان ﴿التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقية الهزيمة﴾.

وقد قمنا بمقابلة ما كتبناه مع النصوص المتقدمة؛ لضبطه الى أقصى حد ممكن.

ونص المحاضرتين هو الآتي:

التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقية الهزيمة

إن الإمام الحسين عليه السلام وقف ليعالج مرضاً من أمراض الأمة كما وقف من قبله أخوه الإمام الحسن ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ ليعالج مرضاً آخرَ من أمراض الأمة، بينما قُدِّر للإمام الحسن ان يعالج مرض الشك في الأمة الإسلامية التي بدأت في عهد أمير المؤمنين تشك في الخط الرسالي الذي سار عليه قادة أهل البيت، واستفحل لديها هذا الشك حتى تحول إلى حالة مرضيّة في عهد الإمام الحسن عليه السلام، هذه الحالة المرضيّة التي لم يكن بالإمكان علاجها حتى بالتضحية.. عالج الإمام الحسين عليه السلام حالة مرض أخرى هي حالة انعدام الإرادة مع وضوح الطريق. فالأمة الإسلامية التي كانت تشك ﴿أو التي بدأت تشك﴾ في واقع المعركة القائمة داخل الإطار الإسلامي بين الجناحين المتصارعين اتضح لها هذا الطريق، لكن هذا الطريق اتضحت لها معالمه بعد أن فقدت إرادتها، وبعد أن نامت واستطاع الذين اغتصبوا وسرقوا شخصيتها، وزوّروا إرادتها، وأباحوا كرامتها، واستطاعوا أن يخدّروها، وأن يجعلوها غير قادرة على مجابهة موقف من هذا القبيل، هذه الحالة المرضية الثانية عالجها الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام بالموقف الذي شرحناه[1]

﴿١﴾ ﴿يشير قدس سره الى ما شرحه في محاضرته السابقة وملخصه المستفاد مما كتبه سماحة السيد كاظم الحائري أنه كانت أمام الحسين عليه السلام عدة مواقف عملية كان بإمكانه عليه السلام أن يتخذ أي واحدة منها بعد أن طلب يزيد منه أن يبايع:

الموقف الأول: أن يبايع يزيد بن معاوية كما بايع أمير المؤمنين أبا بكر وعمر وعثمان.

الموقف الثاني: أن يرفض البيعة لكن يبقى في مكة أو المدينة.

الموقف الثالث: أن يلجأ الى بلد من بلاد العالم الإسلامي كما أقترح عليه أخوه محمد بن الحنفية.

الموقف الرابع: ان يتحرك ويذهب الى الكوفة مستجيباً للرسائل التي وردته من أهلها، ثم يستشهد بالطريقة التي وقعت...

وكان اختياره للموقف الرابع قائماً على أسس إدراكه بطبيعة الظرف الذي يعيشه، فإنه كان عليه أن يقف موقفاً يعالج فيه عدة أقسام من أفراد الأمة الإسلامية:

القسم الأول: وكان يشكل جزءاً كبيراً من الأمة.. كان قد فقد خلال عهد معاوية بن أبي سفيان إرادته وقدرته على مواجهة الوضع القائم، وهو يشعر الذل والاستكانة، وإن خسارة كبيرة تحيق بالأمة الإسلامية وهي تبديل الخلافة الى كسروية وهرقلية.

القسم الثاني: من الأمة هان عليه الإسلام، فلم يعد يهتم بالرسالة بقدر اهتمامه بمصالحه الشخصية، وتضاءلت أمامه الرسالة، وكبر أمامه وجوده ومصالحه واعتباراته.

والقسم الثالث: كان من المغفلين الذين كان بالإمكان ان تنطلي عليهم حيلة بني أمية لو سكت صحابة الرسول عن تحويل الخلافة الى قيصرية وكسروية.. فإن الخلافة وان انحرفت عن خطها المستقيم منذ توفي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكن بقي مفهومها هو مفهوم الخلافة، غاية الأمر اغتصبه ابو بكر ومن ثم عمر ومن ثم عثمان. بينما في عهد معاوية بن أبي سفيان طرأ على نفس المفهوم تغير أساسي إذا لم تعد الخلافة حكماً للأمة، وإنما حولها معاوية الى حكم كسرى وقيصر، وهو تحويل خطير في المفهوم اراد معاوية أن يلبسه ثوب الشرعية، ولو كان هذا التحول يواجه بسكوت من قبل الصحابة لأمكن أن تنطلي حيلة معاوية على الكثير من السذج والبساط، إذ يرون في سكوت الصحابة إمضاء له..

والقسم الرابع: وهو ما يرتبط بتنازل الإمام الحسن عليه السلام عن المعركة مع معاوية واعلان الهدنة، باعتبار هو الاسلوب الوحيد الذي كان يحتمه على الإمام الحسن عليه السلام موقعه ومركزه كأمين على الإسلام والمسلمين... فان هذا الواقع لم يكن مكشوفاً ـ في أكبر الظن ـ بالدرجة الواضحة إلا داخل دائرة الجماهير التي كانت تعيش المأساة عن قرب، كالعراق بشكل عام دون من كان يعيش في أطراف العالم الإسلامي، كأقصى خراسان، حيث لم يعيش المحنة يوماً بعد يوم، ولم يكتوِ بالنار التي اكتوى بها الإمام الحسن عليه السلام في الكوفة من قواعده واعدائه، وإنما كانت تصله الأخبار عبر المسافات الشاسعة بين الكوفة واطراف خراسان مثلاً، فهو لم يميز ان هذا التنازل هل هو اعتراف بشرعية الأطروحة الأموية أو هو تصرف اقتضته الضرورة والظروف الموضوعية التي كان يعيشها الإمام الحسن عليه السلام.

فكان لا بد للإمام الحسين عليه السلام أن يختار موقفاً يعالج فيه هذه الأقسام الأربعة من الأمة، وليس هذا تقسيماً حدياً بحيث لا يمكن أن ينطبق قسمان منهما على فرد واحد، بل يمكن أن يتصادق عنوانان

وقلنا: إنه كان بالإمكان عدة بدائل للموقف الذي اتخذه الإمام الحسين إلا أنه كل البدائل الممكنة والمتصورة لم تكن تحقق الهدف في علاج هذه الحالة المرضية، وكان الطريق والوحيد لعلاج هذه الحالة المرضية هو الخط الذي سار عليه سيد الشهداء عليه أفضل الصلاة والسلام.

منها على فرد أو أفراد من الأمة الإسلامية، فكان لا بد ان يختار الموقف الذي يرجع فيه للقسم الأول إرادته التي فقدها بالتميع الأموي، والى القسم الثاني إيمانه بالرسالة وشعوره بأهمية الإسلام، وان يسلب الدليل عن معاوية على تحويل الخلافة الى كسروية وقيصرية، وذلك عن طريق معارضة الصحابة المتمثلة فيه وفي البقية الباقية من الصحابة والتابعين لعملية التحول هذه، وأن يختار الموقف الذي يشرح فيه حتى لمن كان بعيداً عن الأحداث أن تنازل الإمام الحسن عليه السلام لم يكن إمضاء لعملية التحول.

والموقف الأول: وهو أن يبايع يزيد بن معاوية لا يحقق مكسباً على مستوى معالجة تلك الأقسام من الأمة؛ لأنه لم تكن قصة يزيد قصة أبي بكر، وعمر، وعثمان؛ لأن التحويل هذا على مستوى المفهوم، ولم يكن بالإمكان ان تمضي دون أن يقف أهل البيت الذين هم القادة الحقيقيون للأمة الموقف الديني الواضح المحدد من عملية التغير هذه..

والموقف الثاني: كذلك لا يحقق ذاك المكسب الذي يريده الحسين عليه السلام، ذلك لأن الإمام الحسين عليه السلام كان يؤكد، والظروف الموضوعية كانت تشهد على طبق تأكيده أنه لو بقي في المدينة أو في مكة رافضاً البيعة لقتل من قبل بني أمية حتى لو كان معلقاً بأستار الكعبة.. وهذا القتل ليس كالقتل الذي استطاع أن يحرك البقية الباقية من عواطف المسلمين تجاه رسالتهم ودينهم.. فإرجاع الناس الى عقيدتهم باستغلال المتبقي من عواطفهم ومشاعرهم لا يمكن خلال قتل عابر سهل من هذا القبيل، بل لا بد من أن تحشد له كل المثيرات والمحركات.

الموقف والثالث: فهذا وإن كان أسلم على الخط القصير لأنه يمكنه أن يعتصم بشيعته في اليمن مثلاً الى برهة معينة لكنه سوف ينعزل ويحيط نفسه باطار منغلق عن مسرح الأحداث، بينما لا بد أن يباشر عمليته على مسرح الأحداث الذي كان وقتئذ هو الشام، والعراق، ومكة، والمدينة؛ كي يمكن لهذه العملية ان تؤثر تربوياً وروحياً وأخلاقياً في كل العالم الإسلامي.

وعليه كان لا بد أن يختار الموقف الرابع الذي استطاع أن يهز به ضمير الأمة من ناحية، ويشعرها بأهمية الإسلام وكرامة هذا الدين من ناحية ثانية. وأن يدحض عملية تحويل الخلافة الى كسروية وقيصرية من ناحية ثالثة، وان يوضح لكل المسلمين مفهوم التنازل عند الإمام الحسن عليه السلام وأنه لم يكن موقفاً إمضائياً وإنما كان أسلوباً تمهيدياً لموقف الإمام الحسين عليه السلام﴾.

مشاهد موت الإرادة في المجتمع الحسيني:

نحاول الآن أن نستعرض عمق هذا المرض في جسم الأمة الإسلامية حتى نعرف أنه بقدر عمق هذا المرض في جسم الأمة الإسلامية لا بد وأن يُفكر في العلاج ايضاً.. بتلك الدرجة من العمق، وإذا كان من المقدر كما فهمنا في محاضرات سابقة أن العلاج الوحيد للحالة المرضية الثانية﴿١﴾ هذه هي التضحية، فبقدر ما يكون هذا المرض عميقاً في جسم الأمة يجب أن تكون التضحية أيضاً عميقة مكافئة لدرجة عمق هذا المرض في جسم الأمة، وهذا المرض كان يشمل كل قطاعات الأمة عدا بصبيص هنا وهناك تجمع مع الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام.

[وفيما يلي نورد مشاهد موت الإرادة في المجتمع آنذاك]﴿٢﴾.

المشهد الأول: التخويف بالموت من عقلاء المسلمين:

خلال خط عمله وحركته لاحظنا كيف ان الإمام الحسين ـ عليه الصلاة والسلام ـ حينما قرر السفر من المدينة الى مكة، أو في النهاية حينما قرر الهجرة من الحجاز متجهاً الى العراق، الى تسلم مسؤولياته كشخص ثائر حاكم على طواغيت بني أمية كان يتلقى من كل صوب وحدب النصائح من عقلاء المسلمين، او من يسمون يومئذ بعقلاء المسلمين الذين يؤثرون التعقل على التهور، وكيف إن هؤلاء العقلاء أجمعت كلمتهم على أن هذا التصرف من الإمام الحسين ليس تصرفاً طبيعياً. كانوا يقولون له: كيف تثور على بني أمية وبنو أمية بيدهم السلطان، والرجال، والمال، وكل وسائل الإغراء والترغيب والترهيب؟! كانوا يحدثونه عن النتائج التي وصل اليها الإمام في صراعه مع بني أمية، كانوا يمنونه السلام، كانوا لا يتصورون إن التضحية يمكن أن تكون بديلاً لحياة بالإمكان الاحتفاظ بأنفاسها مهما كانت هذه الأنفاس، ومهما كانت ملابسات هذه الأنفاس، هذه النصائح لم يتلقاها الإمام الحسين من

﴿١﴾ حالة سلب الإرادة.

﴿٢﴾ العبارة المحصورة بين قوسين مضلعين ليست من النص الأصلي، وإنما أضيفت في النسخة الثانية.

رعاع، أو من عوام وإنما تلقاها من سادة المسلمين، من الأشخاص الذين كان بيدهم الحل والعقد في المجتمع الإسلامي، تلقاها من أشخاص من قبيل عبد الله بن عباس[1]، وعبد الله بن عمر بن الخطاب[2]، وعبد الله بن جعفر الطيار[3]، ومن قبل أخيه محمد بن الحنفية[4]، ومن قبل غيرهم من سادة الرأي في المجتمع الإسلامي، حتى إن عبد الله بن جعفر[5] الذي هو ابن عمه، الذي هو ابن أخي علي بن أبي طالب، بالرغم من ارتباطه النسبي الوثيق بالخط كان منهاراً نفسياً الى الدرجة التي أرسل فيها رسالة الى الإمام الحسين حينما سمع بعزمه على سرعة الخروج من مكة: أن انتظر حتى ألحق بك، وماذا كان يريد من هذا الانتظار؟ الإمام الحسين لم ينتظره، فحينما وصل عبد الله بن جعفر الى مكة كان الإمام الشهيد قد خرج منها، فذهب عبد الله بن جعفر رأساً الى والي بني أمية في مكة وأخذ منه كتاب الأمان للحسين، وذهب بالكتاب الى الحسين وهو يرى أنه قد استطاع بهذا أن يقضي على كل مبررات خروج الحسين، لماذا يخرج الحسين من مكة؟ لأنه خائف فيها وقد جاء الأمان له من سلاطين بني أمية[6].

هذه النصائح كانت تعبر عن نوع من الانهيار النفسي الكامل الذي شمل زعماء وسادة المسلمين فضلاً عن الجماهير التي كانت تعيش هذا الانهيار مضاعفاً في اخلاقها وسلوكها وأطماعها ورغبتها، وهذه السلبية والبرود المطلق الذي كان يواجهه الإمام الحسين، او تواجهه حركة الإمام الحسين بالرغم من قوة المثيرات، هذا البرود المطلق في لحظات ترقب العطاء الحقيقي كان يعبر عن ذلك الانهيار النفسي وعلى مختلف المستويات.

﴿١﴾ تقدم كلامه مع الحسين، وجواب الحسين له.

﴿٢﴾ أيضا تقدم كلامه مع الحسين، وجواب الحسين له.

﴿٣﴾ أيضا تقدم كلامه مع الحسين، وجواب الحسين له.

﴿٤﴾أيضا تقدم كلامه مع الحسين، وجواب الحسين له.

﴿٥﴾ انظر: المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، ص١٩٢، م س.

﴿٦﴾ م ن، ص٩٢.

المشهد الثاني: موقف عبد الله بن الحر الجعفي:

الحسين عليه الصلاة والسلام بنفسه يقصد عبد الله بن الحر الجعفي الى خيمته ويعرض عليه﴿١﴾ أن يرتبط بهذا الخط، ويتصل به، وهو أعرف الناس بصحة هذا الخط وصوابه، فيعز عليه أن يقدم قطرة من دمه، ويعز عليه أن يقدم شيئاً سوى الفرس﴿٢﴾

﴿١﴾ في نسخة مكتب السيد الحائري: يتوسل به الى.

﴿٢﴾ قال المقرم: وسار ـ الحسين عليه السلام ـ من عذيب الهجانات حتى نزل قصر بني مقاتل، فرأى فسطاطاً مضروباً، ورمحاً مركوزاً، وفرساً واقفاً، فسأل عنه فقيل هو لعبيد الله ابن الحر الجعفي، فبعث اليه الحجاج بن مسروق الجعفي، فسأله ابن الحر عما وراءه قال: هدية اليك وكرامة ان قبلتها، هذا الحسين يدعوك الى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أجرت، وان قتلت استشهدت. فقال ابن الحر: والله ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة ما رأيته خارجاً لمحاربته وخذلان شيعته، فعلمت انه مقتول ولا أقدر على نصره، ولست أحب ان يراني وأراه.

فأعاد الحجاج كلامه على الحسين، فقام صلوات الله عليه ومشى اليه في جماعة من أهل بيته وصحبه، فدخل عليه الفسطاط فوسع له عن صدر المجلس. يقول ابن الحر: ما رأيت أحداً قط أحسن من الحسين، ولا أملأ للعين منه، ولا رققت على أحد قط رقتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان حوله، ونظرت الى لحيته فرأيتها كأنها جناح غراب، فقلت له أسواد أم خضاب؟ قال: يا ابن الحر عجّل علي الشيب فعرفت انه خضاب.

ولما استقر المجلس بأبي عبد الله حمد الله وأثنى عليه، قال: يا ابن الحر ان أهل مصركم كتبوا الي انهم مجتمعون على نصرتي، وسألوني القدوم عليهم وليس الأمر على ما زعموا وان عليك ذنوباً كثيرة، فهل لك من توبة تمحو بها ذنوبك؟

قال: وما هي يا ابن رسول الله؟ فقال: تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه.

فقال ابن الحر: والله اني لأعلم أن من شايعك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن اغنى عنك ولم أخلّف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك الله ان تحملني على هذه الخطة فإن نفسي لا تسمح بالموت! ولكن فرسي هذه "الملحقة" والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته ولا طلبني أحد وأنا عليها إلا سبقته فخذها فهي لك.

قال الحسين: أما إذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا في فرسك ولا فيك وما كنت متخذ المضلين عضدا، واني أنصحك كما نصحتني: ان استطعت ان لا تسمع صراخنا ولا تشهد وقعتنا ففعل، فو الله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا أكبه الله في نار جهنم.

وندم ابن الحر على ما فاته من نصرت الحسين عليه السلام فأنشأ:

فقط، لم يستطع أن يذوق طعم التضحية إلا على مستوى تقديم فرس واحدة فقط.

المشهد الثالث: موقف زعماء البصرة

الإمام الحسين يكتب الى ستة من زعماء البصرة﴿١﴾ يختارهم من أولئك الذين لهم ارتباط مع خط الإمام علي عليه السلام، فإن زعماء البصرة على قسمين:

زعماء مرتبطون مع خط بني أمية، وخط عائشة، وطلحة والزبير، وزعماء يرتبطون مع خط الإمام علي ومدرسته، فيختار الإمام الشهيد ستة من الأشخاص الذين يرتبطون بمدرسة الإمام علي ويشعرون بالوفاء لمفاهيم هذه المدرسة وشعاراتها وأهدافها، ويكتب إليهم يستنصرهم ويستصرخهم ويشعرهم بالخطر الدائم الذي تواجهه الأمة الإسلامية ممثلاً في كسروية وقيصرية يزيد بن معاوية. فماذا يكون رد الفعل لهذه الرسالة؟ يكون رد الفعل ـ إذا استثنينا شخصاً واحداً وهو عبد الله بن مسعود النهشلي﴿٢﴾ الذي كتب مستجيباً ـ هو البرود المطلق، أو الخيانة، إذ يبعث

أيا لك حسرة ما دمت حيا	تردد بين صدري والتراقي
غداة يقول لي بالقصر قولا	أتركتنا وتعزم بالفراق
حسين حين يطلب بذل نصري	على أهل العداوة والشقاق
ولو واسيته يوماً بنفسي	لنلت كرامة يوم التلاق
مع أبن محمد تفديه نفسي	فودع ثم اسرع بانطلاق
لقد فاز الأولى نصروا حسينا	وخاب والآخرون ذووا النفاق

انظر: المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص٢٢١، م س.

﴿١﴾ وهم: مالك بن مسمع البكري، الأحنف بن قيس، المنذر بن جارود العبدي، مسعود بن عمرو، قيس بن الهيثم، عمرو بن عبد الله بن معمر. انظر: الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٤ص٢٦٦، م س.

﴿٢﴾ في بعض المصادرأنه يزيد بن مسعود النهشلي. قال ابن نما: ﴿وأما يزيد بن مسعود النهشلي فانه احضر بني تميم وبني حنظلة وبني سعد وقال: يا بني تميم كيف ترون موضعي منكم وحسبي فيكم؟ فقالوا أنت فقرة الظهر، وراس الفخر، حللت في الشرف وسطا، وتقدمت فرطا. قال قد جمعتكم لامر اشاوركم فيه، واستعين بكم عليه. قالوا: نمحضك النصيحة، ونجهد لك الراى. قال:

ان معاوية هلك فاهون به هالكا ومفقودا، انكسرت باب الجور، وكان قد عقد لابنه بيعة ظن انه احكمها، وقد قام يزيد شارب الخمور وراس الفجور، وانا اقسم بالله قسما مبرورا لجهاده على الدين افضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ذو الشرف الأصيل، والعلم والسابقة، والسن والقرابة، يعطف على الصغير ويحنو على الكبير، فاكرم به راعي رعيته، وامام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا في وهد الباطل، فقد كان صخر ابن قيس انخذل بكم يوم الجمل فاغسلوها مع ابن رسول الله ونصرته، ولا يقصر أحد عنها إلا ورثه الله الذل في ولده والقلة في عشيرته، وها اناذا قد لبست للحرب لامتها وادرعت بدرعها، من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فاحسنوا رحمكم الله رد الجواب.

فتكلم بنو حنظلة فقالوا: يا أبا خالد نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، ان رميت بنا اصبت، وان غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلا خضناها، ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها، ننصرك باسيافنا، ونقيك بابداننا، إذا شئت فقم.

وتكلمت بنو سعد بن زيد فقالوا: يا أبا خالد ان ابغض الاشياء الينا خلافك والخروج من رايك، وقد كان صخر بن قيس امرنا بترك القتال فحمدنا رأيه وبقى عزنا فينا، فامهلنا نراجع الراى ونحسن المشورة وياتيك خبرنا واجتماع رأينا. وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا: أبا خالد نحن بنو ابيك وحلفاؤك، لا نرضى ان غضبت، ولا نغضب ان رضيت، ولا نقطن ان ظعنت، ولا نظعن ان قطنت، والامر اليك، والمعول عليك، فادعنا نجبك، وامرنا نطعك، والامر لك إذا شئت.

فقال والله يا بني سعد لئن فعلتموها لا رفع عنكم السيف ابدا، ولا زال سيفكم فيكم.

ثم كتب الى الحسين عليه السلام: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد وصل الينا كتابك، وفهمت ما ندبتنى إليه، ودعوتني له من طاعتك، وبنصيبى من نصرتك، وان الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير أو دليل سبيل نجاة، وانتم حجة الله على خلقه ووديعته في ارضه، تفرعتم من ديونية احمدية هو اصلها وانتم فرعها، فاقدم سعدت باسعد طائر، فقد ذللت لك اعناق بني تميم وتركتهم اشد تهافتا في طاعتك من الابل الظماء لورود الماء يوم خامسها، وقد ذللت لك بنو سعد وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حتى استهلت برقها فلمع﴾.

فلما قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال: ما لك آمنك الله يوم الخوف، واعزك وارواك يوم العطش الاكبر. فلما تجهز المشار إليه للخروج الى الحسين صلوات الله وسلامه عليه بلغه قتله قبل ان يسير، فجزع لذلك جزعا عظيما﴾. انظر: ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، مثير الأحزان، ص١٧، م س.

أحدهم[١] برسول الحسين[٢] عليه السلام الى عبيد الله بن زياد ـ وكان وقتئذ والياً على البصرة ـ ﴿صدّقوا: ان هذا الشخص الذي قام بهذا العمل هو من شيعة علي بن أبي طالب، ولم يكن عثمانياً، بل كان علوياً، ولكنه علوي فقد كل مضمونه، فقد كان معناه، فقد كل إرادته﴾.

أخذ الرسول مع الرسالة الى عبيد الله بن زياد لكن لا حباً لعبيد الله بن زياد، ولا إيماناً بخط عبيد الله بن زياد، بل حفاظاً على نفسه، وابتعاداً بنفسه عن أقل مواطن الخطر، خشية ان يطلع في يوم ما عبيد الله بن زياد على أن ابن رسول الله كتب إليه يستصرخه وهو لم يكشف هذه الورقة للسلطة الحاكمة وقتئذ، فيتخذ هذا نقطة ضعف عليه، فلكي يبتعد عن أقل نقاط الضعف، ولكي يوفر له كل عوامل السلامة، وكل ضمانات البقاء الذليل أخذ رسول الإمام والرسالة وقدمهما بين يدي عبيد الله بن زياد، فأمر عبيد الله بن زياد بالرسول فقتل[٣] ﴿رضوان الله عليه﴾.

شخص آخر من هؤلاء الزعماء الأحنف بن قيس الذي عاش مع خط الإمام علي وعاش مع حياة الإمام علي عن قريب، وتربى على يديه، ماذا كان جوابه لابن الإمام علي؟ امره بالتصبر والتريث وقال له في رسالة أجاب بها على

﴿١﴾ هو المنذر بن الجارود العبدي، انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٤ص٢٦٥، م س.

﴿٢﴾ ﴿اختلفوا في اسم رسول الحسين عليه السلام ـ هذا ـ الى البصرة بكتابه، فهو عند أبي مخنف ﴿سليمان﴾ وكذلك مقتل الخوارزمي عن ابن الأعثم ج١: ١٩٩ واللهوف للسيد ابن طاووس، إلا أنه كان كناه بابي رزين، وهو اسم أبيه، وأمه كبشة جارية للحسين عليه السلام كانت تخدم في بيت أم إسحاق التميمية من زوجات الحسين عليه السلام فتزوجها أبو رزين وولدت سليمان.

وفي ﴿مثير الأحزان﴾ لابن نما: ١٢ أنه أرسل الكتاب مع ذريع السدوسي، وذكر الإثنين معاً السيد الأمين في ﴿لواعج الأشجان: ٣٦﴾.

﴿٣﴾ المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص١٥٥، م س.

رسالته: ﴿ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾[1] معرضاً بالطلبات التي كان الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام يتلقاها من شيعته[2]. وفي الواقع كانت رسالة الأحنف تعبر عن أخلاقية الأمة المهزومة، فإن الأمة في حال تعرضها للهزيمة النفسية، وفي حالة فقد انها لإرادتها وعدم شعورها بوجودها كأمة تنشأ لديها بالتدريج أخلاقية معينة هي أخلاقية الهزيمة، وأخلاقية هذه الهزيمة تصبح قوة كبيرة جداً بيد صانعي هذه الهزيمة لإبقاء هذه الهزيمة وإمرارها، وتعميقها وتوسيعها، ويصبح العمل الشجاع تهوراً والتفكير في شؤون المسلمين استعجالاً، ويصبح الإهتمام بما يقع على الإسلام والمسلمين من مصائب وكوارث نوعاً من الخفة، واللاتعقل.. نوعاً من العجلة وقلة الأناة، نوعاً من التسرع في العمل أو التفكير.

هذه الأخلاقية هي أخلاقية الهزيمة التي تصطنعها الأمة لكي تبرر هذه الهزيمة حينما تهزم وتشعر بأنها قد انتهت مقاومتها، فتنسج بالتدريج مفاهيم غير مفاهيمها الأولى، وقيماً وأهدافاً ومُثُلاً غير القيم والمثل والأهداف التي كانت تتبناها في الأول، لكي تبرر أخلاقياً ومنطقياً وفكرياً الموقف الذي تقفه.

فالإمام الحسين عليه الصلاة والسلام كان يريد ـ في الواقع ـ أن يبدل هذه الأخلاقية، ويصنع أخلاقية جديدة لهذه الأمة تنسجم مع القدرة على التحرك والإرادة، حينما كان يقول: ﴿لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما﴾[3] لم يكن هذا مجرد شكوى، وإنما كانت عملية تغيير لأجل إيجاد أو ـ في

﴿١﴾ الروم: ٦٠.

﴿٢﴾ م ن، ص١٥٥.

﴿٣﴾ لما بلغ الحسين عليه السلام مقتل رسوله الى الكوفة قيس بن مسهر الصيداوي، قام خطيبا بذي حسم، فقال: ﴿انه قد نزل بنا من الامر ما ترون، وان الدنيا قد تغيرت، وتنكرت، وادبر معروفها، واستمرت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. الا ترون الى الحق لا يعمل به، والى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا، فانى لا ارى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما﴾. انظر: ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، مثير الأحزان، ص٣١، م س.

الواقع ـ إرجاع هذه الأخلاقية الأخرى التي فقدها الأحنف بن قيس، وفقدها كل الناس الذين مشوا مع الأحنف بن قيس.

المشهد الرابع: مغادرة بني أسد محل سكناهم

حبيب بن مظاهر يستأذن من الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام أن يذهب ويدعو عشيرته، ويدعو بني أسد للالتحاق بخط سيد الشهداء، وكل المسلمين يعرفون من هو حبيب بن مظاهر في مواقفه وجهاده، وفي بياض تاريخه وصفاء سيرته، وفي ورعه وتقواه، يذهب حبيب بن مظاهر ليطلب العون والمدد من عشيرة بني أسد للإمام عليه الصلاة والسلام، وتكون النتيجة لذلك ان تغادر عشيرة بني أسد بأجمعها تلك الليلة المنطقة، وتنسحب هذه العشيرة انسحاباً جماعياً. ويرجع حبيب بن مظاهر ليبلغ الإمام الحسين هذه النتيجة الغريبة وهي: أن عشيرته تخشى أن تبقى بعد اليوم.. تخشى أن تبقى حتى حياديه؛ لأنه قد لا يكتفي عمر بن سعد بهذا الحياد، فتغادر المنطقة نهائياً ولم يكن جواب سيد الشهداء على ذلك إلا أن قال: ﴿لا حول ولا قوة وإلا بالله العلي العظيم﴾[1].

هذا البرود والسكون، هذه الهزيمة النفسية قبل الهزيمة الخارجية هي مرض والأمة التي كان يعالجه الإمام الحسين عليه السلام.

المشهد الخامس: موقف أهالي الكوفة من مقتل رسول الحسين عليه السلام:

الصيداوي ـ وأظنه: قيس بن مسهر[2] ـ الذي أرسله الإمام الحسين عليه السلام لكي يبلغ رسالته الى أهل الكوفة.. يعطي لهم إشعاراً بأنه في الطريق، وأنه على الأبواب... هذا الرسول يدخل الكوفة بعد أن انقلبت، وبعد أن تغيرت الكوفة غير الكوفة، وسيطر عبيد الله بن زياد على كل القطاعات العسكرية في الكوفة.. يؤخذ

﴿١﴾ المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص٢٥٢، م س.

﴿٢﴾ ﴿قيس بن مسهر، المقرم في المقتل ط. بصيرتي ص٢١٩ ـ ٢٣٠ ويقال عبد الله بن يقطر الحميري ﴿رضيع الحسين عليه السلام﴾ انظر الطبري ج٤: ١٩﴾.

﴿قيس بن مسهر﴾ أسيراً الى عبيد الله بن زياد، وقبل ان يصل اليه يمزق الكتاب، ويقف بين يدي عبيد الله بن زياد يقول له: لماذا مزقت الكتاب؟ يقول: لأني لا أريد ان تطلع عليه، يقول له: وماذا كان فيه؟ فيقول: لو كنت أريد أخبرك لما مزقت الكتاب، يقول: له اني أقتلك إلا إذا صعدت على هذا المنبر وقلت بالصراحة شيئاً في سب علي بن ابي طالب والحسن والحسين، هذا والرسول الأمين يغتنمها فرصة، ويصعد على المنبر في هذه اللحظة الحاسمة، وفي آخر لحظة من حياته، في هذا الإطار العظيم من البطولة والشجاعة والتضحية أمام عبيد الله بن زياد، وأمام شرطته وجيشه يوجه خطابه الى أهل الكوفة ويقول: أنا رسول الحسين إليكم، إن الحسين على الأبواب، فيؤدي هذه الرسالة بكل بطولة، وبكل شجاعة، فيأمر عبيد الله بن زياد به فيقتل، وماذا يكون الصدى مثل هذه الدفعة المثيرة القوية! الآن رسول الإمام الحسين ـ الذي كتبوا له أهل الكوفة يطلبونه ـ على المنبر بهذا الشكل غير الاعتيادي والسيف فوق رقبته وهو يودع الحياة في آخر لحظة من اللحظات، وهو يبلغهم الرسالة بكل أمانة وشجاعة، ويضحي في سبيل تقديمها بدمه وبروحه، فماذا يكون أثر ذلك؟ يكون أثر ذلك: انه حينما يأمر عبيد الله بن زياد به أن يقتل فيقتل يأتي شخص من أهل الكوفة فيقطع رأسه، فيقال له: لماذا قطعت رأسه؟ فيقول: لكي أريحه بذلك[1].

هذه الأمة لا تفكر إلا على هذا المستوى من الشفقة في حياتها، الشفقة التي تشعر بها هي الشفقة على هذا المستوى، أما الشفقة على الوجود الكلي، الشفقة على الكيان، الشفقة على العقيدة قد انتزعت من قلوبها؛ لأنها تكلف ثمناً غالياً، الشفقة التي لا تكلف ثمناً هي ان تقطع رقبة هذا الشخص، وأن يريحه من هذه الحياة في ظل عبيد الله بن زياد.

هذه المظاهر من البرود والسكون بالرغم من قوة الإثارة هي دليل على عمق

﴿١﴾ انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٤ص٣٠٠، م س، والشخص هو عبد الملك بن عمير اللخمي قاضي الكوفة وفقيهها.

ما وصلت اليه الأمة من انحلال.

المشهد السادس: الإندفاع نحو خط السلطة.

الى جانب ذلك ـ أو في عكس ذلك ـ يوجد الاندفاع المحموم نحو خط السلطان، نحو خط الحكم القائم.. استطاع عبيد الله بن زياد خلال أسبوعين أو ثلاثة أسابيع ـ على أكثر تقدير ـ بعد مقتل مسلم بن عقيل الى أول المحرم ان يجند عشرات الألوف من أبناء هذا البلد الذي كان وما يزال ـ الى ذلك الوقت ـ يحمل رسالة علي، والولاء له.. جند من هذا البلد عشرات الآلاف، واستجاب له مئات من الأشخاص الذين كانوا قد حاربوا مع الإمام علي في صفين، وحاربوا مع الإمام علي في سائر مراحل جهاده، استجاب له شخص من قبيل عمرو بن الحجاج، ومن هو عمرو بن الحجاج؟ هو من أولئك الذين اضطهدوا في سبيل والإمام علي، من أولئك الذين عاشوا المحنة أيام زياد، ولكنه لم يستطع أن يواصل المحنة، طلّق عقيدته قبل أن يصل الى آخر الشوط، لأنه شعر أن هذه العقيدة تكلف ثمناً غالياً، وأنه إذا طلقها أمكنه أن يشتري بدلاً عنها دنيا واسعة.. هذا الشخص الذي رافق الإمام علي في جهاده وانهار أخيراً وانتهت إرادته.. انتهت شخصيته كإنسان مسلم يفكر بالإسلام. عمرو بن الحجاج نفسه كلفه عمر بن سعد بأسوأ عمل يمكن ان يكلف به إنسان.. كلفه بالحيلولة دون سيد الشهداء والماء، بقي واقفاً على الماء يمنع أبن رسول الله والبقية الباقية من ثقل النبوة عن أن يشربوا من الماء، واستجاب لذلك شبث بن ربعي[1]؟ وهو الرجل الذي عاش مع جهاد أمير المؤمنين.. الرجل الذي كان يعي

﴿١﴾ ﴿شبث بن ربعي التميمي اليربوعي، أبو عبد القدوس، شيخ مضر وأهل الكوفة في أيامه، أدرك عصر النبوة، ولحق بسجاح المتنبئة، ثم عاد الى الإسلام، ثار على عثمان، قاتل الحسين عليه السلام بعد ان كتب اليه يدعوه الى المجيء، مات في الكوفة نحو سنة ٧٠ هـ وقيل: إنه لما قبض على شبث قال له إبراهيم: اصدقني ما عملت يوم الطف؟ قال: ضربت وجهه الشريف بالسيف!! فقال له: ويلك يا ملعون، ما خفت من الله تعالى ولا من جده رسول الله، ثم جعل يُشرح أفخاذه حتى مات.

مدلول حرب صفين، وكان يدرك أن الإمام علياً في حرب صفين يمثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة بدر، ولكن الدنيا.. الانهيار النفسي.. ولكن نَفَسَه القصير خنقه في النهاية، فذاب وتميع، واشتد تميعه بالتدريج الى أن وصل الى حدّ: إن عبيد الله بن زياد يبعث إليه ليقاتل الحسين ابن رسول الله، فماذا يكون العذر؟ فماذا يكون الجواب؟ لا يملك أن يتعذر بعذرٍ من الأعذار إلا أن يقول: ﴿أنا مريض﴾، كلمة باردة جداً على مستوى بروده النفسي، عبيد الله بن زياد يبعث إليه الرسول مرّة أخرى ليقول له: المسألة جدّية، لا مرض في هذه الحالة، أما أن تكون معنا، وأما ان تكون عدوّنا، وبمجرد أن يتلقى هذه الرسالة ـ ويعرف أن المسالة حدية ـ يقوم شبث بن ربعي ويلبس ما كان يلبسه، ثم يخرج متجهاً الى عبيد الله بن زياد وهو يقول: لبيك.. هذه الاستجابات من هذا الطرف، وذاك البرود، وتلك السلبية من ذلك الطرف هم أكبر دليل على هذا المرض[1].

المشهد السابع: محنة مسلم وهانيء.

والدليل الذي هو أكبر من هذا هي محنة مسلم وهانيء التي يقل نظيرها في التاريخ، هذه المحنة تصور هذا المرض وهو في قمته، وهو في شدته بأروع تصوير، او بأفضع تصبوير، قد يذهب وهم الإنسان الى مسلم بن عقيل كيف اتفق له ان يفرط بكل هذه القوى الضخمة التي كانت بين يديه؟! كيف فرط بهذه القوى والشعبية التي بين يديه بين عشية وضحاها وبقي وحيداً فريداً يتسكع في الطرقات؟! كيف لم يستثمر هذه القوة في معركته مع عبيد الله بن زياد؟!

في الواقع:أن هذه القوة لم تكن قوى إلا على الورق، لم تكن هذه القوى قوى إلا في سجل تسجيل الأسماء حينما سجل الأسماء فبلغت ثمانية ألف، أو

الإصابة لابن حجر ترجمة رقم ٣٩٥٠، تهذيب التهذيب ج٤: ٣٠٣، ميزان الاعتدال ج١: ٤٤٠، الأعلام للزركلي ج٣: ١٥٤، الأخبار الطوال ٢٥٤ بحار الأنوار ج٤٤: ٣٨٦﴾.

﴿١﴾ مرض موت الإرادة.

بلغت عشرين ألف، أو بلغت ثلاثين ألف، كانت قوى على الورق، وذلك لأن هؤلاء الثمانية عشر أو العشرين ألف كانوا جزءاً من هذه الأمة الميتة، من هذه الأمة المنهارة هذا الإنهيار العجيب المفاجئ في لحظة، هذا الإنهيار العجيب المفاجئ يعكس تلك الهزيمة المسبقة، هزيمة النفس، هزيمة الوجدان، هزيمة الضمير، وتلك الهزيمة، أي: هزيمة النفس والوجدان والضمير على أساس هذه الهزيمة، ﴿أي هزيمة تلك القوى الشعبية الضخمة التي كانت بين يدي مسلم عليه السلام وتشتتها بين عشية وضحاها.

عبيد الله بن زياد يبعث الى هانيء بن عروة[1] يقوله: تعال زر الأمير، الأمراء لا يطيقون الجفاء، لماذا أنت منقطع عن الأمر؟ هذا في الوقت الذي كان مسلم بن عقيل في بيت لهاني بن عروة، والشيعة يذهبون اليه متسترين، هاني بن عروة يأتي الى عبيد الله بن زياد فيتهمه بأن مسلم موجود عندك، وأنك تفكر في الخروج وشق عصا الطاعة، هاني بن عروة يصطدم مع عبيد الله بن زياد ويقول له بأني لا أدري اين مسلم، يقول عبيد الله: لا بد ان نجده. يقول هاني: لو أن مسلماً كان تحت قدمي لما رفعت قدمي. ثم يقدم هاني له نصيحة بكل قوة،وبكل شجاعة ـ هو من الأفراد القلائل الذين استطاعت حركة الحسين أن تكشفهم في مجموع هذه الأمة الميتة ـ فقال: لي نصيحة لك، قال عبيد الله وما هي هذه النصيحة؟ قال: النصيحة أن تذهب انت وأهل بيتك، وتحمل معك كل ما لديك من الأموال سالماً صحيحاً، لا شغل لنا بك، كان يتكلم هانيء بن عروة وهو يتخيل أن له رصيداً، وأن عشرات الآلاف من خلفه سوف تنفذ إرادته إذا اصبحت هذه الإرادة بحاجة الى التنفيذ حينما اشتد غضب عبيد الله بن زياد، وحينما غضب هانيء، حينما أمر بأن يحبس هانيء انعكس الخبر في الكوفة بأن هانياً قتل أو في معرض القتل، جاء عمر بن الحجاج وجاء معه أربعة آلاف إنسان من عشيرته[2] لكي يتفقدوا أحوال

﴿١﴾ انظر: ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، مثير الأحزان، ص٢٢، م س.

﴿٢﴾ م ن، ص٢٣.

هانيء بن عروة ووقفوا بباب القصر يطالبون بحياة هانيء بن عروة.. عبيد الله بن زياد يبعث على شريح القاضي باعتباره لا بد أن تتوفر فيه شرائط فهو يعتبر شاهداً ثقة إذا استعمل شهادة، فقال له: تعال أدخل الى الغرفة التي يسجن بها هانيء، انظر اليه حياً، واشهد أمام هؤلاء بأن هانياً حي، فدخل شريح القاضي الى الغرفة فرأى هانياً حيا، يقول شريح القاضي ـ لعنة الله عليه ـ بمجرد ان دخلت الى الغرفة ورأيت هانيء بن عروة صاح في وجهي: أين ذهب المسلمون؟! لو أن عشرة يهجمون على القصر الآن لأنقذوني﴿١﴾؛ لأن القصر ليس فيه شرطة، ليس فيه جيش، يعني لو أن عشرة فقط كانوا مستعدين لأن يموتوا في سبيل الله لتغير وجه الكوفة يومئذ؛ لأن البيت ليس فيه شرطة، ولكن الشرطة كانت أوهام هذه الأمة التي فقدت شجاعتها وإرادتها، هذه الأمة التي فقدت شخصيتها خيل لها أن هذا القصر و جبروت هذا القصر هو المعقل الذي لا يمكن اجتيازه، بينما هذا القصر كان أجوف لم يكن فيه شرطة ولا جيش، ولم يكن فيه سلاح في القدر الكافي الذي يمكن ان يصمد أمام عشرة فقط، لذا قال هانيء: اين ذهب المسلمون، عشرة فقط يكفون لإنقاذي، يكفون للقضاء على هذا القصر، يكفون لاحتلال هذا القصر. شريح القاضي يقول: أنا رجعت الى عمرو بن الحجاج وأنا مكلف بأن أؤدي الشهادة الشرعية بأن هانيء بن عروة حي حتى يرجع عمرو بن الحجاج؛ لأن عمرا بن الحجاج وأربعة آلاف الذين جاؤوا معه قصارى همهم أن يكون هذا حياً﴿٢﴾، يقول رجعت فهممت ان ابلغ عبارة هانيء بن عروة الى عمرو بن الحجاج.. ان أقول له إن هانياً يطلب عشرة فقط، يقول لو أن عشرة يهجمون على هذا ﴿البُعبُع﴾﴿٣﴾، يقول: هممت ثم التفت الى أن شرطي عبيد الله بن زياد واقف على جنبي فسكت، وأدى والشهادة المطلوبة منه رسمياً وحكومياً بأن هانياً حي، ورجع عمرو بن الحجاج، وقتل هانيء في اليوم

﴿١﴾ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٤ ص٣٤٨، م س.

﴿٢﴾ يعني هاني.

﴿٣﴾ الشيء المخيف.

الثاني.

مسلم بن عقيل بنفسه يخرج مع أربعة آلاف شخص يطوقون قصر الأمارة وعبيد الله بن زياد ليس معه إلا ثلاثون على ما تقول والرواية[١]، اوعشرون من شرطة الكوفة.. مسلم بن عقيل معه أربعة آلاف ليس لهم قلوب، ليس لهم أيدي، ليس لهم إرادة، أقرؤوا أسماء قادة مسلم بن عقيل في هذه المعركة، هؤلاء الأربعة آلاف فيهم جماعة من كبار يوم عاشوراء لكنهم انهزموا جميعاً، لم يبق مع مسلم واحد أبداً[٢]، يعني ان حركة الحسين هي بنفسها صنعت هؤلاء، هي بنفسها صعدت هؤلاء، السبعون[٣] الذين استشهدوا مع الحسين عليه السلام كان عدد منهم نتاج محنة حركة سيد الشهداء، وإلا فلماذا انهزموا؟ على الأقل يبقى مع مسلم هذا الشخص الذي يعرف الطريق، صلى في المسجد وتفرق الناس، يقول التاريخ: كانت تأتي المرأة فتنتزع زوجها وأباها وأخاها وتقول: مالك وعمل السلاطين.. هذا نهاية فقدان الإرادة[٤]، إن الرجل يذوب ويتمنع لأن امرأة واحدة تأتي وتنتزعه انتزاعاً. هذه المرأة هي نفسها تلك المرأة التي وقفت بعد الإمام الحسين عليه السلام تلك الوقفات العظيمة[٥] على طول الخط، هذه المرأة هي نفس تلك المرأة التي أحبطت مؤامرة

﴿١﴾ انظر: ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، مثير الأحزان، ص٢٣، م س.

﴿٢﴾ ولهذا كان يرتجز بأبيات حمران بن مالك الخثعمي يوم القرن:

أقسمت أن لا أقتل إلا حراً	وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
كل امرئ يوماً ملاقٍ شراً	ويخلط البارد سخناً مراً
رُد شعاع الشمس فاستقرا	أخاف أن اكذب أو أُغرا

انظر: م ن، ص٢٤.

﴿٣﴾ على التحقيق فإن مجموع من استشهد مع الحسين يصل الى ﴿١٢٠﴾ شهيدا، وليس سبعين كما هو المشهور. ولعل المقصود من السبعين هو الأصحاب من غير أهل البيت.

﴿٤﴾ الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٥٥، م س. .

﴿٥﴾ ﴿من النساء التي دافعن عن الحسين عليه السلام وشاركت زوجها في نصرة الحسين عليه السلام هي المرأة الصالحة المعروفة ﴿أم وهب﴾ بنت عبد الله من النمر بن قاسط، وهي زوجة عبد الله بن عمير من بني عُلَيم، فاخذت أم وهب عموداً ثم أقبلت على زوجها تقول له: فداؤك أبي وأمي، قاتل دون

إمارة عمر بن سعد، حينما مات يزيد بن معاوية وبويع من قبل الأمويين في الكوفة لعمر بن سعد موقتاً، فأصبح أميراً على الكوفة.. من الذي اسقط امارته؟ أسقطته تلك المرأة التي كانت تذهب إلى زوجها وأبيها وأخيها تنتزعهم انتزاعاً، وتقول لهم:

الطيبين، ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فأقبل إليها يردها نحو النساء فأقبلت تجاذبه ثوبه، قالت دعني أكون معك، فناداها الحسين: انصرفي الى النساء فاجلسي معهن فانه ليس على النساء قتال فانصرفت اليهن، وعندما قتل زوجها وقفت عليه وقالت: أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك، فقتلها رستم غلام شمر بعمود.

المقرم: ٢٣٨، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ١٩٦، والطبري ج٦: ٤٤٥، والكامل ج٥: ٦٥ باسم ﴿عمير من بني عُليم﴾، وفي ابن الأعثم ج٥: ١٨٩ وهب بن عبد الله بن حباب الكلبي ولكن أخرجه الشيخ محمد مهدي شمس الدين في ﴿انصار الحسين عليه السلام﴾: ٦٠ عبد الله بن عمير الكلبي عن الطبري في ج٥: ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٦، ٤٣٨.

وفي ابصار العين في انصار الحسين للشيخ السماوي ﴿تحقيق الطبسي﴾: ٢٢٨ يقول: برزت بين الأعداء يوم الطف من مخيم الحسين عليه السلام خمس نسوة، وهن: جارية مسلم بن عوسجه، صرع فخرجت صائحة واسيداه، وأم وهب زوجة عبد الله الكلبي، خرجت معه لتقاتل، وبعد قتله، فقتلت، وأم عبد الله هذا خرجت معه تشيعه وبعد قتله لتؤبنه وتقاتل وأم عمر بن جناده خرجت بعد قتله تقاتل، وزينب الكبرى خرجت بعد قتل علي بن الحسين عليه السلام تنادي صارخة: يا حبيباه يابن اخياه وجاءت حتى انكبت عليه، فجاء اليها الحسين عليه السلام وردها.

أما ﴿ديلم بنت عمرو﴾ زوجة زهير بن القين فهي وإن لم يكن لها حضوراً في ساحة الطف، ولكن سجلت موقفاً عظيماً عندما قالت لزوجها بعد أن جاء رسول الحسين عليه السلام وقال له: بعثني أبا عبد الله لتأتيه، فسكت زهير وكان على رأسه الطير، فقالت له: سبحان الله، أيبعث اليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟ فمضى زهير وجاء مستبشراً وقال لها: أنت طالق، لا أحب أن يصيبك أذى من بعدي أو بسببي.

كما أن لها موقفاً آخر يوم الطف: قالت لغلام لزهير بعد شهادته: انطلق فكفن مولاك، فذهب فرأى الحسين عليه السلام ملقى، فقال في نفسه: أكفن مولاي وأدع حسيناً! فكفن حسينا ثم رجع فقال لها بما فعل، فقالت: احسنت، وأعطته كفناً آخر، وقالت انطلق فكفن مولاك، ففعل. أعلام النساء المؤمنات: ٣٤١، وترجمة الإمام الحسين عن كتاب الطبقات، المطبوع في مجلة ﴿تراثنا﴾ العدد ١٠: ١٩٠.

لا شغل لك مع السلاطين، هذه المرأة بنفسها قامت بمظاهرة وقفت أمام بيت عمر بن سعد تندب الحسين وتصيح: إن قاتل الحسين لا يمكن أن يكون أميراً في الكوفة حتى سقط عمر بن سعد.

المشهد الثامن: التخالف بين عمل الأمة وعواطفها.

وأعجب مظهر من مظاهر هذا الإنهيار هو التناقض الذي يوجد بين قلب الأمة.. عواطف الأمة وعملها، هذا التناقض الذي عبر عنه الفرزدق بقوله للإمام الحسين عليه الصلاة والسلام: إن قلوبهم معك وسيوفهم عليك[1]، لا أن جماعة قلوبهم معك وجماعة أخرى سيوفهم عليك، بل الوحدات الثمانية في التناقض كلها محفوظة، ولكن مع هذا لا تناقض لأن هذا الشخص الذي لا يملك إرادته يمكن ان تتحرك يده على خلاف قلبه وعاطفته، ولهذا كنا نراهم يبكون ويقتلون الإمام الحسين؛ لأنهم يشعرون بأنهم بقتلهم الإمام الحسين يقتلون مجدهم، يقتلون آخر آمالهم، يقتلون البقية الباقية من تراث الإمام علي،هذه البقية التي كان يعقد عليها كل الواعين من المسلمين الأمل في إعادة حياة الإسلام، كانوا يشعرون بأنهم يقتلون هذا الأمل والوحيد الباقي للتخلص من الظلم القائم، ولكنهم مع هذا الشعور لم يكونوا يستطيعون إلا أن يقفوا هذا الموقف، ويقتلون الإمام الحسين.. قتلوا الإمام الحسين وهم يبكون.

وأسأل الله أن لا يجعلنا نقتل الإمام الحسين ونحن نبكي، أن لا يجعلنا نقتل اهداف الحسين ونحن نبكي.. الإمام الحسين ليس إنسانا محدوداً عاش من سنة كذا ومات في سنة كذا، الإمام الحسين هو الإسلام ككل، الإمام الحسين هو كل هذه الأهداف التي ضحى من أجلها هذا الإمام العظيم، هذه الأهداف هي الإمام الحسين؛ لأنها هي روحه، وهي فكره، وهي قلبه، وهي عواطفه، كل مضمون الإمام الحسين هي هذه الأهداف، هي هذه القيم المتمثلة في الإسلام، فكما أن أهل الكوفة

﴿١﴾ الأصفهاني، ابو الفرج، مقاتل الطالبيين، ص٧٣، م س.

كانوا يقتلون الحسين عليه السلام ويبكون؛ فهناك خطر كبير في أن نُمنى نحن بنفس المحنة، ان نقتل الحسين ونحن نبكي، يجب أن نشعر بأننا يجب أن لا نكون على الأقل قتلة للحسين ونحن باكون.. البكاء لا يعني أننا غير قاتلين للحسين؛ لأن البكاء لو كان وحده يعني ان الإنسان غير قاتل للحسين إذن لما كان عمر بن سعد قاتلاً للحسين؛ لأن عمر بن سعد بكى حينما مرت زينب ﴿عليها الصلاة والسلام﴾ في موكب السبايا، في الضحايا، حينما التفت على أخيها، حينما اتجهت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تستنجده أو تستصرخه، أو تخبره عن جثة الإمام الحسين وهي بالعراء، عن السبايا وهم مشتتون، عن الأطفال وهم مقيدون، حينما أخبرت جدها صلى الله عليه وآله وسلم بكل ذلك ضج القتلة كلهم بالبكاء، بكى السفاكون.. بكى هؤلاء الذين أوقعوا هذه المجازر[1]، بكوا بأنفسهم، إذن فالبكاء وحده ليس ضماناً.. العاطفة وحدها ليست ضماناً لإثبات أن هذا صاحب العاطفة هو لا يقف موقفاً يقتل فيه الإمام الحسين، أو يقتل فيه أهداف الإمام الحسين، لا بد من امتحان.. لا بد من تأمل.. لا بد من تدبر.. لا بد من تعقل لكي نتأكد من أننا لسنا قتلة للإمام الحسين،

﴿١﴾ قال أبو مخنف: عن الحجاج بن عبدالله بن عمار بن عبد يغوث البارقي: وعتب على عبدالله بن عمار بعد ذلك مشهده قتل الحسين، فقال عبدالله بن عمار: ان لي عند بني هاشم ليدا، قلنا: له وما يدك عندهم؟ قال: حملت على حسين بالرمح فانتهيت إليه، فوالله لو شئت لطعنته ثم انصرفت عنه غير بعيد وقلت ما اصنع بأن أتولى قتله، يقتله غيري، قال: فشد عليه رجالة ممن عن يمينه وشماله، فحمل على من عن يمينه حتى اذعروا، وعلى من عن شماله حتى اذعروا، وعليه قميص له من خز وهو معتم، قال: فوالله ما رأيت مكسورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا، ولا أمضى جنانا منه، ولا أجرأ مقدما، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، ان كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب، قال: فوالله انه لكذلك، إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أخته... وهي تقول: ليت السماء تطابقت على الارض، وقددنا عمر بن سعد من حسين، فقالت: يا عمر بن سعد أيقتل أبو عبد الله وانت تنظر إليه؟ قال فكأني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خديه ولحيته، قال: وصرف بوجهه عنها. انظر: ابومخنف الغامدي، لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي ، مقتل الحسين، ط ١٣٩٨هـ، المطبعة العلمية، الناشر: المكتبة العامة للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تحقيق: الحاج الميرزا حسين الغفاري، ص١٩٥.

ومجرد أننا نحب الإمام الحسين، مجرد أننا نزور الإمام الحسين، مجرد أننا نبكي على الإمام الحسين، مجرد أننا نمشي الى زيارة الإمام الحسين، كل هذا شيء عظيم شيء جيد، شيء ممتاز، شيء راجح، لكن هذا الشيء الراجح لا يكفي ضماناً ودليلاً لكي يثبت أننا لا نساهم في قتل الإمام الحسين، يجب أن نحاسب أنفسنا، يجب ان نتأمل في سلوكنا، يجب أن نعيش موقفنا بدرجة أكبر من التدبر، والعمق، والإحاطة، والإنفتاح على كل المضاعفات والملابسات، لكي نتأكد من أننا لا نمارس من قريب او بعيد بشكل مباشر قتل الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام.

التحول من أخلاقية الهزيمة الى أخلاقية الإرادة[1]:

الأمة حينما تنهزم وتنزع منها شخصيتها وتموت إرادتها تنسج بالتدريج ـ كما قلنا ـ أخلاقية معينة تنجسم مع الهزيمة النفسية التي تعيشها بوصفها أمة بدون إرادة.. أمة لا تشعر بكرامتها وشخصيتها بالرغم من وضوح الطريق، وجلاء الأهداف، وقدرتها على التميز المنطقي بين الحق والباطل، وبالرغم من أن أطروحة معاوية قد تكشفت كأطروحة جاهلية في ثوب الإسلام، وان أطروحة علي عليه الصلاة والسلام قد اتضحت انها التعبير الأصيل عن الإسلام في معركة ثانية مع الجاهلية، بالرغم من وضوح كل ذلك بعد الهدنة التي أعلنها الإمام الحسن عليه السلام بدأت الأمة نتيجة لفقدان إرادتها تنسج أخلاقية معينة تنسجم مع هزيمتها النفسية، والروحية، والأخلاقية. وبهذا كان الإمام الحسين عليه السلام بين أخلاقيتين بين أخلاقية الهزيمة التي تعيشها الأمة الإسلامية قبل أن تهزم فعلياً يوم عاشوراء، والأخلاقية الأخرى التي كان يريد أن يبثها وأن ينشرها في الأمة الإسلامية وهي أخلاقية الإرادة والتضحية والعزيمة والكرامة.

كان الإمام الحسين عليه السلام يواجه تلك الأخلاقية التي ترسخت، ورسخت من المفاهيم عن العمل، والسلب والإيجاب، والإثبات والنفي ما يشل طاقات التحرك.

﴿١﴾ ﴿من هنا تبدأ المحاضرة الثانية لسماحة السيد الشهيد قدس سره كما جاء في تقرير السيد الحائري﴾.

وكان يريد أن يغير تلك الأخلاقية دون أن يستفزها، كان يواجه الأخلاقية التي تمثلت في كلام للأحنف بن قيس حينما وصف المتحركين في ركاب الإمام الحسين بأنهم أولئك الذين لا يوقنون﴿١﴾، وأولئك الأشخاص الذين يتسرعون قبل أن يتثبتوا من وضوح الطريق، هذا المفهوم من الأحنف بن قيس كان يعبر عن موقف أخلاقية الهزيمة من التضحية.. إن التضحية والإقدام على طريق قد يؤدي الى الموت نوع من التسرع وقلة الأناة، والخروج عن العرف المنطقي للسلوك، هذا المفهوم هو معطى أخلاقية الهزيمة، هذا المفهوم الذي تبدد بعد حركة الحسين عليه الصلاة والسلام واحتل بديله مفهوم التضحية الذي على أساسه قامت حركة التوابين﴿٢﴾.. حركة أربعة آلاف لا يرون لهم هدفاً في طريقهم إلاّ التضحية، لكي يكفّروا بذلك عن سيئاتهم وموقفهم السلبي تجاه الإمام الحسين.

أخلاقية الهزيمة هي هذه الأخلاقية التي انعكست في كلام لأخي الحسين عمر الأطرف﴿٣﴾ حينما قال للإمام الحسين عليه السلام أن تبايع يزيد خير لك من أن تقتل﴿٤﴾.. من أن تموت. هذه أخلاقية الهزيمة هي التي تبدلت بعد هذا خلال خط

﴿١﴾ أحد زعماء البصرة، وقد تقدمت الإشارة الى هذه الكلمة في رسالته التي بعث بها للحسين عليه السلام.

﴿٢﴾انظر: ابن كثير، اسماعيل ابو الفداء، البداية والنهاية، ط الأولى ١٤٠٨هـ، طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، تحقيق: علي شري، ج٨ص٢٨٠، م س.

﴿٣﴾ ﴿الأطرف: سمي الأطرف لأن فضيلته من طرف واحد وهو من طرف أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، المجدي في اسباب الطالبيين: على بن محمد العلوي: ٨، عمدة الطالب بن عنبه: ٣٠٥﴾.

﴿٤﴾ يروى عن عمر الأطرف أنه قال: ﴿لما إمتنع أخى الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد بالمدينة، دخلت عليه فوجدته خاليا، فقلت له: جعلت فداك يا ابا عبد الله، حدثنى أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه عليهما السلام، ثم سبقتني الدمعة وعلا شهيقي، فضمني إليه وقال: حدثك انى مقتول؟ فقلت: حوشيت يابن رسول الله، فقال: سألتك بحق أبيك بقتلى خبرك؟ فقلت: نعم، فلولا ناولت وبايعت، فقال: حدثنى أبى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اخبره بقتله وقتلى، وأن تربتي تكون بقرب تربته، فتظن إنك علمت ما لم أعلمه، وإنه لا أعطى الدنيا عن نفسي أبدا، ولتلقين فاطمة أباها

حركة الحسين عليه السلام، وانعكس في مفهوم لعلي بن الحسين حينما قال لأبيه: أولسنا على الحق؟ قال: بلى، قال: إذن لا نبالي، أوقعنا على الموت أو وقع الموت علينا[1]... أخلاقية الهزيمة التي كان يواجهها الإمام الحسين عليه السلام هي الأخلاقية التي انعكست في كلام لمحمد بن الحنفية، حينما كان ينصح الإمام الحسين ويقول له: إن أخشى ما أخشى ان تدخل الى مصر وبلد من بلاد المسلمين فيختلف عليك المسلمون، فبعض يقفون معك وبعض يقفون ضدك، ويقع الكلام بين أنصارك وبين أعدائك فتكون أضيع الناس دماً، الأفضل من ذلك أن تقف بعيداً عن المعترك، ثم تبث رسلك وعيونك في الناس، فإن استجابوا فهو، وإلا كنت في أمن من عقلك ودينك وفضلك ورجاحتك[2]، هذه هي أخلاقية الهزيمة التي تحولت فيما بعد،

شاكية ما لقيت ذريتها من أمته، ولا يدخل الجنة أحد آذاها في ذريتها ..﴾. انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ص١٩، م س.

﴿١﴾ ﴿مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف، تحقيق الغفاري: ٩٢﴾. وفي الإرشاد عن عقبة بن سمعان ـ لما ارتحل الحسين عليه السلام عن قصر بني مقاتل ـ قال: ﴿سرنا معه ساعة فخفق وهو على ظهر فرسه خفقة ثم انتبه، وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين. ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين عليهما السلام على فرس فقال: مم حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بني، إني خفقت خفقة فعن لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسيرون، والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا. فقال له: يا أبت لا أراك الله سوءا، ألسنا على الحق؟ قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد، قال: فإننا إذا لا نبالي أن نموت محقين، فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدا عن والده﴾. انظر: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العبكري البغدادي، الارشاد، ط ـ سنة ـ، طبع ونشر: دار المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ج٢ ص٨٢.

﴿٢﴾ كان مما قاله محمد بن الحنفية للحسين عليه السلام: ﴿يا اخى انت احب الناس الي، واعزهم علي، ولست والله ادخر النصيحة لاحد من الخلق، وليس احد احق منك؛ لانك مزاج مائي، ونفسي، وروحي، وبصري، وكبير اهل بيتي، ومن وجبت طاعته في عنقي؛ لان الله قد شرفك علي، وجعلك من سادات اهل الجنة، تنح ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فإن بايعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وان اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا تذهب ومروءتك ولا فضلك. اني اخاف عليك ان تدخل مصرا من هذه الامصار فيختلف الناس بينهم؛ فمنهم طائفة معك واخرى

حيث أصبح دم الحسين عليه السلام ـ هذا الدم الذي كان يتصوره محمد بن الحنفية أنه سوف يكون أضيع دم ـ مفتاح تحريك الأمة، حينما قال المختار في سجن عبيد الله بن زياد: إني أعرف كلمة أستطيع بها أن أملك العرب، هذا الدم الذي كان يتصوره أنه أضيع دم أصبح هو مفتاح السلطات والسيطرة على المنطقة كلها.

أخلاقية الهزيمة هي الأخلاقية التي عبر عنها الأمير الأموي يزيد بن معاوية في رسالة له الى عبيد الله بن زياد، يقول في الرسالة: أن آل أبي طالب هؤلاء أسرع ما يكونون الى سفك الدماء، هذا التعبير في الواقع هو ظاهرة من ظواهر أخلاقية الهزيمة، حينما تبرز أخلاقية الهزيمة وتترسخ وتتعمق تتحول كل محاولة جدية لمقابلة الظلم والظالمين الى نوع من السفك والقتل في نظر المثبطين والمجمدين.. هذه الأخلاقية التي يريد الإمام الحسين عليه السلام أن يحولها الى أخلاقية التضحية والإرادة، الى الأخلاقية الإسلامية الصحيحة التي تمكن الإنسان المسلم من أن يقف موقفه الإيجابي والسلبي وفقاً لما تقرره الشريعة الإسلامية إيجاباً وسلباً.

دقة التحرك في عملية التحول:

وفي عملية التحويل هذه كان الإمام الحسين يواجه أدق مراحل عمله، وذلك لأنه في نفس الوقت الذي يريد أن يبث في جسم الأمة وفي ضميرها ووجدانها أخلاقية جديدة كان يحافظ في نفس الوقت على ان لا يخرج خروجاً واضحاً عن الأخلاقية التقليدية التي عاشتها الأمة نتيجة لهزيمتها الروحية، كان يحرص على أن

عليك، فيقتلون فتكون لاول الاسنة غرضا، فإذا خير هذه الامة كلها نفسا وابا واما اضيعها دما، واذلها أهلا. فقال له الحسين عليه السلام: فأين اذهب يا اخي؟ قال تخرج إلى مكة، فان اطمأنت بك الدار بها فذاك، وان تكن الاخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فأنهم انصار جدك وابيك، وهم ارأف الناس وأرقهم قلوبا، واوسع الناس بلادا، فأن اطمأنت بك الدار، والا لحقت بالرمال وشعف ﴿وشعوب خ ل﴾ الجبال، وجزت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين، فأنك اصوب ما تكون رأيا حين تستقبل الأمر استقبالا...﴾. انظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٢٨، م س.

لا يخرج بشكل واضح ومثير عن تلك الأخلاقية المنحطة التي عاشتها الأمة، وذلك لأنه كان يريد أن يخلق وينشيء الأخلاقية الجديدة عن طريق هز ضمير الأمة الإسلامية، ولم يكن بإمكانه ان يهز ضمير الأمة الإسلامية إلا إذا قام بعمل مشروع في نظر هذه الأمة الإسلامية التي ماتت إرادتها وتغيرت أخلاقيتها، والتي أصبحت تعيش هذه المفاهيم التي انعكست في كلمات هؤلاء الذين تحدثنا عنهم، كان لابد يراعى الإمام الحسين عليه السلام في سيره وتخطيطه هذه الأخلاقية، وأن لا يستفزها لكي لا يبقى محتفظاً لعلمه بطابع المشروعية في نظر المسلمين الذين ماتت أخلاقيتهم الحقيقية، وتبدلت مفاهيمهم عن العمل والسلب والإيجاب.

الإمام الحسين عليه السلام يخطط لعملية التحويل:

الإمام الحسين عليه السلام في الواقع قد أتخذ منذ البدء موقفاً إيجابياً واضحاً صريحاً بينه وبين ربه، كان قد صمم منذ اللحظة الأولى على أن يخوض المعركة مهما كلفه الأمر وعلى جميع الأحوال والتقادير، وأن يخوضها الى آخر الشوط، والى أن يضحي بآخر قطر من دمه، كان يفكر تفكيراً إيجابياً مستقلاً في ذلك، لم يكن يتحرك نتيجة لردود فعل الأمة، بل كان هو يحاول أن يخلق ردود الفعل المناسبة لكي يتحرك، ومن أدلة ذلك أن الإمام الحسين عليه السلام بدأ بنفسه الكتابة الى زعماء قواعده الشعبية في البصرة.. نعم لم يروِ لنا التاريخ انه بدأ ابتداءً بشكل مكشوف واضح الى زعماء قواعده الشعبية في الكوفة، ولكن التاريخ حدث بأنه كتب وابتدأ الحديث والتحريك لقواعده الشعبية في البصرة[1]، وأعلن في رسالته لهم أنه قد قرر الخروج على سلطان بني أمية، قال لهم بأن هذا الخط الذي يمثله هو ويمثله أبوه وأخوه هو الحق، إلا أنه سكت وسكت أبوه وأخوه حينما كان الكتاب والسنة تراعي حرمتها. أما حينما انتهكت حرمة الكتاب وحرمة السنة، حينما أميتت السنة، حينما أحيت البدع، حينما انتشر الظلم، لا بد لي أن أتحرك، ولا بد لي أن أغير، ولا بد لكم أن

﴿١﴾ تقدم الكلام عن رسائله لزعماء الشيعة في البصرة.

تحققوا في هذا الموقف درجة تفاعلكم مع رسالتكم. قال ذلك بوضوح، وطلب منهم بشكل ابتدائي الإلتفاف حول حركته، وهذا يعني أن الإمام الحسين لم يكن في موقفه يعبر عن مجرد استجابة لردود فعل عاطفية، أو منطقية في الأمة، بل كان هو قد بدأ منذ اللحظة الأولى في تحريك الأمة نحو خطته وخط عمله، موقفه من والي المدينة أيضاً واضح في ذلك حينما استدعي من قبل والي المدينة وعرض عليه الوالي في نصف الليل ان يبايع يزيد بن معاوية[1]، وحينما تكشف لوالي المدينة أن امتناع الحسين عليه السلام عن البيعة... هو بحسب الحقيقة لون من ألوان الرفض، صرح بهذا الإمام الحسين بكل وضوح عن إيمانه بحقه في الخلافة، وقال: ﴿نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة﴾[2]، وكان هذا واضحاً في إعلانه العزم والتصميم على حركة مسلحة ضد السلطان القائم وقتئذ، هذا التهديد.. وتلك الرسالة الابتدائية لزعماء قواعده الشعبية في البصرة ـ الى غير هذا وذاك من القرائن والدلائل ـ يعبر عن أن الإمام الحسين ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ كان يخط تخطيطاً ابتدائياً لتحريك الأمة، وكان قد صمم على ان يتحرك مهما كانت الظروف والأحوال. هذا واقع التخطيط.

شعارات الحسين عليه السلام في تبرير مخططه:

ولكن الإمام الحسين حينما كان يلقي شعارات هذا التخطيط على هذه الأمة الإسلامية المهزومة أخلاقياً.. المهزوزة روحياً.. المتميعة نفسياً.. الفاقدة لإرادتها.. حينما كان يلقي شعارات هذا التحرك على هذه الأمة لم يكن في كل إلقاءاته صريحاً واضحاً محدداً، وذلك لأنه كان يجامل تلك الأخلاقية التي عاشتها الأمة الإسلامية، وكانت هذه المجاملة جزءاً ضرورياً من إنجاح الحسين في هدفه؛ لأنه إذا خرج عن هذه الأخلاقية فقد بذلك عمله طابع المشروعية في نظر أولئك المسلمين، وبذلك يصبح

﴿١﴾ تقدم الكلام عن الحادثة.

﴿٢﴾ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط، ج٤٤ص٣٢٥، م س.

هذا العمل غير قادر على أن يهز ضمير إنسان الأمة الإسلامية، كما كان من المفروض ان يهزّه.

الشعار الأول: حتمية القتل.

كان الإمام الحسين يُعترض عليه، ويقال: لِمَ تخرج؟ يعترض عليه عبد الله بن الزبير﴿١﴾ وغيره﴿٢﴾ فيقول له: بأني أنا اقتل على كل حال سواء خرجت أو لم أخرج، إن بني أمية لا يتركونني، ولو كنت في هامة من هذه الهوام لأخرجوني وقتلوني، إن بني أمية يتعقبوني أينما كنت، فأنا ميت على أي حال سواء بقيت في مكة أو خرجت منها، ومن الأفضل ان لا اقتل في مكة لكي لا تنتهك بذلك حرمة هذا الحرم الشريف﴿٣﴾.

فتراه طرح هذا الشعار، وهذا الشعار بالرغم من واقعيته منسجم مع أخلاقية الأمة المعاشة أيضاً، فأخلاقية الهزيمة التي تعيشها الأمة الإسلامية لا تجد منطقاً تنفذ منه للتعبير عن نقد مثل هذا التحرك من الإمام الحسين ﴿عليه الصلاة والسلام﴾، فهو عليه السلام يقول: أنا مقتول على كل حال، والظواهر كلها تشهد بذلك، الدلائل والأمارات والملابسات تشهد بأن بني أمية قد صمموا على قتل الإمام الحسين عليه السلام ولو عن طريق الإغتيال، ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة﴿٤﴾، إذن فطرح

﴿١﴾ تقدم الكلام عن حديثه مع الحسين عليه السلام، وجواب الحسين له.

﴿٢﴾ ﴿أمثال أبو سعيد الخدري، جابر بن عبد الله، أبو سلمة بن عبد الرحمن، المسور بن مخرمة، عمرة بنت عبد الرحمن، بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هاشم، عمرو بن سعيد بن العاص﴾ وقد تقدم الحديث عن مواقفهم وجواب الحسين عليه السلام لهم.

﴿٣﴾ ﴿كان الحسين عليه السلام يقول: وأيم الله لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلوني، والله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت، والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا اذل من فرام المرأة﴾. أنظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٧٠.

﴿٤﴾ انظر: الجلالي، محمد رضا، الإمام الحسين ـ سماته وسيرته، ط ـ سنة ـ، طبع ونشر: دار المعروف ـ قم، ص٩٣.

مثل هذا الشعار لأجل تفسير هذا الموقف كان مناسباً جداً مع إقناع أخلاقية الهزيمة، مع كونه شعاراً واقعياً في نفس الوقت.

الشعار الثاني: غيبية قرار التحرك.

يأتي أشخاص آخرون إليه يعترضون عليه، يقولون: لِمَ تتحرك، يأتي محمد بن الحنفية[1] ينصحه في أول الليل بنصائح عديدة فيقول له: انظر.. أفكر فيما تقول، فيذهب محمد بن الحنفية، وفي آخر الليل يسمع بأن الإمام الحسين قد تحرك، فيسرع إليه ويأتي ويأخذ براحلته، ويقول له: يا أخي قد وعدتني أن تفكر، قال: نعم، ولكني بتُّ في هذه الليلة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنك مقتول. فتراه عليه السلام يجيب بهذا الجواب، يجيب بقرار غيبي [صادر] من أعلى، وهذا والقرار الغيبي من أعلى لا يمكن لأخلاقية الهزيمة أن تنكره ما دام صاحب هذه الأخلاقية مؤمناً بالحسين، ومؤمناً برؤيا الحسين، طبعاً هو لم يحدث بهذه الرؤيا عبد الله بن الزبير الذي لم يكن مؤمناً برؤيا الحسين، بل حدث بذلك محمد بن الحنفية وأمثال محمد بن الحنفية، فهذا شعار آخر كان يطرحه وهو شعار حتمية الموت [الصادر] من أعلى[2]، وإن هناك قراراً من أعلى يفرض عليه أن يموت.. ان يضحي.. ان يغامر.. ان يقدم على هذه السفرة التي قد تؤدي الى القتل، وهذا الشعار أيضاً كان بالرغم من واقعيته ينسجم مع أخلاقية الهزيمة، وهو في نفس الوقت شعار واقعي[3].

الشعار الثالث: ضرورة إجابة دعوات أهل الكوفة.

وكان في مرة ثالثة يطرح شعارا ثالثاً، كان يقول للأشخاص الذين يمر بهم في طريقه من مكة الى العراق، في منازله المتعددة حينما كانوا ينصحونه بعدم التوجه

﴿١﴾ تقدم كلامه مع الحسين.

﴿٢﴾انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسني، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٣٩.

﴿٣﴾ واقعي بالنسبة لمن يؤمن بالحسين عليه السلام إماما، ولذلك لم يكن هذا الجواب لكل المعترضين على خروجه، بل للبعض منهم.

إلى العراق، كان يقول لهم: إني قد تلقيت من أهالي الكوفة دعوة للذهاب إليهم، وقد تهيأت الظروف الموضوعية في الكوفة لكي أذهب، ولكي أقيم حقاً وأزيل باطلاً، فكان يعكس ويفسر سفرته على أساس أنها تعبير عن إجابة طلب، أن الأمة تحركت وأرادت، وأنه قد تمت الحجة عليه، ولا بد له أن يتحرك.

الإمام الحسين لم يكن في واقعه يقتصر في مرحلته الجهادية هذه على أن تطلب منه الأمة فيتحرك، وإلا لما راسل ابتداء زعماء قواعده الشعبية بالبصرة ويطلب منهم التحرك، ولكنه في نفس الوقت كان يعكس هذا الجانب أكثر مما يعكس ذاك الجانب؛ لأن هذا الجانب اقرب انسجاماً مع أخلاقية الهزيمة، ماذا تقول أخلاقية الهزيمة أمام شخص يقول لها: بأني قد تلقيت دعوة، وان ظروف هذه الدعوة ملائمة للجواب والتحرك نحو الداعي، وبطبيعة الحال هناك فرق كبير بين إنسان يتحرك تحركاً ابتدائياً، وإنسان آخر يتحرك إجابة لجماهير آمنت به وبقيادته وزعامته، فهناك قول أخلاقية الهزيمة أن هذا متسرع، وان هذا لا يفكر بالعواقب، وإنه ألقى بنفسه في المخاطر.

اما حينما يكون العمل إجابة لدعوة من جماهير قد هيأت كل والأجواء اللازمة لهذه الدعوة، فهذه الأخلاقية المهزومة لا تقول عن هذا العمل، وهذا التحرك: إنه عمل طائش.. إنه عمل صبياني.. إنه عمل غير مدروس.

هذه الشعارات التي طرحها الإمام الحسين ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ كانت كلها واقعية، وفي نفس الوقت كانت منسجمة مع أخلاقية الأمة المهزومة روحياً، وفكرياً، ونفسياً.

الشعار الرابع: ضرورة الثورة ضد السلطان الجائر.

وكان يطرح أيضاً الى جانب كل هذه الشعارات الشعار الواقعي حينما كان يؤكد على أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ﴿من رأى سلطاناً جائراً يحكم بغير ما انزل الله فلم يغير من ذلك السلطان بفعل أو قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله﴾[1]. فكان الى جانب تلك الشعارات التي يسبغ بها طابع المشروعية على علمه في مستوى أخلاقية الأمة، كان يعطي أيضاً باستمرار ودائماً الشعار الواقعي الحي الذي لا بد أن يكون هو الأساس للأخلاق الجديدة التي كان يبنيها في كيان الأمة الإسلامية.

أساليب كسب أخلاقية الهزيمة

الأسلوب الأول: عدم البدء بالقتال.

من جملة الأساليب التي اصطنعها ﴿عليه أفضل الصلاة والسلام﴾ للتوفيق بين الأخلاقيتين، لمجاملة أخلاقية الهزيمة؛ لكي يحوّلها بالتدريج الى أخلاقية التضحية أنه طرح شعار: أن لا يبدأ الآخرين بقتال. هذا الشعار قد طرحه أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، ولكن فرقاً كبيراً بين الشعار الذي طرحه الإمام علي عليه السلام والشعار الذي طرحه الإمام الحسين عليه السلام. الإمام علي عليه السلام كان رئيس دولة، ورئيس الدولة من المفروض أن لا يبدأ أحداً من المواطنين بقتال إلا إذا بدأه المواطن بشق عصا الطاعة، والتمرد عليه، والقتال، فكان من المفروض أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لا يبدأ عائشة مثلا بقتال، لا يبدأ الزبير أو طلحة بقتال؛ لأنهم مواطنون في دولة هو رئيسها، ما لم يخرجوا عن الخط، [ومالم] يحاربوا الوضع الشرعي الحاكم في تلك الدولة، فكان شعار: أن لا يبدأ أحداً من المواطنين بقتال مفهوماً واضحاً. أما على مستوى حركة الحسين عليه السلام الذي خرج ثائراً على دولة قائمة، وسلطان قائم، فليس

﴿١﴾ الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٩٣، م س.

من المنطقي أن يقال: إن شخصاً يثور على سلطان قائم لا يبدأ هذا السلطان بقتال، ولكن هذا الشعار قد طرحه عليه أفضل الصلاة والسلام لكي يكون منسجماً مع أخلاقية الهزيمة أيضاً التي عاشتها الأمة الإسلامية.. لكي يسبغ على عمله طابع المشروعية على مستوى هذه الأخلاقية.

حينما التقى ﴿عليه أفضل الصلاة والسلام﴾ مع طليعة جيش عبيد الله بن زياد بقيادة الحر، وكانت الطليعة عبارة عن ألف جندي، اقترح عليه زهير بن القين ﴿على ما أظن﴾ أن يبدأهم بقتال، وقال: إن هؤلاء أوهن علينا ممن يجيء بعدهم، فلنبدأ بقتال هؤلاء، ولنفتح الطريق على الكوفة. قال ﴿عليه الصلاة والسلام﴾: إني لا أبدأهم بقتال[١].

ومن مصاديق تطبيق هذا الشعار كان وضع مسلم بن عقيل عليه السلام، فإن مسلم بن عقيل قد ذهب الى الكوفة رسولاً من قبل الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام، إلا أنه ذهب في إطار هذا الشعار، وهذه هو الذي يفسر لنا عدم قيام مسلم بن عقيل بأي عمل إيجابي سريع خلال الأحداث التي مرت به في الكوفة[٢].

قد يخطر على ذهن البعض أن مسلم بن عقيل لم يستطع أن يزن الأحداث أو أن يقدّر الظروف تقديرها اللازم، وأن مسلم بن عقيل كان مدعوا الى نوع من المبادأة لكي يستلم زمام الموقف. إلا أن هذا التصور إنما ينتج عن تخيل أن مسلم ين عقيل قد ذهب من قبل الإمام الحسين الى الكوفة والياً.. حاكماً.. سلطاناً.. وليس في نصوص التاريخ أي دلالة على ذلك، الإمام الحسين حينما أرسل مسلم بن عقيل وكتب معه كتاباً لم يكن هناك في الكتاب أدنى إشارة الى اعطاء مسلم بن عقيل صفة الولاية، والحاكمية، والسلطان[٣]، وإنما قال لأهل الكوفة: إني أرسلت ثقتي

﴿١﴾انظر: المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص٢٢٦، م س. والقائل هو زهير كما ذكره السيد الشهيد.

﴿٢﴾ فلم يتحرك مسلم إلا بعد اعتقال هانئ بن عروة. م ن، ص١٧٥.

﴿٣﴾ جاء في كتاب الحسين عليه السلام: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى الملا من المؤمنين والمسلمين، أما بعد فإن هانئا وسعيدا قد قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من

اليكم من أهل بيتي، لكي يستطلع أحوالكم، ويتأكد من إخلاصكم، ويكتب إلي بذلك، فإن كتب إلي بما جاءت به كتبكم ورسلكم استجبت لدعوتكم وجئتكم.

مسلم بن عقيل كان مكلفاً في نص هذا الكتاب باستطلاع أحوال تلك القواعد الشعبية التي راسلت الإمام الحسين عليه السلام، ولم يكن مكلفاً بأزيد من ذلك، وبالفعل لم يقم مسلم بأزيد من ذلك، دخل الكوفة ونزل ضيفاً في بيت المختار ﴿رحمة الله عليه﴾، وبقي في بيت المختار مكشوف الحال، تزوره الشيعة ويتجمعون عنده، فيتحدث اليهم، ويؤكد لهم أهداف الحسين عليه السلام، ويؤكدون له إخلاصهم واستعدادهم للعمل في تلك الأهداف، حتى يدخل عبيد الله الى الكوفة[1] حينئذٍ فيتوتر الجو ويتغير الموقف بشكل عام.

مسلم بن عقيل يرى أن من المصلحة أن ينتقل الى بيت آخر، ويكون مكثه

رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم، أنه ليس علينا إمام؛ فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى، وقد بعثت إليكم أخي و ابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب أنه قد اجتمع رأي ملأكم، وذوي الفضل والحجى منكم، على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فإني أقدم إليكم وشيكا إن شاء الله تعالى، فلعمري ما الامام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذلك لله، والسلام﴾. انظر: م ن، ص١٦٠.

﴿١﴾ قال المقرم وهو يصف دخول عبيد الله الى الكوفة: ﴿... ولبس ثيابا يمانية وعمامة سوداء وانحدر وحده، وكلما مر ﴿بالمحارس﴾ ظنوا انه الحسين عليه السلام ، فقالوا مرحبا بابن رسول الله، وهو ساكت، فدخل الكوفة مما يلي النجف.

واستقبله الناس بهتاف واحد: مرحبا بابن رسول الله! فساءه هذا الحال، وانتهى الى ﴿قصر الامارة﴾ فلم يفتح النعمان باب القصر، واشرف عليه من اعلى القصر يقول: ما انا بمؤد اليك امانتي يا ابن رسول الله، فقال له ابن زياد: افتح فقد طال ليلك! فسمعها رجل وعرفه، فقال للناس: انه ابن زياد ورب الكعبة، فتفرقوا الى منازلهم، وعند الصباح جمع ابن زياد الناس في الجامع الاعظم، وخطبهم، وحذرهم، ومناهم العطية، وقال: ايما عريف وجد عنده احد من بغية امير المؤمنين ولم يرفعه إلينا صلب على با ب داره...﴾. انظر: المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص١٦٥، م س.

في الكوفة سرياً؛ لأن عبيد الله بن زياد بدأ التعقيب والتفتيش عن مسلم بن عقيل. فبينما الوالي السابق كان سلبياً، أصبح عبيد الله بن زياد يفكر في مجابهة هذا التجمع.. وبذرة هذا التجمع. حينئذٍ انتقل مسلم بن عقيل من بيت المختار الى البيت بيت هاني بن عروة﴿١﴾ رضوان الله عليه، وبقي هناك متكتماً بمكثه، وأخذ الشيعة يزورونه متكتمين، وكان ظهور مسلم بن عقيل في اليوم المشهود﴿٢﴾ مع أربعة آلاف، وكان العمل الذي مارسه حينما ذهب الى قصر الإمارة مع هذا العدد من الشيعة، وحاول أن يحتل قصر الإمارة وأن يسيطر على مقاليد الموقف.

كان هذا العمل خارج نطاق التخطيط المتفق عليه بين مسلم والحسين.. كان العمل بملاك الدفاع؛ لأن مسلم بن عقيل رضوان الله عليه وقع في موقع الدفاع.. عبيد الله بن زياد بدأ بالهجوم.. أخذ يحاول أن يتعقب مسلم بن عقيل، وأن يقضي على هذه البذرة، فكان مسلم بن عقيل في حالة دفاع﴿٣﴾، ولم يكن في حالة غزو أو هجوم، يعني ان الظروف اضطرته الى أن يقف موقف المدافع، ولو لم يبدأ بهذه العملية إذن لهجم عليه عبيد الله بن زياد، وهجم على شيعته وهم في البيوت، فكان على مسلم بن عقيل ـ لا بمنطق رسالته من قبل الحسين.. لا بمنطق الحاكمية والسلطان والولاية، بل بمنطق الدفاع ـ أن يبدأ بمثل هذه العملية كدفاع عن نفسه، وعن قواعده التي التفت حوله حينما يحاول عبيد الله بن زياد أن يبدأ بالهجوم. اقرؤوا رسالة الحسين عليه الصلاة والسلام التي بعثها مع قيس بن مسهر الصيداوي الى الكوفة، كان في الرسالة يقول: إني سوف أرد اليكم قريبا فانكمشوا على أمركم حتى آتي... الرسالة واضحة﴿٤﴾ في أن الإمام الحسين ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ لم

﴿١﴾ م ن، ص١٦٨.

﴿٢﴾ بعد اعتقال هانئ.

﴿٣﴾ لأن ابن زياد بدأ البحث عنه بعد اعتقال هانئ...

﴿٤﴾ جاء في رسالة الحسين عليه السلام: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى اخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم فإني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقنا، فسألت الله

يكن قد خطط لمسلم بن عقيل ان يملك الكوفة، وأن يسيطر على الكوفة كحاكم، ووالٍ، وسلطان.. انكمشوا في أمركم يعني حاولوا ان تحفظوا هذا التجمع الى أن آتي، فكان تحويل هذا التجمع الى مجتمع.. الى سلطان.. الى دولة.. كان كل هذا موقوفاً على دخول الحسين ﴿عليه الصلاة والسلام﴾، ولهذا أوصى بأن ينكمشوا في أمرهم.

إذن فرسالة مسلم بن عقيل لم تكن إلا عبارة عن استطلاع أحوال تلك القواعد الشعبية، وتزويد الإمام الحسين بالمعلومات الواضحة المؤكدة عن تلك القواعد الشعبية، ولم يكن مسلم بن عقيل مكلفاً بحرب، وإنما قام بما قام به في اللحظة الأخيرة كدفاع عن النفس، حيث لم يكن هنالك طريق آخر للإستمرارية غير أن يتخذ هذا الموقف الدفاعي، كل هذا يعبر في الواقع عن شعار عدم الإبتداء بالقتال، هذا الشعار الذي كان من المفروض على الإمام الحسين ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ ان يطرحه لكي يشعر الناس جميعاً بأن العملية عملية فوق الشك، وأنها مشروعة حتى على مستوى تصورات الإنسان المسلم المهزوم روحياً وأخلاقياً، ونحن إذا لاحظنا الإمام الحسين ﵇ في مسيره من مكة الى العراق نرى أنه كان باستمرار يؤكد على ضرورة مواصلة السير والسفر؛ لأنه مدعو[1]، ولا بد له أن يجيب هذه الدعوة.

بلغه في الطريق أن مسلم بن عقيل قتل، ولم يغير من موقفه، أي يسقط هذا الشعار، بل بقي هذا الشعار مرفوعاً، وهو شعار أنه مدعو من قبل الكوفة، ولا بد له أن يجيب بالرغم من انه اطلع على أن مسلم بن عقيل وهاني بن عروة قد

ان يحسن لنا الصنع، وان يثيبكم على ذلك اعظم الاجر، وقد شخصت اليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا امركم وجدوا، فإني قادم عليكم في ايامي هذه ان شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته﴾. انظر: ابومخنف الغامدي، لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي ، مقتل الحسين ، ص٧١، م س.

﴿١﴾ أي مدعو من قبل المجتمع الكوفي.

قتلا[١]، بعد هذا اطلع على قيس بن مسهر الصيداوي قد قتل من قبل عبيد الله بن زياد[٢]، مع هذا لم يغير هذا الشعار، حتى التقى مع الحر بن يزيد الرياحي، جاءه الطرماح قال له: الحق بالجبل الفلاني وأنا أجمع لك عشرين ألف نفر من العشيرة الفلانية يلتفون حولك، والله يغنيك بذلك عن الكوفة قال عليه السلام: بيننا وبين القوم عهد، ولا بد علي أن أسير إليه[٣].

بعد كل هذه الدلائل من أهالي الكوفة على نكث العهد، مع هذا بقي الإمام الحسين يواصل تأكيده على هذا الشعار، إذن القصة في الواقع لم تكن قصة ان يقتنع الحسين، ولم يكن تحركه عليه السلام بينه وبين نفسه كنتيجة لرد فعل لطلب قواعده الشعبية في الكوفة؛ لأنه اطلع في أثناء الطريق على أن هذه القواعد الشعبية في الكوفة قد خانته، قد قتلت رسوله[٤]، قد قتل ثقته من أهل بيته، ومع هذا كان

﴿١﴾ قال المقرم: ﴿وفي زرود أخبر بقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، فاسترجع كثيرا، وترحم عليهما مرارا، وبكى، وبكى الهاشميون، وكثر صراخ النساء حتى ارتج الموضع لقتل مسلم بن عقيل، وسالت الدموع كل مسيل ...﴾. انظر: المقرم عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص٢٠٨، م س.

﴿٢﴾ لما بلغ الحسين عليه السلام زبالة، التحق به بعض شيعته من الكوفة، فسألهم كيف خلّفوا الناس؟ فأجابه مجمع بن عبد الله العائذي: ﴿اما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم، يستمال ودهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم الب واحد عليك، واما سائر الناس بعد فإن افئدتهم تهوى اليك، وسيوفهم غدا مشهورة عليك. قال: اخبرني فهل لكم برسولي اليكم؟ قالوا: من هو؟ قال: قيس بن مسهر الصيداوي، قالوا: نعم أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلى عليك وعلى ابيك، ولعن ابن زياد واباه، ودعا إلى نصرتك، واخبرهم بقدومك، فامر به ابن زياد فألقى من طمار القصر. فترقرقت عينا حسين عليه السلام ولم يملك دمعه، ثم قال: منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا الا تبديلا، اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلا، واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ورغائب مذخور ثوابك﴾. انظر: ابو مخنف الغامدي، لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي، مقتل الحسين، ص٨٨، م س.

﴿٣﴾ انظر: ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، مثير الأحزان، ص٢٨.

﴿٤﴾ المفروض أن السلطة الظالمة هي التي قتلت رسول الحسين، ولكن السيد هنا يعتبر أن القواعد هي التي قتلته، وأنها خانت الحسين عليه السلام. والوجه في ذلك أنه يريد بأن تلك القواعد لم يكن منها

يواصل السفر اليها، كان هذا الشعار شعاراً منسجماً مع الأخلاقية التي تعيشها الأمة الإسلامية، وكان لا بد له أن يطرح هذا الشعار لكي يسبغ على العملية طابع المشروعية في نظر أولئك الذين يحبون السلامة.. أولئك الذين يرون في التضحية لوناً من ألوان التهور، واللامعقولية، وقلة الأناة.

الأسلوب الثاني: حشد كل المثيرات العاطفية.

وكان من الأساليب التي اتخذها أيضاً ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ لكسب هذه الأخلاقية ومجاملتها أنه حشد في المعركة كل القوى والإمكانيات، لم يكتف ﴿عليه أفضل الصلاة والسلام﴾ بأن يعرض نفسه للقتل، عسى أن تقول أخلاقية الهزيمة: إن شخصاً حاول أن يطلب سلطاناً فقتل، بل أراد أن يعرض أولاده للقتل، وأهل بيته، ونساءه للسبي، أراد أن يجمع على نفسه كل ما يمكن ان يجتمع على إنسان من مصائب وتضحيات وآلام؛ لأن أخلاقية الهزيمة مهما شكّكت في مشروعية ان يخرج إنسان للقتل، فهي لا تشكك في هذا العمل الفظيع الذي قامت به جيوش بني أمية.. قامت به جيوش الإنحراف ضد بقية النبوة، لم يكن عملا صحيحاً على كل المقاييس، وبكل الإعتبارات.

كان لا بد للإمام الحسين عليه السلام ان يُدخل في المعركة دمه، وأولاده، وأطفاله، ونساءه، وحريمه، وكل والإعتبارات العاطفية، وكل الإعتبارات التاريخية، حتى الآثار التي كانت قد تبقت له من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى العمامة، حتى السيف.. لبس عمامة رسول الله، تقلد سيف رسول الله صلى الله عليه وآله، أدخل كل هذه المثيرات التاريخية والعاطفية الى المعركة، وذلك لكي يسد على أخلاقية الهزيمة كل منفذ وكل طريق الى التعبير عن هزيمتها، وعن نوع من أنواع الإحتجاج على هذا العمل؛ لكي يهز بذلك ضمير ذلك الإنسان المسلم المهزوز الذي تميعت إرادته،

رد فعل يتناسب مع دعوتهم للحسين، فالمفروض أنهم يبذلون كل غال ونفيس، من أجل الحسين عليه السلام ونصرته، خصوصا بعد ملاحظة أنهم هم الذين دعوه، ولكنهم تراجعوا أمام إرهاب السلطة، وتخلوا عن مسؤوليتهم، حبا للراحة والسلامة.

وهكذا كان... قد استطاع عليه الصلاة والسلام بهذا التخطيط الدقيق الرائع أن يهز ضمير ذلك الإنسان المسلم.

الدرس الذي نستفيده من التخطيط الحسيني :

ومن هذا التخطيط يمكننا أن نستفيد درساً عاماً، وحال هذا الدرس: أن عملية التغيير في أخلاقية الأمة لا يجوز أن تقوم بأي مجابهة واضحة للأخلاقية الفاسدة الموجودة في الأمة؛ لأن المجابهة الواضحة الصريحة للأخلاقية الفاسدة الموجودة في الأمة يكون معناها الإنعزال عن هذه الأمة والإنكماش، وعدم القدرة على القيام بعمل مشروع في نظر هذه الأمة.. حينما نريد أن ننفذ الى ضمير الأمة التي ماعت أخلاقياً، لابد لنا أيضاً في نفس الوقت الذي نفكر في إنشاء أخلاقيتها من جديد أن نفكر في عدم مجابهة الأخلاقية القائمة بالشكل الذي يعزل هذا الشخص الذي يريد ان يغير أخلاقية الأمة، فلابد له أن يفكر في انتهاج طريق في التغيير يستطيع به ان ينفذ الى ضمير الأمة، وهو لا يمكنه أن ينفذ الى ضمير الأمة إلا إذا حافظ باستمرار على معقولية ومشروعية عمله في نظر الأمة، كما عمل الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام، لم يبقَ لدى شخص من أبناء الأمة الإسلامية أي شك في أن عمل الإمام الحسين كان عملاً مشروعاً صحيحاً، وأن عمل بني أمية كان عملاً ظالماً عاتياً جباراً.

وهذا الوضوح في الرؤية هو الذي جعل المسلمين يدخلون بالتدريج الى آفاق جديدة من الأخلاقية تختلف عن أخلاقية الهزيمة، هذا الوضوح هو الذي هز ضمير الإنسان المسلم في عصر واحد، أو في جيل واحد، لا يمكن أن يكون ثمن دم الإمام الحسين عليه السلام أن تتزلزل قواعد بني أمية، او أن يكشف عن حقيقة بني أمية، أو أن تنتعش ضمائر جيل من أمة الإسلام... هذا لا يكفي ثمناً لدم الإمام الحسين الطاهر، بل إن ثمن دم الإمام الحسين ـ الذي هو أغلى دم سفك في سبيل الإسلام ـ ان يبقى محركاً، منوّراً، دافعاً، مطهراً، منقياً على مر التاريخ لكل أجيال الأمة الإسلامية، لابد وان يهزّ ضميرنا وضمير كل واحد منا اليوم، كما كان يهز ضمير

المسلمين قبل ثلاثة عشر قرناً. لابد أن يهز ضمير كل واحد منا حينما نجابه أي موقف من مواقف الإغراء، أو الترغيب أو الترهيب، لابد وأن نستشعر تلك التضحية العظيمة حينما نلتفت الى أننا مدعوون الى تضحية جزئية بسيطة، حينما يتطلب منا الإسلام لوناً من التضحية وقدراً بسيطاً وضئيلاً من التضحية التي قام به الإمام الحسين عليه السلام لكي نستصغر، ولكي يتضاءل أمامنا أي قدر نواجهه في حياتنا ونكلف أنفسنا بالقيام به في سبيل الإسلام.

إن الإسلام اليوم يتطلب منك قدراً قليلاً من التضحية بقوتك، براحتك، بمصالحك الشخصية، برغباتك بشهواتك، في سبيل تعبئة كل طاقاتك وإمكانياتك وأوقاتك لأجل الرسالة.. أين هذه التضحية من تلك التضحية العظيمة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام؟ من تضحيته بآخر قطرة من دمه.. بآخر شخص من ذريته.. بآخر كرامة من كراماته بحسب مقاييس الإنسان الدنيوي؟! لابد أن نعيش دائماً هذه التضحية، ونعيش دائماً مدلول هذا الدم الطاهر؛ لكي يكون ثمن دم الإمام الحسين حياً على مر التاريخ[1].

﴿١﴾ الى هنا انتهى ماقاله السيد الشهيد قدس سره.

الخلاصة:

يعتبر السيد الشهيد الصدر الأول ﵀: ان الإمام الحسين ﵇ اتخذ قرار الصدام المسلح مع السلطة من لحظة رفضه البيعة ليزيد، فبعد أن يذكر رد الإمام الحسين ـ بحسب الرواية ـ للوالي الذي طلب البيعة: ﴿... نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة﴾[1]، يقول ﵀ معلقا: ﴿وكان هذا واضحاً في إعلانه العزم والتصميم على حركة مسلحة ضد السلطان القائم وقتئذ..﴾.

ومن هنا فإن حركة الحسين ﵇ لم تكن رد فعل على كتب الكوفيين فقط، بل هي في ذات الوقت فعل، بل إن الكوفيين لم يكتبوا للحسين إلا بعد معرفتهم برفضه البيعة...

وكمؤشر آخر على أنها كانت فعلا وليست رد فعل نلاحظ أن الحسين ﵇ كان يطالب قواعده الشعبية بموقف تجاه حركته ابتداء، كرسائله التى بعث بها لزعماء البصرة. ﴿وأعلن في رسالته لهم أنه قد قرر الخروج على سلطان بني أمية، قال لهم بأن هذا الخط الذي يمثله هو ويمثله أبوه وأخوه هو الحق، إلا أنه سكت وسكت أبوه وأخوه حينما كان الكتاب والسنة تراعى حرمتها. أما حينما انتهكت حرمة الكتاب وحرمة السنة، حينما أميتت السنة، حينما أحيت البدع، حينما انتشر الظلم، لا بد لي أن أتحرك، ولا بد لي أن أغير، ولا بد لكم أن تحققوا في هذا الموقف درجة تفاعلكم مع رسالتكم﴾.

وانطلاقا من ذلك كله كان الشعار الرئيسي النظري الذي تصدر شعارات الثورة هو الإصلاح[2]، وتطبيق ذلك الشعار مارواه الحسين ﵇ عن جده رسول الله ﷺ: ﴿من رأى سلطاناً جائراً يحكم بغير ما انزل الله فلم يغير من ذلك السلطان بفعل أو قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله﴾[3].

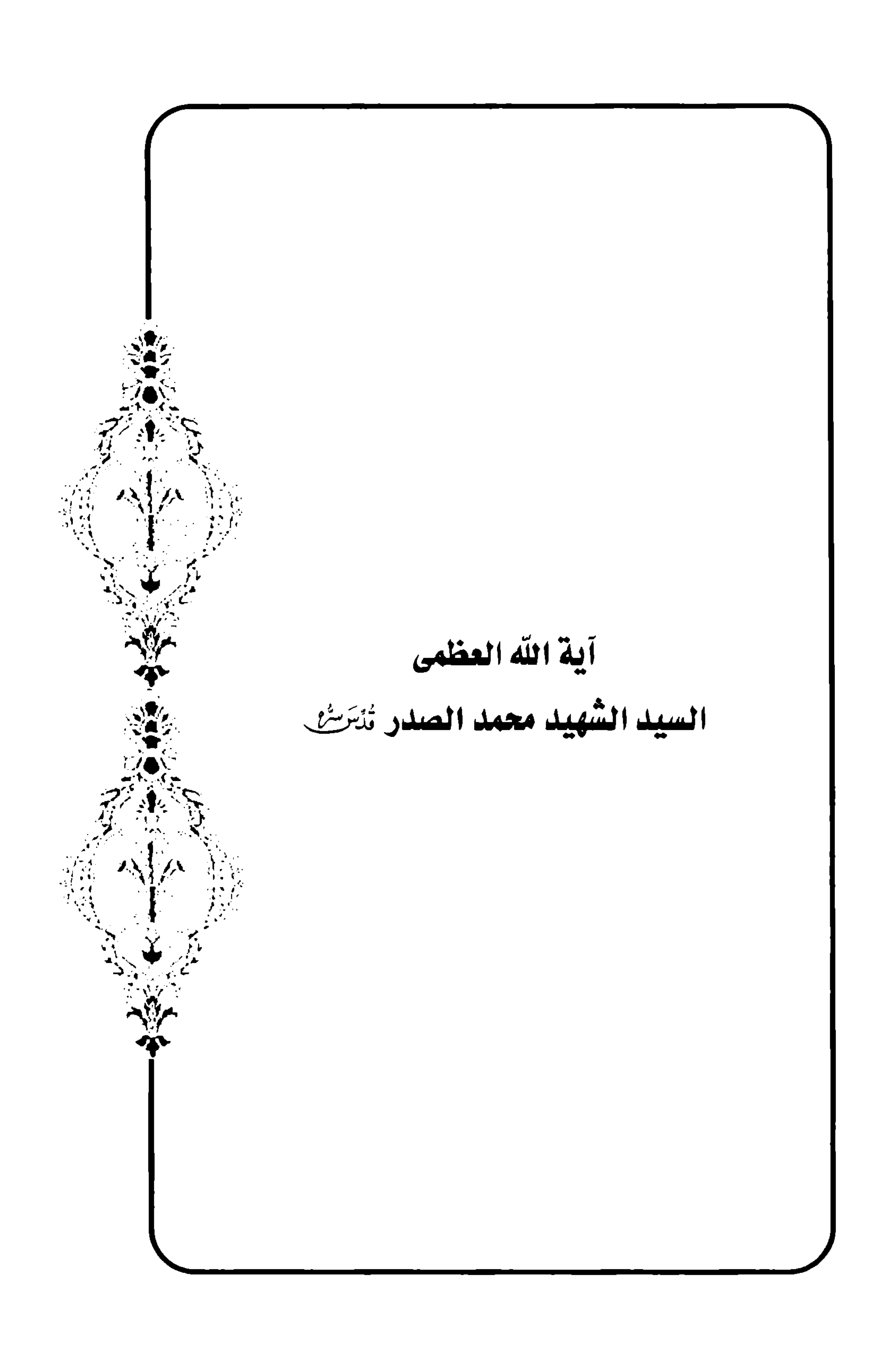
﴿١﴾ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط، ج٤٤ص٣٢٥، م س.

﴿٢﴾ ﴿ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي...﴾. انظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٣٠، م س.

﴿٣﴾ م ن، ص٩٣، م س.

اذن الدافع هو اسقاط الأطروحة الأموية، والهدف هو شدّ المسلمين الى اسلامهم الأصيل، وذلك من خلال بعث الروح والحس الديني والإيماني في النفوس لإحياء القيم النبيلة التي جاء بها نبي الإسلام صلى الله عليه وآله بعدما كادت تموت؛ لتزول أخلاقية الهزيمة وتحل محلها روح التضحية والإقدام، بأي ثمن وإن كان ذلك الثمن هو دمه الطاهر، لتحيى الأمة حالة من الوضوح بين منهج أموي جاهلي بثوب الإسلام ومنهج حسيني محمدي أصيل.. ﴿هذا الوضوح هو الذي هز ضمير الإنسان المسلم ليس في عصر واحد، أو في جيل واحد.. لا يمكن أن يكون ثمن دم الإمام الحسين عليه السلام أن تتزلزل قواعد بني أمية، او أن يكشف عن حقيقة بني أمية، أو أن تنتعش ضمائر جيل من أمة الإسلام... هذا لا يكفي ثمناً لدم الإمام الحسين الطاهر، بل إن ثمن دم الإمام الحسين ـ الذي هو أغلى دم سفك في سبيل الإسلام ـ ان يبقى محركاً، منوَراً، دافعاً، مطهراً، منقياً على مر التاريخ لكل أجيال الأمة الإسلامية..﴾.

هذه خلاصة الفكرة التي طرحها السيد الشهيد في هذه المحاضرات، وهي ذات جنبة إجتماعية رسالية إصلاحية تركز على بعث الروح التضحوية، الأمر الذي جعل من المسار الحسيني هو البوصلة التي تحدد القرب من المنهج المحمدي والبعد عنه، ورفض الذل أو القبول به.



آية الله العظمى

السيد الشهيد محمد الصدر قُدِّسَ سِرُّه

توطئة:

رأي السيد الشهيد محمد الصدر ﵀ في هذه المسألة طرحه في سلسلة محاضرات في الثورة الحسينية في مسجد الرأس ـ الملاصق للحرم العلوي المطهر ـ ثم دونها وأصدرها في كتاب أسماه: ﴿أضواء على ثورة الإمام الحسين﴾.

ولايخفى أن السيد الشهيد نهج في طرحه لهذا الموضوع ـ وكعادته في التأليف ـ منهج الأطروحات لما يمكن أن يحتمل أو يتصور أنه هدف لنهضة الإمام الحسين عليه السلام.

ثم أنه قبل استعراض تلك الاطروحات قدم لذلك ببحث رسم فيه محددات ومقاسات شرعية وعرفية، ثم افترض أن الأهداف المتصورة لحركة الإمام الحسين عليه السلام يجب أن لا تخرج عن تلك المقاسات، وقد تقدم استعراض تلك المقاسات في المقدمة فراجع.

ونلفت النظر هنا أن كتاب ﴿أضواء على ثورة الإمام الحسين﴾ حققه العلامة الشيخ كاظم العبادي الناصري في حياة السيد الشهيد ﵀، وطبع عدة طبعات، في حياة السيد الشهيد وبعد استشهاده، ونحن هنا نعتمد نسخة مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر ﵀.

ونص ماكتبه السيد الشهيد ﵀ هو الآتي:

الأهداف المحتملة للحسين عليه السلام[1]

ما يحتمل أن يكون هدفاً للإمام الحسين عليه السلام في حدود تفكيرنا وادراكنا، كما يلي، نذكرها جميعاً لنرى ما هو صحيح منها وما هو قابل للمناقشة، بعد الإلتفات إلى أننا نفينا خلال الحديث السابق عن الشروط[2] عدداً من الأهداف التي قد تخطر في الذهن، كالانتصار العسكري المباشر أو مباشرة الحكم فعلاً ونحو ذلك؛ لأنها لم تكن جامعة للشرائط. إذن فهي ليست هدفاً للحسين عليه السلام في حركته. إذن، فينبغي أن نعرض عنها الآن ونذكر غيرها مما يدور في الحسبان:

الهدف الأول: أن لا يبايع الحاكم الأموي.

يومئذ كما طلب، فإنه عليه السلام رفض ذلك بكل قوة وصمود. كما ورد عنه أنه قال: ﴿ومثلي لايبايع مثله﴾[3]. فقد تحمل القتل وهذه التضحيات الجسام في سبيل ترك هذه البيعة الدنيئة.

وقد يناقش هذا الهدف بعدة مناقشات، يحسن بنا أن نذكر المهم منها، لكي يتكامل فهمنا لهذا الهدف في نفس الوقت خلال الحديث:

المناقشة الأولى: انه كان يمكنه سلام الله عليه تجنب كلا الأمرين، المبايعة والتضحية معاً، فلماذا اختار التضحية مع إمكانه تجنبها ؟. غير أن هذه المناقشة بمجردها غير تامة. للوضوح التاريخي أنه عليه السلام كان مكرهاً على أحد أمرين: المبايعة أو الشهادة[4]، ولم يكن في مستطاعه طبيعياً أن يتجنبهما معاً، لمدى الضغط العظيم

﴿١﴾ انظر: الصدر، محمد، أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ص٩٩، م س.

﴿٢﴾ تقدم ذكرها في المقدمة فراجع.

﴿٣﴾ انظر: ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، مثير الأحزان، ص١٤، م س.

﴿٤﴾ كما ورد في بعض كلماته عليه السلام: ﴿... بين السلّة والذلّة ...﴾. انظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص١٢٩.

الذي وجهته الدولة يومئذ عليه طلباً للمبايعة، وتهديداً بالموت إن تركها. ويدل على هذا الأمر مضافاً إلى وضوحه التاريخي، الإرتكاز العام لفهم الدولة الأموية يومئذ. وكذلك ما فعل يزيد بن معاوية بسائر معارضيه من المحاربة والتنكيل، ولم يكن الحسين عليه السلام بدع من ذلك، كما يعبرون.

ويدل عليه أيضاً، ما ورد عنه عليه السلام من قوله: ﴿ألا وان الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين السلة والذلة. وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون﴾[1]. والدعي بن الدعي هو الحاكم الأموي، والسلة هو سل السيف للقتل، والمراد به التهديد بالقتل، والذلة هو المبايعة والدخول تحت السيطرة الأموية. وقوله: وهيهات منا الذلة، يعني هيهات منا المبايعة كما يريد الحاكم الأموي، كما قال في الخطبة نفسها: ﴿ان نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام﴾[2].

كما يدل على ذلك ما ورد من أن الحكم القائم يومئذ دس في مكة أربعين من العتاة وبثهم ما بين الناس، وأوصاهم أن يقتلوا الحسين عليه السلام حيث وجدوه ولو كان متعلقا بأستار الكعبة[3]. وقد علم الحسين عليه السلام ذلك، ومن هنا خرج من مكة قاصداً المدينة المنورة[4]؛ لكي يكون مقتولاً خارج الحرم المكي الذي جعله الله آمناً وحرم فيه كل أشكال إهراق الدم حتى الصيد[5]. فكره عليه السلام أن يكون سبباً لهتك

﴿١﴾انظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص١٢٩، م س.

﴿٢﴾ م ن، ص١٢٩.

﴿٣﴾ اسرار الشهادة للدربندي، ط الحجرية. وانظر: الجلالي، محمد رضا، الإمام الحسين ــ سماته وسيرته، ص٩٣، م س.

﴿٤﴾ بل خرج من مكة متوجها نحو العراق، تخلصا من هتك حرمة الكعبة، واستجابة لطلب الكوفيين.

﴿٥﴾ قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم

هذا الحرم المقدس.

إذن، فلم يكن مستطيعاً أن يتجنب كلا الأمرين، البيعة والتضحية معاً، بل كان مكرهاً أن يقبل بأحدهما، وقد اختار لنفسه أعلاهما وأشرفهما، وهو التضحية.

المناقشة الثانية: إن هذا الهدف إنما هو هدفه الشخصي من حركته، ونحن نريد التعرف على ما يكون محتملاً من أهداف الحكمة الإلهية في ذلك.

وقد أشرنا في مقدمات هذا البحث، إلى ثبوت كلا هذين النحوين من الأهداف، غير أن هذه المناقشة أيضا لا تتم لعدة وجوه، نذكر المهم منها:

أولا: إن انقسام الأهداف كما ذكرنا وإن كان صحيحاً، غير أن الباحث أو المفكر، كما يطمح أن يتعرف على الهدف الثابت في الحكمة الإلهية، يطمح أيضا أن يتعرف على الهدف الشخصي سواء بسواء. فالقول: باختصاص الطموح بأحد النوعين من الأهداف دون الثاني، قول بلا موجب. إذن، فحتى لو كان عدم المبايعة هدفاً شخصياً، فنحن يحسن بنا أن نلتفت إليه، ونأخذه بنظر الإعتبار.

ثانيا: إن عدم المبايعة هنا، كما هو هدف شخصي للحسين عليه السلام، هو هدف للحكمة الإلهية أيضاً. وأوضح سبيل إلى إيضاحه أن نقيس الأمر بحصول المبايعة، فكم سوف يحصل من المفاسد بوجودها، وكيف يتغير الدين الخالص، ويبقى متغيراً فاسداً ـ وحاشاه ـ إلى يوم القيامة، وهذا بكل تأكيد خلاف الحكمة الإلهية. إذن، فوجود البيعة مخالفٌ للحكمة الإلهية، فيكون عدمها موافقاً لها لا محالة.

المناقشة الثالثة لهذا الهدف: إنه هدفٌ وقتيٌّ منوطٌ لا محالة بحياة الإمام الحسين عليه السلام، كما هو منوط بحياة الحاكم الأموي. لوضوح إنه لا معنى للمبايعة لدى موت أحدهما. ونحن إنما نريد الاطلاع على الأهداف الدائمية لا الأهداف الوقتية. غير أن هذه المناقشة غير صحيحة. ونورد عليها ما يشبه الوجهين اللذين أوردناهما على المناقشة السابقة:

الله منه والله عزيز ذو انتقام أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾. المائدة: ٩٤ ـ ٩٦.

أولا: إن هذا الهدف وان سلّمنا انه هدف وقتي، إلا أن اختصاص تعرف الباحث أو المفكر بالأهداف الدائمة وغير الوقتية بلا موجب، بل نحن نريد التعرف على كلا الشكلين من الأهداف.

ثانياً: إن هذا الهدف وان كان منوطاً بحياة هذين الشخصين، إلا أنه ـ مع ذلك ـ ليس وقتياً بل مستمراً. ولنا أن نقيس ذلك إلى صورة حصول المبايعة. فكما إن المفاسد مع حصول المبايعة سوف لن تكون وقتية بكل تأكيد، كذلك المصالح والأهداف الناتجة عن ترك المبايعة سوف لن تكون وقتية، ويكفي بها أن تكون تخلصاً ودفعاً لتلك المفاسد المستمرة، إذن فهي أهداف مستمرة.

المناقشة الرابعة لهذا الهدف: إن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن مضطراً أو مكرهاً على هذين الأمرين، البيعة أو التضحية، بل كان يمكنه أن يتجنبهما معاً، كما قلنا في المناقشة الأولى. ولكننا قلنا هناك: انه يمكنه أن يتجنبهما وهو مرتاح في بلده، ولم يكن هذا صحيحاً كما عرفناه.

أما هنا فنقول: إنه كان يمكنه أن يخرج إلى بلاد بعيدة لا تنالها يد الأمويين، كاليمن، أو الهند، أو الأفغان، أو غيرها.. لينجوا من القتل والبيعة معاً، خاصة وأن الدول في ذلك الحين لم تكن تملك إمكانيات الدول الحاضرة، ولم يكن في استطاعتها الحرب في الأماكن البعيدة، وقد ورد عن بعض ناصحيه والمشفقين عليه من الخروج[1] هذا المعنى. فلماذا لم يفعل؟. وجواب ذلك يتم في وجوه، نذكر أهمها:

أولاً: إن ما قاله المستشكل من ضعف الدول القديمة وإن كان صحيحاً إجمالاً، إلا انه ليس صحيحاً تماماً. إذ يكفي ان نتصور كيف سار الفتح الإسلامي في ذلك القرن الأول نفسه، بل قبل مقتل الحسين عليه السلام، إلى العراق، وإيران، وسوريا، وفلسطين، ومصر، وأذلّ الجبابرة والقياصرة والأكاسرة. فكيف حصل ذلك إلا

﴿١﴾ كمحمد بن الحنفية، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وغيرهم.. وقد تقدم كلامهم مع الحسين وجوابه لهم، فراجع.

باستعداد تامٍّ ومعنويات عالية.

كما يكفي أن نتذكر كيف خاض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قبل مقتل الحسين بمدة طويلة، حروباً مروّعة كصفين والنهروان. أما عن الحديث عن الحروب الجاهلية السابقة على الإسلام فحدّث ولا حرج.

إذن، فالناس في ذلك الحين، كانوا مقاتلين شجعاناً، ومتدربين على تحمّل أنواع المصاعب في سبيل ما يطمحون إليه من الأهداف أو ما يؤمرون به من الأغراض. إذن فمن المحتمل جداً، بل السائغ تماماً، أن نتصور أن الحسين عليه السلام أينما ذهب فسوف يرسل الحاكم الأموي خلفه جيشاً عرمرماً للقضاء عليه وقتله[1]، أو أن يدسَّ من يقتله غليةً أينما وجده. وليس كلُّ ذلك على المفسدين ببعيد.

إذن، فهذا التخيير بين ﴿السلّة والذلّة﴾ أو ﴿البيعة والتضحية﴾ كان عليه السلام مكرهاً عليه في كل وجه الأرض المنظور يومئذ بكل تأكيد، ولم يمكن النجاة منه على أي حال.

ثانيا: إن الإمام الحسين عليه السلام لو ذهب بعيداً، لأرجف عنه أعداؤه أنه ذهب منهزماً عن المواجهة، وفاراً من الملاقاة، ولوصفوه بكل عظيمة. والإعلام يومئذ ـ وفي كل يوم ـ على استعداد لذلك على أي حال. وهذا ما لا يريده لنفسه بعد أن كان يعيش من نقطة قوة وبروز في المجتمع بصفته سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وابنه، وسيد شباب أهل الجنة، والإمام المفترض الطاعة لطائفة من المسلمين.

كيف، ونحن نجد أعداءه قد أرجفوا، ضده بالرغم من تضحيته وصبره وصموده، فكيف كان عليه الحال لو اختار الاحتمال الآخر، وإن كان يدرك أن فيه بعض المصالح على أي حال؟ يكفي أن هذا الإرجاف عندئذ يستطيع أن يسيطر في المجتمع الجاهل، وان يسلب بعض نقاط القوة التي كان يعيشها الحسين عليه السلام، فقد لا يكون عندئذ ناجحاً في عمله، حتى لو ذهب إلى مكان بعيد.

﴿١﴾ خصوصا مع الإلتفات الى أن الحسين عليه السلام رجلا معروفا وشخصية بارزة مهمة في المجتمع المسلم، لا يمكن أن يختبئ في بلد ما ويضيع أثره.

ثالثاً: إننا لا ينبغي أن نتوقع أن يذهب الحسين عليه السلام إلى أي نقطة من العالم كيف كانت، ولذا لم يذكر له الذين ناقشوه على الخروج إلا منطقة واحدة هي اليمن. وقالوا له: ﴿إن فيها شيعة لأبيك﴾[1]؛ لأن أباه أمير المؤمنين عليه السلام ذهب إلى اليمن بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ردحاً من الزمن، ورآه اليمنيون وأحبوه[2].

أما ذهابه إلى مناطق أخرى، فغير معقول إطلاقاً. إما لكونهم ضد الحسين عليه السلام، كما حصل في الكوفة وكربلاء، وإما لأنهم غير مسلمين أساساً، وإما لأنهم غير عرب أساساً، يتعذر العيش معهم لاختلاف لغتهم، وإما لأنهم متخلفون حضارياً بحيث يضيع وجوده بينهم، وينقطع خبره عن الآخرين. وكل ذلك غير معقول ولا يريده الحسين عليه السلام لنفسه.

وأكرر الآن: أن المكان الوحيد البعيد الذي كان مناسباً نسبياً، لم يكن الا اليمن، وهو الوحيد الذي ذكروه له، الا أنه رفضه. وكان رفضه بحسب فهمنا معتمداً على الوجهين الأولين اللذين قلناهما قبل قليل لهذه المناقشة فراجع وفكرَ. مضافا إلى أمور أخرى تعرفها من أجوبة المناقشات السابقة. وحيث لم تتم ولا مناقشة واحدة لهذا الهدف الحسيني الجليل، إذن، يتعين الأخذ به، وهو ترك البيعة ليزيد بن معاوية، واختيار التضحية عليه. فإذا تم هدف آخر فيما يلي، كان نوراً على نور، وإلا ففي هذا الهدف الكفاية.

﴿١﴾ أشار عليه به محمد بن الحنفية. انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسني، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٣٩، م س.

﴿٢﴾ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين ﴿صلوات الله عليه﴾: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن وقال لي: يا علي لا تقاتلن أحدا حتى تدعوه، وأيم الله لإن يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا علي. انظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٥ ص٢٨، م س.

الهدف الثاني: الممكن لحركة الحسين عليه السلام:

الإمتثال لأمر الله سبحانه وتعالى إياه بها، ذلك الأمر المعروف لديه إما بالإلهام أو بالرواية عن جده النبي صلى الله عليه وآله [1]. وكان يطلب ثواب الله وجزاءه الآخروي على ذلك، تماما كما يفعل أي مؤمن حين يؤدي أي واجب ديني، كالصلاة أو الصوم أو الحج. ويدل على ذلك: ما ورد عن جده صلى الله عليه وآله انه قال له في المنام: ﴿يا بني: انه لا بد لك من الشهادة، وإن لك درجات عند الله عز وجل لن تنالها إلا بالشهادة﴾ [2]. كما يدل عليه ما ورد: أنه بعد مقتله عليه السلام وضعت أخته الحوراء زينب سلام الله عليها يديها تحت جسده الطاهر وقالت: ﴿اللهم تقبل منا هذا القربان﴾ [3]. لوضوح أن القبول إنما يكون لعمل من أعمال الإمتثال والطاعة. وهذا الهدف، صحيح بكل تأكيد، كما أنه بكل تأكيد هدف شخصي له، وليس من أهداف الحكمة الإلهية في حركته فإنَّ الحكمة الإلهية. وان كانت تريد امتثاله وطاعته سلام الله عليه، إلا أن هذا مما يعود إليه لا أنه يعود على غيره. والأهداف التي نتحدث عنها انما هي الأهداف التي تعود إلى غيره بالنفع، مما قلنا أنه من أهداف الحكمة الإلهية من حركته، في حدود ما نستطيع تعقله. إلا إننا قلنا في نفس الوقت. إن الطموح غير خاص بالأهداف العامة، بل يشمل الأهداف الخاصة أيضاً. مضافاً إلى إمكان أن يقال بكل تأكيد ـ أيضا ـ : إن عدم انتفاع الآخرين من هذا الهدف غير صحيح إطلاقاً، لا في الدنيا ولا في الآخرة. أما في الدنيا: فلما سنذكره من الأهداف الآتية من أن حركته أوجبت هداية الناس، وتعريفهم أهمية الدين، ولزوم التضحية له عند الحاجة بالنفس، والأهل، والمال، والولد. وأن طاعة الله سبحانه لازمة على كل حال. وأما في الآخرة: فلأنه عليه السلام أصبح واسع الشفاعة يوم

﴿١﴾ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الأمالي، ط الأولى ١٤١٧هـ تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم، ص٢١٧.

﴿٢﴾ م ن، ص٢١٧.

﴿٣﴾ القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ دراسة وتحليل، ط الأولى، ١٣٩٥، طبع ونشر: مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف، ج٢ص٣٠١.

القيامة، أكثر من أي واحد من المعصومين الآخرين سلام الله عليهم، كما ثبت في محله ووردت عليه بعض النصوص[1]. ولم يكن لينال هذه المنزلة لولا تلك المقامات والدرجات التي حصلت له بالشهادة نفسها.

إذن، فالأمر كما يعود إليه يعود إلى غيره، والرحمة الإلهية عامة للجميع.

الهدف الثالث: الذي قد يخطر في بعض الأذهان لحركة الحسين عليه السلام:

هو الإنتصار العسكري المباشر، أو قل: إزالة الحكم الأموي فورياً. وهذا مما سبق أن أشرنا إلى نفيه خلال حديثنا عن الشروط السابقة[2]، ولكننا نذكره الآن لأن عددا من الناس بما فيهم بعض المفكرين قد يتصورونه. وقد يستدل عليه بما ورد من أنه قيل لمسلم بن عقيل سلام الله عليه حين تألب عليه الأعداء في الكوفة: ﴿إن الذي يطلب ما تطلب، لا يبكي إذا نزل به ما نزل بك﴾[3]. إذن، فهو يطلب السيطرة على الحكم ، أعني من الناحية الدينية، ويدافع عن هذا الهدف ضمن دفاع الحسين عليه السلام؛ لأنه رسوله إلى الكوفة. غير أن صحّة هذا الهدف تتوقف على أمور، لو تم أي واحد منها أمكن قبوله، وإلا فلا.

الأمر الأول: أن نتصور الإمام الحسين عليه السلام قائداً دنيوياً، قد تخفى عليه بعض النتائج، وأن عدم سيطرته الفعلية على الحكم أمر لم يكن يتوقعه أول الأمر. ثم أصبح مغلوباً على أمره متورطاً في فعله. وقد سبق أن ناقشنا ذلك مفصلا، وعلمنا أنه عليه السلام عالم بالنتائج قبل حدوثها، إما بالإلهام أو بالرواية عن جده صلى الله عليه وآله وسلم . ومن هنا فمن غير المعقول أن نجرّد منه قائداً دنيوياً، مهما كان عبقرياً.

الأمر الثاني: أن يكون هذا الهدف الذي يقال أو أي هدف يقال، جامعا

﴿١﴾ انظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٨ ص١، م س. ابواب فضل زيارة سيد الشهداء/ التستري، جعفر، الخصائص الحسينية، ط ـ سنة ـ، دار الإعتصام، تحقيق: جعفر الحسيني، ص١٤.

﴿٢﴾ في مطلع حديثه قدس سره.

﴿٣﴾انظر: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الارشاد، ج٢ص٥٩، م س.

للشرائط الأربعة التي أسلفناها[1]، في حين أن هذا الهدف غير جامع لتلك الشرائط؛ لأنه ينقص منه شرط واحد، وهو التحقق فعلاً. فإن هذا الهدف لم يتحقق أصلاً قطعاً. فلا ينبغي أن نعتبره هدفاً كما سبق أن برهنّا عليه هناك.

الأمر الثالث: أن نفهم من التاريخ أن انتصار الحسين عليه السلام وفوزه المباشر على أعدائه أمر محتمل، وأن احتماله وارد ومعقول، بحيث يكون استهدافه أمراً معقولاً. وأما إذا كان في نفسه أمراً غير محتمل، كما يعرفه جماعة من حذاق المجتمع ومفكريه، بما فيهم الذين ناقشوه في الخروج إلى الجهاد؛ إذن فلا يكون استهداف مثل هذا الهدف معقولاً، عرفاً، وعقلائياً، وسياسياً، فضلا عن الإلتفات إلى العلم الإلهي والحكمة الإلهية.

الهدف الرابع: المحتمل لحركة الإمام الحسين عليه السلام:

فضح بني أمية ومن كان على شاكلتهم، من يومه إلى يوم القيامة، بأنهم ليسوا فقط ظالمين لأنفسهم ـ بينهم وبين الله سبحانه ـ بل ولا ظالمين للناس في حكمهم غير العادل فحسب، وإنما الأمر أكثر من ذلك. فإنهم على استعداد أن يقتلوا الرجال والأطفال، وأن يسبوا النساء، وان يقتلوا خير الخلق الموجودين على وجه الأرض من اجل التمسك بالحكم والكرسي. وهذا معناه أنهم مستعدون أن يقتلوا أي إنسان أو أي عدد من الناس، مهما كثر عدده أو كثرت أهميته، في سبيل ذلك، كما إن معناه، عدم وجود عاطفة الإنسانية في قلوبهم على الإطلاق. كما إن معناه أنهم على استعداد أن يفعلوا أي منكر آخر، مما يرتبط بالملك أو لا يرتبط، بعد أن انسلخوا تماماً، عن الإنسانية وعن الورع في المحارم.

وهذا الهدف صحيح وواقعي. وقد حصل فعلا على اثر واقعة كربلاء مباشرة، وما زال ساري المفعول، وسيبقى إلى يوم القيامة، ضد بني أمية الحكام السابقين، وضد أضرابهم من الظالمين من البشر إلى قيام يوم الدين.

﴿١﴾ تقدم ذكرها في مقدمة هذا الكتاب.

ومن هنا فإني أعتقد، أن هذا الحاكم الأموي، قد أخطأ خطأ كبيراً، حين سود صحيفة أعماله بأمور كثيرة ومنكرات فضيعة جداً، وأوجب سوء ظن الناس والتاريخ به وبعشيرته وأمثاله باستمرار. مضافاً إلى غضب الله سبحانه، وذلك انه فعل ثلاثة أمور مهمة، مضافاً إلى منكراته الشخصية، أهمها: عليه السلام

ـ قتل الحسين عليه السلام وجيشه في كربلاء، والتنكيل بهم تنكيلاً فظيعاً.

ـ مضافاً إلى رمي الكعبة بالمجانيق. وكان بمنزلة القصف المدفعي في زمننا، إذ يشعلون النار في بعض المواد ويقذفونها بعيداً، على العدو بواسطة الآلة القاذفة التي تسمى بالمنجنيق. وقد بقيت الكعبة المشرفة تحت هذا القصف المركز أياماً بلياليها[1].

ـ هذا مضافاً إلى واقعة الحرة، بقيادة مسلم بن عقبة الذي أباح المدينة المنورة ثلاثة أيام كاملة، قتلاً ونهباً وسلباً وإعتداءاً على الأموال والنساء والأطفال، بشكل لم يسبق له مثيل[2].

﴿١﴾ قال ابن كثير: وكان سبب وقعة الحرة أن وفدا من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم، وأطلق لاميرهم - وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر - قريبا من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر، وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر؛ فاجتمعوا على خلعه، فخلعوه عند المنبر النبوي، فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية، يقدمها رجل يقال له مسلم بن عقبة، وإنما يسميه السلف: مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غضون هذه الأيام بشرا كثيرا حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وزعم بعض علماء السلف أنه قتل في غضون ذلك ألف بكر، فالله أعلم. وقال عبد الله بن وهب عن الامام مالك: قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن، حسبت أنه قال: وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: البداية والنهاية، ج٦ ص٢٦٢، م س. وفي البيهقي عن المغيرة: افتض ألف عذراء.

﴿٢﴾ الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الإمامة والسياسة، ط الأولى ١٤١٣هـ، مطبعة أمير قم، الناشر: انتشارات شريف رضي ـ قم، تحقيق الأستاذ علي شيرى، ج١ ص٢٣٣، ومابعدها.

الهدف الخامس: المحتمل لثورة الحسين عليه السلام:

هو طلب الإصلاح أو محاولة الإصلاح في الأمة المسلمة، أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا هو الذي روي عنه عليه السلام حين يقول:

﴿والله ما خرجت أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر﴾[1]. وذلك حين رأى سلام الله عليه أن الدين قد تغير عن القلوب، وأن المعروف لا يعمل به، وأن المنكر لا يتناهى عنه. وأنه لم يبقَ منه إلا صبابة كصبابة الإناء أو خساسة عيش كالمرعى الوبيل. كما يستفاد من الكلام المروي[2] عنه سلام الله عليه. وهذا هدف محترم جداً، وكان الحسين عليه السلام أهلاً له. إلا أنني أعتقد أن الإصلاح المقصود على قسمين: إصلاح يحصل منه مباشرة قبل مقتله. وإصلاح يحصل من المجتمع بعد مقتله وبسبب شهادته. وهو أيضاً إصلاح منسوب إليه ويمكن أن يكون قد تعمده واستهدفه.

أما الإصلاح المباشر في حياته، فهو لا يحتمل أن يكون هدفاً؛ لأنه فاقد لأحد الشرائط السابقة. وهو عدم التحقق في المجتمع. وقد ذكرنا أن الأمر الذي لم يتحقق، لا يمكن أن يكون هدفاً.

وقد يخطر في البال: أن الإصلاح المباشر قد حصل خلال الخطب والأقوال، التي قيلت من قبل الحسين عليه السلام نفسه، وأصحابه، وأهل بيته قبل مقتله، وهذه تكفي للمشاركة بالإصلاح مشاركة فعلية وفعالة.

وجواب ذلك: أن الخطب والأقوال قد حصلت فعلاً، إلا أنها كانت مكرّسة كلها لأجل الحديث عن حركة الحسين وشرح أبعادها والدفاع عنها. ومعه فلا تكون هي الإصلاح المعهود والموعود، وإنما المتوقع هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جوانب الدين عامة وفي فروعه كافة، وهو مما لم يحصل على الإطلاق؛ لأن الأجل

﴿١﴾ الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٣٠، م س.

﴿٢﴾ انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٤٨، م س.

لم يمهله عليه السلام وأصحابه للقيام بهذه المهمة الشريفة الموعودة.

وإنما الذي حصل هو الهداية والرعاية للبشر دينياً ومعنوياً وإنسانياً وآخروياً، بمقتله وشهادته سلام الله عليه، إذ أعطى المثال الأعظم للتضحية الضخمة بهذا الصدد؛ فكان النبراس الأفضل الذي يضيء للأجيال طريقهم باستمرار وإلى يوم القيامة .

ونستطيع أن نؤكد أن هذا الإصلاح هو الذي كان مقصوداً للحسين عليه السلام ومستهدفاً له وان لم يصرح به تماماً، أخذاً بقانون ﴿كلم الناس على قدر عقولهم﴾[١] . وهو هدف جليل وصحيح ولا غبار عليه .

الهدف السادس: المحتمل للحسين عليه السلام في حركته:

هو الاستجابة لأهل الكوفة، حين طلبوا منه القدوم عليهم وأخذ البيعة منهم وممارسة الحكم بينهم، وقالوا: ﴿انما تقدم على جند لك مجندة﴾[٢] . فأجابهم بالموافقة وعزم على المسير إليهم. إلا انه لم يوفق للوصول إلى الكوفة، حيث اجتمع عليه الجيش المعادي في كربلاء، وتم الإجهاز على حركته هناك.

وهذه الإستجابة وان كانت صحيحة بحسب الحكم الظاهري في الشريعة، إذ يجب عليه سلام الله عليه أن يستجيب لمثل هذا الطلب الجليل، ولكننا مع ذلك لا نعتبره هدفاً حقيقياً للحركة، وإنما هي استجابة لا بد منها لسد الألسنة وقطع المعاذير من ناحية، والتكلم مع الناس على قدر عقولهم. وأما لو لاحظنا الأمر أعمق من ذلك بقليل، لوجدنا عدة إشكالات ترد على هذا الهدف.

أولا: لأننا نعلم انه عليه السلام، يعلم أن أهل الكوفة يومئذ كاذبون عن الإعراب عن موالاتهم ومبايعتهم، وإنما هم فسقة ومنافقون. ولا يتوقف الإطلاع على هذا الأمر على الإلهام أو التسديد الإلهي، وإن كان هذا صحيحاً في نفسه. إلا أنه أيضاً

﴿١﴾ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١ص٢٣، م س.

﴿٢﴾ انظر: ابن كثير، اسماعيل ابو الفداء، البداية والنهاية، ج٨ص١٦٣، م س.

واضحٌ لكثير من الناس يومئذ، بما فيهم الذين ناقشوه في خروجه، وقالوا له في ما قالوا: ﴿إن أهل الكوفة قد غدروا بأبيك وأخيك، فمن الحري أن يغدرو بك. وإنما الأفضل أن تذهب إلى اليمن فإن فيها شيعة لأبيك﴾[1]. ويمكن أن يكون هناك حصيناً ضد الأعداء آمناً من شرور الزمان. فمن هذه الناحية لا يحتمل في حقه أنه كان موافقاً حقيقة على الأمر، أو أن يكون مصدّقاً لهذا الخبر بالرغم من أهميته.

ثانيا: أنه بُشِّر بمقتله قبل خروجه أكثر من مرة، وقد سبق أن ذكرنا ما يدل على ذلك مما روي عنه سلام الله عليه. إذن فقد كان يعلم بالنتيجة قبل حصولها، بمعنى أنه يعلم بعدم وصوله إلى الكوفة ولا مبايعتهم له ولا نصرتهم إياه، بل يعلم محاربتهم له ومقتله على أيديهم، فإنهم قالوا له: ﴿بأن قلوبنا معك وسيوفنا عليك﴾[2].

ثالثا: انه هدف لم يحصل، وقد سبق أن تحدثنا في الشرائط أن كل هدف لم يحصل، فهو ليس هدفاً حقيقياً.

رابعا: انه عليه السلام علم وهو في الطريق إلى العراق، بغدر أهل الكوفة، وقتلهم لمسلم بن عقيل، وارتدادهم عن بيعته، وهذا يستلزم بوضوح سقوط تكليفه الشرعي عن الإستمرار بالذهاب إليهم والهمة في الوصول لهم.

فإن قيل: إن الأمر كذلك، غير أن الحر الرياحي جعجع به ومنعه عن المسير إلى حيث يريد، وعن الرجوع إلى المدينة المنورة. وبذلك سبب إلى وقوع الكارثة المروعة في كربلاء، ولولا ذلك لأمكنه عليه السلام الرجوع إلى المدينة، أو الذهاب إلى أي مكان آخر، بعد أن سقط تكليفه الشرعي بالذهاب إلى الكوفة كما عرفنا.

إلا أن جواب ذلك: إن في مثل هذا التفكير جهلاً بالتاريخ الإسلامي كما وصل إلينا. فإن الحسين عليه السلام علم بمقتل مسلم بن عقيل وغدر أهل الكوفة، حين

﴿١﴾ من كلام محمد بن الحنفية، وقد تقدم تفصيله. انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسني، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٣٩، م س.

﴿٢﴾ الأصفهاني، ابو الفرج، مقاتل الطالبيين، ص٧٣، م س.

كان ركبه في منطقة تسمى ﴿زرود﴾[1] ، ولم يفكر بالرجوع يومئذ بل استمر في المسير، وهذا معناه، أنه استمر بالمسير رغم سقوط تكليفه الشرعي المشار إليه في هذا الهدف. وذلك من أجل هدف آخر أعمق وأهم منه. ولم يكن التقى بالحر الرياحي يومئذ، وإنما التقى به بعد ذلك في منطقة تسمى ﴿شراف﴾[2]. وعندئذ عرض عليه العودة إلى المدينة المنورة ، إذا كان أهل الكوفة قد بدلوا رأيهم به وأعرضوا عنه. فمنعه الحر الرياحي عن الرجوع، وذكر انه مأمور بمصاحبته حتى يدخله على عبيد الله بن زياد في الكوفة[3]. إذن ، فهناك فترة زمنية كافية لم يحدد التاريخ مقدارها، لعلها أسبوع أو أكثر أو أقل، كان يمكن للإمام الحسين عليه السلام أن يعود بركبة إلى المدينة، وعندئذ لا يلتقي بالحر ولا يجعجع به، وإنما كان سلام الله عليه طالبا للشهادة على كل حال. اللهم الا أن يقال: إنه عليه السلام أدرك بوضوح بعد أن أخبر بغدر الكوفة ببيعته، انه لا يستطيع أن ينجو وهو في هذه المنطقة بالذات من بلاد الله. وبهذا يختلف حاله عن حاله وهو في مكة أو المدينة، فإنه كان يستطيع أن يذهب من هناك إلى اليمن مثلاً، في حين لا يستطيع الآن أن يفعل شيئاً بحسب القانون الطبيعي، لأنه أصبح بمنزلة المحاصر بجيوش بني أمية. وإن لم يكن كذلك فعلاً، إلا إن الرجوع يحتاج إلى زمن طويل نسبياً، الأمر الذي يستلزم أنهم يدركونه أينما وجدوه .

وهذا ينتج أنه سلام الله عليه كان يائساً من الحياة. وتحدثنا فيما سبق أن اليائس من الحياة يختلف تكليفه الشرعي عن غيره، ويستطيع أن يختار الموتة التي يتمناها لنفسه، إن كان في مقدوره ذلك، وكان في مقدروه سلام الله عليه ذلك، فاختار لنفسه.

﴿١﴾ قال في معجم البلدان: ﴿زرود: يجوز أن يكون من قولهم: جمل زرود أي بلوع، والزرد: البلع، ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التى تمطرها السحائب؛ لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة...﴾. انظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٣ ص١٣٩، م س.

﴿٢﴾ بين زرود وشراف أربعة منازل، هي: الثعلبية، والشقوق، وزبالة، وبطن العقبة، ثم شراف الذي التقى الإمام الحسين عليه السلام فيه بالحر... انظر: المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، ص٢٠٦، ومابعدها، م س.

﴿٣﴾ م ن، ص٢١٥.

الهدف السابع: المحتمل لحركة الحسين عليه السلام:

إعطاء الأمثولة للدين الحنيف القويم، وأنه يستحق هذا المقدار العظيم من التضحية والفداء في سبيل الله وفي سبيل إقامة الأحكام الإسلامية والشعائر الدينية.

وينبغي هنا أن نلاحظ أن الأمر إنما هو مربوط بالله سبحانه قبل أن يكون مربوطاً بشيء آخر؛ لأن الدين على عظمته، إنما اكتسب الأهمية لأنه أمر الله ونهيه. والرسول إنما اكتسب الأهمية لأنه رسول الله، والمعصومون إنما حصلوا عليها لأنهم أولياء الله. إذن فالأمر مربوط بالله مباشرة، وليس بغيره من قريب ولا بعيد. وهو الذي يستحق الفداء في الحقيقة، وان كان هو في غنى عن العالمين. ولذا ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[١]. يعني الحسين عليه السلام[٢]. وهو لم يفدِ إسماعيل الذبيح سلام الله عليه. كما هو ظاهر السياق، بل وقع السياق في سبيل الله وفي طريق توحيد الله وطاعته. وهو نفس الطريق الذي ذبح من اجله إسماعيل عليه السلام[٣] وبعث فيه الانبياء وأرسلت الكتب السماوية وحصل ما حصل .

وفي هذا السبيل، قال الحسين عليه السلام: ﴿هوّن ما نزل بي أنه بعين الله﴾[٤]. كما قيل أنه حين سقط جريحاً لا يستطيع أن يواصل القتال كان يردد قول رابعة العدوية :

تركت الخلقَ طُرّاً في هواكا وأيتمْتُ العيالَ لكيْ أراكا

﴿١﴾ الصافات: ١٠٧.

﴿٢﴾ انظر: البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ط الأولى المحققة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، المطبعة: ستارة، منشورات: مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات - قم، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ج٦ ص٤٤١.

﴿٣﴾ من الناحية المعنوية فإن اسماعيل عليه السلام قد ذبح لأن الوالد والولد قد أسلما وهيئا جميع المقدمات، فكأن الذح قد وقع وإن لم يقع.

﴿٤﴾انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٦٩، م س.

ولــو قطّعتنــي في الحــبّ إرْبــاً لمــا مــالَ الفــؤادُ إلى سِــواكا[١]

وفي هذا السبيل أيضا روي عن زينب العقيلة بنت علي أمير المؤمنين عليه وعليها السلام، أنها بعد المقتل وضعت يديها تحت الجثمان وقالت :

﴿اللهم تقبل منا هذا القربان﴾[٢]، وفي بعض الروايات: ﴿هذا القربان القليل﴾، يعني القليل مهما كان شريفاً وعظيماً أمام عظمة الله اللامتناهية، وأمام استحقاقه اللامتناهي للتضحية والفداء .

إذن فالمسألة الأهم من كل شيء هي أهمّية التوجه إلى الله، والتضحية في سبيله، وتطبيق طاعته، والحصول على رضوانه بكل صورة مهما كانت الوسائط، ومهما كانت النتائج. وهذا هدف صحيح قد تحقق فعلاً، وقد عرفت الأجيال ذلك بكل وضوح .

وقد يخطر في البال عن قول زينب سلام الله عليها: ﴿اللهم تقبل منا هذا القربان﴾ أن قولها ﴿منا﴾ ليس بصحيح ، لأنه وإن كان قرباناً عظيماً إلا انه إنما قدمه الحسين نفسه، وليس لأحد آخر أن يقدمه، بل لا معنى لذلك، لأن التضحية الحقيقية والألم الحقيقي لم يتحمله غيره ولم يشعر به غيره. فما تفسير كلامها سلام الله عليها؟.

﴿١﴾ هذان البيتان ينسبان للحسين، ولم نعثر على مصدر يؤكد ذلك ـ فيما بين أيدينا من مصادر ـ وبعض الخطباء الحسينيين يقولون: ان الحسين عليه السلام قد تمثل بهما، ولكن ذلك يفترض فيه أن يكون قائلهما سابقا على الحسين أو معاصرا على أقل تقدير. والبعض ينشدهما للحسين عليه السلام بلسان الحال، وقيل أنهما لرابعة العدوية، ولم يثبت. هذا وقد نسبهما ابن عساكر لإبراهيم بن أدهم.
انظر: تاريخ مدينة دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر ، ط ـ سنة ـ، طبع ونشر: دار الفكر، تحقيق علي شير، ج٦ص٣٦، م س. وذكرهما ابو فرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي في كتابه ﴿كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ص٢٧، ط ـ سنة ـ﴾. ونسبهما ـ كذلك ـ لابراهيم بن ادهم، وهو أحد مشاهير الزهاد.

﴿٢﴾القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ دراسة وتحليل، ج٢ص٣٠١، م س.

جواب ذلك: أن تضحية عظيمة من هذا القبيل، أو أية تضحية أخرى مهمة، لا تكون ذات مستوى واحد، بل على مستويات متعددة؛ لأن انطباعها في نفس صاحبها وفي نفوس الآخرين يكون متعدداً لا محالة. وفي حدود ما نستطيع أن نستفيد منه هنا من المستويات نذكر ثلاثة منها:

المستوى الأول: التضحية بمعنى تحمل الألم، والجروح، والقتل، والصبر عليه طواعية. وهذا المستوى خاص بصاحب التضحية، ولا يمكن أن يكون شاملاً لغيره كما قال السائل .

المستوى الثاني: التضحية بمعنى الإعانة لصاحب التضحية بكل ما يمكن من جهد، وجهاد، وتحمل كل بلاء في سبيله، مضافاً إلى تحملة فراقه كشخص محبوب أسرياً ودينياً واجتماعياً، وتحمل الحرمان عن فوائده وتوجيهاته ولطفه.

وهذا المستوى خاص بمن كان مع الحسين عليه السلام من الركب المعاون له في الحياة والموافق له في الأهداف. فإنهم رجالاً ونساءاً وشيباً وشباناً، أتعبوا أنفسهم في سبيله تماماً، وتحملوا شظف العيش وبلاء الدنيا لأجل رضاه الذي يكون سبباً لرضاء الله عز وجل. كما قال ﴿رضا الله رضانا أهل البيت﴾[1]. ومن هذه الناحية وعلى هذا المستوى كانت التضحية تشملهم. فكأنهم هم الذين رفعوا الحسين عليه السلام قرباناً لله عز وجل.

ولا شك إن العقيلة زينب عليها السلام بنت علي عليه السلام من ذلك الركب المضحي في سبيل الحسين عليه السلام. ولعلها أهم النساء الموجودات فيه على الإطلاق. ومن هنا صح لها أن تدعو وتقول: اللهم تقبل منا هذا القربان.

المستوى الثالث: الموافقة مع الحسين عليه السلام نفسياً، وقلبياً، وعاطفياً، وبالتالي الموافقة الحقيقية على عمل الحسين عليه السلام وتضحيته، وعلى هدف الحسين عليه السلام ورسالته. حتى ان الفرد المحب له يحس كأنه اعطى قطعة من قلبه أو كبده، وأنها قتلت فعلاً بمقتل الحسين عليه السلام.

﴿١﴾ ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٣٨، م س.

وأنه ﴿أعني المحب﴾ وإن كان حياً يرزق في هذه الدنيا وفي كل جيل، إلا أن التضحية تضحيته والعمل عمله، يكفينا من ذلك ما ورد:

﴿إن الأعمال بالنيات﴾﴿١﴾.

﴿وأن نية المؤمن خيرٌ من عمله﴾﴿٢﴾.

وما ورد :﴿أن الراضي بفعل قوم كفاعله﴾﴿٣﴾.

وما ورد :﴿أن الفرد يحشر مع من يحب﴾﴿٤﴾.

إلى غير ذلك من المضامين التي تجعل التضحية التي قام بها الحسين عليه السلام، منتشرة فعلا لدى كل محبيه والمتعاطفين معه على مدى الأجيال. وأن كل واحد منهم يستطيع أن يقول: اللهم تقبل منا هذا القربان. وليس العقيلة زينب فقط.

وقد يخطر في البال: في حدود هذه التضحيات المشار إليها: أن الأجيال كلها يجب أن تكون مثل الحسين عليه السلام في تضحيته الجسيمة وفعلته الكريمة. فتضحي بالنفس والنفيس في سبيل الأهداف التي قتل لأجلها الحسين عليه السلام.

وجواب ذلك: إن الأمر ليس كذلك باستمرار، وإنما قد يحصل ذلك أحيانا قليلة، ولا يحصل ذلك أحياناً كثيرة، وكل فرد يجب أن يحسب حساب تكليفه الشرعي أمام الله عز وجل. ونشير فيما يلي الى أن التكليف الشرعي كثيراً ما لا يقتضي ذلك. على عدة مستويات:

المستوى الأول: إن التضحية التي أرادها الحسين عليه السلام واستهدف حصولها،

﴿١﴾ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المسائل الصاغانية، ط الأولى ١٤١٣هـ، مطبعة: مهر، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية المفيد، تحقيق السيد محمد القاضي، ص١١٨.

﴿٢﴾ القمي، علي بن بابويه، فقه الرضا، ط ـ سنة ـ، الناشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا، تحقيق مؤسسة آل البيت، ص٣٧٨.

﴿٣﴾ النوري، الميرزا حسن، مستدرك الوسائل، ط الثانية ١٤٠٨هـ، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ج١٢ص١٠٨.

﴿٤﴾ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢ص١٢٧، وج٨ص٨٠، م س.

وقد حصلت فعلاً، هي من الأهمية والعظمة بحيث لا تكون مقدورة لأحد إطلاقاً. وإن زعم الزاعم لنفسه أنه يتحملها، إلا أنه يخدع نفسه لا محالة. يكفي في ذلك أنه سلام الله عليه معصوم، وأعمال المعصومين بلا شك فوق طاقة الأفراد الاعتياديين مهما تصاعدوا في درجات الإيمان والإخلاص.

ومن هذا القبيل ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام عن زهده:

﴿ألا إنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني ـ يعني على انفسكم الأمارة بالسوء ـ بعفة وسداد ...... إلى آخر ما قاله﴾[1].

المستوى الثاني: إنه لو كانت تضحيات الحسين عليه السلام واجبة على الأجيال بعده، لكان أولى من يقوم بها أولاده المعصومون عليهم السلام، مع العلم انه لم يفعل ذلك ولا واحد منهم. إذن، فلماذا يجب أن يكون تكليفنا في الأجيال المتأخرة مثل تكليفه، ولا يكون مثل تكليف وعمل أولاده، مع أنهم جميعا معصومون. يكفي إننا يمكن أن نأخذ بعمل العدد الأكثر من المعصومين، وهو الهدوء وليس الثورة فإن أولاده المعصومين تسعة وهو واحد.

المستوى الثالث: إن الأصوب والأحجى لكل جيل هو أن ينظر إلى تكليفه الشرعي أمام الله سبحانه، هل هو التضحية أم التقية. ولا شك أن التكليف الغالب في عصورنا هذه عصور الغيبة الكبرى، هو التقية وليس التضحية، لمدى تألُّب الأعداء وترصدهم في العالم ضدنا من كل صوب وحدب. بدون وجود طاقة فعلية عند ذوي الإخلاص لمقابلتهم ومضادّتهم. ومن تخيل فيه هذه القابلية، فهو متوهم، سوف يثبت له الدهر أعني بالتجربة وهمه. والأفضل له هو العمل بالتكليف الفعلي

﴿١﴾ ﴿.. ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدى به، ويستضئ بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد. فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا، ولا أدخرت من غنائمها، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا...﴾ انظر: نهج البلاغة، خطب الامام علي عليه السلام، ط ـ سنة ـ، طبع ونشر: دار المعرفة بيروت، تحقيق: محمد عبدة، ج٣ ص٧٠.

وهو التقية المنتجة لحفظ أهل الحق من الهلاك المحقق في أي نقطة من نقاط هذا العالم المعروف.

الهدف الثامن: المحتمل لحركة الحسين عليه السلام.

ما يذكره بعض الناس، وطبقة من الناس، من أن الحسين عليه السلام قتل من أجل إقامة المأتم عليه والبكاء عليه، فإنها من الشعائر الدينية المهمة، التي توجب هداية الكثير من الباطل إلى الحق.

ويمكن ان يستدل على ذلك بما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما مضمونه: ﴿إن لولدي الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تخمد إلى يوم القيامة﴾[1]. وهذه الحرارة أمر وجداني فعلاً يحس بها الفرد المحب للحسين في قلبه، وهي التي تدفعه إلى التعب في هذا الطريق.

ونتكلم عن هذا الهدف ضمن المستويات التالية:

المستوى الأول: إنه ينبغي أن يكون واضحاً أن هذا الهدف بمجرده، لا يصلح أن يكون هدفاً لكل تلك التضحيات التي قام بها الحسين عليه السلام. إلا إذا اندرجت تحت عنوان أهم وأعم، وهو طاعة الله سبحانه، أو هداية الناس، أو الأجيال لهذه الطاعة، أو التضحية في سبيل عقيدة التوحيد، كما أسلفنا ونحو ذلك، مما تكون الشعائر والمآتم مصداقاً لها وتطبيقاً لها، وليس النظر إليها نظراً مستقلاً عن غيرها. وهذا ما سيتضح أكثر من المستويات التالية بعونه سبحانه.

المستوى الثاني: إنني أعتقد ان الله جعل بازاء تضحية الحسين عليه السلام نوعين مهمين من الثواب لا نوعاً واحداً.

أحدهما: الثواب الآخروي، وهو المشار إليه بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ في

﴿١﴾ النوري، الميرزا حسن، مستدرك الوسائل، ج١٠ص٣١٨، م س.

الرواية ـ: ﴿إن لك عند الله مقامات أو درجات لن تنالها إلا بالشهادة﴾[١].

وثانيهما: الثواب الدنيوي: وهي عدة أمور يَسّرها الله سبحانه وتعالى خلال الأعوام والأجيال المتأخرة عن مقتله عليه السلام. وأعتقد انه جل جلاله إنما يسرها لمصلحة الأجيال. وإلا فإن الحسين عليه السلام أجل من أن تناله الفائدة منها بقليل ولا بكثير. وإن كنا نقول: إنها تصلح ان تكون جزاءاً له على التضحية لمدى أهميتها البالغة كما سنعرف. إلا إنها دنيوية أي حاصلة في الدنيا، والحسين عليه السلام لم يقصد في تضحيته أي شيء من امور الدنيا مما قل أوكثر يقيناً. وإنما حصلت لأجل مصلحة وهداية الآخرين لا اكثر. ونستطيع أن نعد منها الأمور التالية:

الأمر الأول: إن الإمامة في ذريته لا في ذرية الحسن أخيه عليه السلام[٢].

الأمر الثاني: حسن الظن به خلال الأجيال ابتداءاً من قاتليه أنفسهم إلى الأجيال المتأخرة عنه إلى يوم القيامة. حتى في ضمائر الأعداء وغير المسلمين، ولذا نسمع قاتله يقول للحاكم الأموي بعد انتهاء الواقعة، على ما ورد:

إملأ ركابي فضّةً أو ذهبا ... إني قتلتُ الفارسَ المحجَّبا

قتلتُ خيرَ الناسِ أماً وأبا[٣]

الأمر الثالث: تأثير تضحيته الجسيمة في هداية الناس وتكاملهم إيماناً، كل حسب استحقاقه، في أي مكان وزمان وجد الفرد إلى يوم القيامة. ومهما كانت نقطة بدايته، حتى لو كان كافراً، بل حتى لو كان معانداً أحيانا.

الأمر الرابع: هذه الحرارة التي في قلوب المؤمنين من محبيه، والتي أشرنا إليها فيما سبق. والتي أوجبت تزايد ذكراه وتزايد اللوعة على ما أداه من تضحيات، وما عاناه من بلاء.

﴿١﴾ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الأمالي، ص٢١٧، م س.

﴿٢﴾ النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، ج١ص٧٦، م س.

﴿٣﴾ انظر: ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٨٠، م س.

الأمـــر الخـــامس: إن ذكـر أي معـصوم غـير الحسين عليه السلام بما فـيهم الـنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلـي عليه السلام، في أي مجلس من مجالس محبيه، وفي أي مناسـبة للحـديث سواء كانت مأتماً أم خطبةً أم موعظةً أم غيرها، فإنها لا تكاد تكون تامّةً ولا مرضيةً للقلوب ما لم تقترن بذكر الحسين عليه السلام، والتألم لمصابه.

الأمر السادس: البكاء عليه لدى محبيه جيلاً بعد جيل، وإقامة المآتم والشعائر عليه سلام الله عليه. وهذا هو الذي ذكره بعض الناس كهدف مستقل كما ذكرنا. وهـو إنما يـصبح كنتيجـة طبيعيـة ـ وفّق الله سبحانه وتعـالى محبيه إليهـا ـ لأجـل مصلحتهم وهدايتهم. وسنتكلم عنها في المستوى الآتي من الحديث بعونه سبحانه، لنفهمها بشكل أوضح.

المستوى الثالث: الحديث عن البكاء عليه عليه السلام وإقامة المآتم لذكرى مصابه. وهنا ينبغي لنا أن نقـول: إن في قـضية الحسين عليه السلام جانبين مهمـين يكـاد أحدهما أن يكون أقل أهمّيةً من الآخر:

الجانب الأول: جانب النعمة والرحمة بهذا التوفيق الإلهي العظيم للحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته بهذه المقامات وهذا الثواب الجزيل والعطاء الهنيء، وهذا الجانب يقتضي الفرح والاستبشار لا الحزن والتألم، بل كلما كان البلاء الدنيوي اكثر، كان الثواب الآخروي والتقرب الإلهي أكثر، فيكون الاستبشار أكثر.

وهذا ما ورد فعلاً عن أصحابه المقاتلين معه أنه قال أحدهم: ﴿عما قليل سنعانق الحور العين﴾[1]. وقال آخر: ﴿ليس بيننا وبين الجنة إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم﴾[2]. وهـم يعلمون انهم سيعانون الجرح والقتل والبلاء الصارم. ومن ذلك قول الشاعر يصف العباس عليه السلام أخا الحسين عليه السلام وقد حارب معه وأبلى بلاءاً حسناً وعظيماً، قال الشاعر:

﴿١﴾انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٥٨، م س.

﴿٢﴾ م ن، ص٥٨.

عبست وجوه القوم خوف الموت والـ ـعباس فـيهم ضـاحك يتبسّم﴿١﴾

ومنه قول علي بن الحسين الأكبر عليه السلام فيما ورد عنه:

﴿لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا﴾﴿٢﴾، يعني ما دمنا على الحق كما ورد في أول الرواية. وعدم المبالاة يعني عدم الحزن والتألم لهذا البلاء النازل. وإنما هو الصبر بإيمان والجلد بيقين، بل الإستبشار برحمة الله ورضوانه. وإذا كان غير المعصومين يحسّون بذلك فكيف بالمعصومين ومنهم الحسين نفسه. وإذا كان أصحابه وذووه ممن تحت ذلك البلاء العظيم نفسه، لا يشعرون بالحزن والألم النفسي، بل بالإستبشار فكيف ينبغي أن يكون حال من سواهم من الناس من محبين وأولياء.

الجانب الثاني: جانب الحزن والألم لما أصاب الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه ونساءه، من بلاء، وقتل، وتشريد، وسبيٍ، وإذلال. وهي حادثة بمجموعها تعتبر أعظم ما وقع من البلاء الدنيوي على أي مجموعة أخرى من البشر خلال التاريخ البشري الطويل. ومن هنا كان رد فعلها المأساوي أعظم وأجل من كل حادثة أخرى في العالم مماثلة أو غير مماثلة. ومن هنا قال الشاعر عنها:

وفجـائع الأيـام تبقـى فـترة وتـز ول وهــي الى القيامــة باقيــة﴿٣﴾.

وكلا هـذين الجانبين المشار إليهما نـاجزان فعـلا في حادثـة الحسين عليه السلام.

﴿١﴾ ﴿للسيد جعفر الحلي. المتوفى فجاءةً في شعبان لسبع بقين منه سنة ١٣١٥ هـ. ىنظر:ادب الطف ج٨ ص ٩٩ - ١١٥﴾.

﴿٢﴾ أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص٩٢، م س.

﴿٣﴾ ﴿للشيخ عبد الحسين الأعسم ابن الشيخ محمد علي بن الحسين بن محمد الاعسم الزبيدي النجفي. ولد في حدود سنة ١١٧٧ هـ وتوفي ١٢٤٧ هـ بالطاعون العام في النجف الأشرف، عن عمر يناهز السبعين ودفن مع أبيه في مقبرة آل الأعسم. وهذا البيت من قصيدة طويلة مطلعها :

قــد أوهنــت جلَـدي الـديار الخاليـه مــن أهلــها، مــا للــديار وماليــه ؟

انظر:ادب الطف ج٦ ص٢٨٧-٢٩٤﴾.

ويحتوي كل منهما على نقطة قوة ونقطة ضعف، ينبغي أن نلاحظهما لكي نعرف القيمة الحقيقية لكل منهما اولاً. ولماذا اختير الجانب الثاني المأساوي في هذا الصدد.

ولكل نقطة قوة في أحدهما يقابله نقطة ضعف في الجانب الآخر. فنقطة القوة في الجانب الأول، هي كونه جانباً آخروياً محضاً، تقابله النقطة في الجانب الآخر، وهو كونه جانباً دنيوياً، لوضوح أن البلاء الذي عاناه الحسين عليه السلام ومن معه بلاء دنيوي خالص لا يشوبه بلاء آخروي إطلاقاً، بل له في الآخرة أعلى المقامات وارفع الدرجات.

ونقطة القوة في الجانب الثاني كونه سببا لتربية المجتمع تربية صالحة ومؤكدة أكثر من الجانب الأول بكثير. ذلك المجتمع المتربي في حالته الإعتيادية على العواطف الشخصية والأسرية والدنيوية عموماً. إذن فمن المصلحة توجيه هذه العواطف إلى وجهة صالحة ومربية. فكما يبكى المؤمن على ولده أو والديه فليبك على الحسين عليه السلام وأصحابه، لينال في الآخرة ثوابا ويقيم للدين شعاراً. ومن هنا يكون توجيه البكاء والحزن للمؤمنين نحو الدين ونتائجه الطيبة أكثر بكثير مما يوجه الفرح والإستبشار المشار إليه في الجانب الأول.

مضافا إلى أنَّ الفهم العام لأي شيء بما فيها واقعة الحسين عليه السلام إنما هو ظاهرها الدنيوي وليس واقعها الآخروي، فكان من الأفضل توجيه الناس إلى ما يفهمون والإستفادة لهم بمقدار ما يدركون.

ومن هنا ورد عن الشريعة المقدسة وقادتها الأوائل بشكل متواتر لا يقبل الشك: الحث على البكاء على الحسين عليه السلام وحادثته المروعة[1]. وكان الطعن في ذلك ومناقشته بقصد مخلص أو مغرض ناشئ من خطأ فاحش لا يغتفر. فمن أمثلة ما ورد:

﴿١﴾ انظر: باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام، وخصوصا يوم عاشوراء، واتخاذه يوم مصيبة، وتحريم التبرك به. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ط الثانية ١٤١٤هـ، مطبعة مهر ـ قم، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم، ج١٤ ص٥٠٠.

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى على الحسين عند ولادته[1].

وأن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر واقعة الطف وانه نظر إلى كفي ولده العباس عليه السلام وتنبأ بأنهما يقطعان في تلك الواقعة[2].

وأن الإمام الحسن عليه السلام حين كان على فراش الموت مسموماً سمع أخاه الحسين يبكي عليه، فقال له: ﴿أتبكي عليَّ أم أنا أبكي عليك. لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، فان لك يوماً أعظم من هذا اليوم﴾[3].

وأما الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، فقد اصبح أحد الخمسة البكائين من البشر. وهم آدم، ويعقوب، ويوسف، والزهراء، وهو سلام الله عليهم أجمعين. وذلك لكثرة بكائه على أبيه سلام الله عليه. في زمن صعب كان يعيشه من حال المطاردة والتقية، فكان لا يمكنه الدعوة إلى حق أبيه وإعلان الإهتمام به إلا بالبكاء. ومن هنا كان من البكائين. حتى كان يخلط طعامه وشرابه بالدموع[4].

وأما قصيدة دعبل رحمه الله التي قرأها على الإمام الرضا عليه السلام، فبكى لها وجمع العلويات خلف الستر لكي يسمعن ويبكين فهي رواية اشهر من ان تذكر. وفيها يقول دعبل:

أفاطمُ لوخلْتِ الحسينَ مُجَدَّلاً ... وقدْ ماتَ عطشاناً بِشَطِّ فراتِ
إذن لَلطَمْتِ الخدَّ فاطمُ عندَهُ ... وأجْرَيْتِ دمْعَ العينِ في الوَجَناتِ[5]

وحسب فهمي انه لمدى تأثير البكاء في النفوس أولاً، وفي الإعلام، ثانياً وفي التربية ثالثاً، حصلت هناك من المعصومين عليهم السلام عدة أمور مما اقتضى التركيز عليها:

﴿١﴾ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٥١، م س.

﴿٢﴾ أسرار الشهادة للدربندي، ص٢٦٣.

﴿٣﴾ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٥ ص٢١٨، م س.

﴿٤﴾ انظر: ابن شهر آشوب، شير الدين، مناقب آل ابي طالب، ج٣ص٣٠٣، م س.

﴿٥﴾ الأميني، عبد الحسين، الغدير، ج٢ص٣٤٩، م س.

منها: أنه بكى رسول الله ﷺ بعد موت أولاده. كما ورد عنه انه قال: ﴿يحزن القلب وتدمع العين ولا نقول ما يغضب الرب﴾[1].

ومنها: إن الإمام الباقر عليه السلام ـ كما ورد ـ: أوصى بمال يصرف من ثلثه في نوادب يندبنه في عرفة عند الحج عشر سنوات[2].

ومنها: إن نساء الحسين عليه السلام من قريبات وبعيدات بقين على حالة الحزن والبكاء المتواصل، وترك الراحة والهدوء عدة سنوات. حتى حصلت حركة المختار الثقفي الذي حاول قتل المعتدين من قتلة الحسين عليه السلام وأصحابه في الطف[3].

ومنها: إن الدعاء الموسوم بالندبة[4] إنما هو إشعار للنفس بالحزن العميق لغيبة الإمام المهدي عليه السلام ... فلماذا الحزن إذا كان في غيبته حكمة إلهية، وتسبيب لانتصاره يوم الظهور؟. وما ذلك إلا أن البكاء شكل من اشكال التربية وشكل من أشكال الإعلام.

ولنسمع فيما يلي فقرات من دعاء الندبة هذا، لنجد التركيز فيه على الحزن العميق: ﴿ليت شعري أين استقرت بك النوى، بل أي أرض تقلك أو ثرى، أبرضوى أو غيرها أم ذي طوى، عزيز عليَّ أن أرى الخلق ولا ترى، ولا أسمع لك حسيساً ولا نجوى، عزيز عليَّ أن تحيط بك دوني البلوى، ولا ينالك مني ضجيجٌ ولا شكوى ... هل من معينٍ فأطيل معه العويل والبكا، هل من جزوع فأساعد جزعه إذا خلا ... هل قُذِيَتْ عين فساعدتها عيني على القذى، هل إليك ياابن

﴿١﴾ ابو الفداء، اسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، الطبعة الأولى١٣٩٦هـ، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ج٤ص٦١٥.

﴿٢﴾ الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج٣ص٢٣٩، م س.

﴿٣﴾ الحلي، ابن نما جعفر بن محمد، ذوب النضار في شرح الثار، ط الأولى١٤١٦هـ، طبع ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم، تحقيق: فارس حسون كريم، ص١٤٤.

﴿٤﴾ الحسني، علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس، اقبال الأعمال، ط الأولى١٤١٤هـ، طبع ونشر: مكتب الإعلام الإسلامي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ج١ص٥٠٤.

احمد سيلٌ فتلقى، هل يتصل يومنا منك بغده فنحظى... الخ﴾...[1].

الخلاصة:

ذكر السيد الشهيد ـ على نحو الأطروحة ـ ثمانية أهداف للنهضة الحسينية المباركة، وتعليقا على ذلك نقول:

أولا: أنه تَدِّسَ سِرُّه استبعد منها هدفين:

الأول: الإنتصار العسكري المباشر، أو إزالة حكم بني أمية عاجلا، أو مباشرة الحكم فعلاً، ونحو ذلك.. وإنما استبعد السيد هذا الهدف؛ لأنه افترض مسبقا أن مايمكن أن نتصوره هدفا للإمام عليه السلام يجب أن يتحقق، فإذا لم يتحقق فلا يمكن أن يكون هدفا وينبغي استبعاده.

الثاني: الإستجابة لأهل الكوفة، حين طلبوا منه القدوم عليهم.. واستبعده تَدِّسَ سِرُّه لعدة اسباب:

منها: أنه كان يعلم أنه لن يصل الكوفة.

ومنها: أنه بُشّر بالشهادة.

ومنها: أن هذا الهدف لم يتحقق.

ومنها: ان القمع الذي مارسه ابن زياد أدى الى تراجع أهل الكوفة، الأمر الذي أنتج استشهاد مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني بن عروة ﴿رحمه الله﴾.

ثانياً: مما يلاحظ على تلك الأهداف أن السيد الشهيد افترض أن لا تقاطع بينها، فيمكن أن يكون أكثر من هدف لتلك النهضة استهدفه الحسين عليه السلام، وقد صرح بهذا عند دفعه للمناقشات على الهدف الأول، حيث قال تَدِّسَ سِرُّه: ﴿وحيث لم تتم ولا مناقشة واحدة لهذا الهدف الحسيني الجليل، إذن، يتعين الأخذ به، وهو ترك البيعة ليزيد بن معاوية، واختيار التضحية عليه. فإذا تم هدف آخر فيما يلي، كان

﴿1﴾ الى هنا انتهى ما قاله السيد الشهيد تَدِّسَ سِرُّه.

نوراً على نور، وإلا ففي هذا الهدف الكفاية﴾.

ثالثا: ان بعض تلك الأهداف يمكن دمجها فتكون هدفا واحدا، كالهدف الأول ـ رفض البيعة ـ والهدف السابع ـ التضحية ـ الذي عبر عنه قدس سره بأنه: ﴿إعطاء الأمثولة للدين الحنيف القويم، وأنه يستحق هذا المقدار العظيم من التضحية والفداء في سبيل الله وفي سبيل إقامة الأحكام الإسلامية والشعائر الدينية﴾. فإن القتل هو النتيجة الطبيعية لرفض البيعة، وهو ما عبر عنه سيد الشهداء ـ بحسب الرواية ـ ﴿السلة والذلة﴾، فالذلة هي البيعة والسلة هي القتل وإن كان قدس سره لم يلاحظ التضحية بما هي هي، وإنما لاحظها كأمثولة ـ على حد تعبيره ـ لتقديم الأسوة والقدوة للآخرين.

إذن بما أن التضحية هي النتيجة الطبيعية لرفض البيعة، والتضحية لايمكن أن تكون بحد ذاتها غاية لتلك النهضة، بل لابد أن يكون من ورائها هدف آخر لزم أن نبحث عن ذلك الهدف.

رابعا: ان الهدف الرئيسي الذي ركز عليه السيد قدس سره ـ كما يبدو من كلماته هو الهدف الخامس، وهو: ﴿طلب الإصلاح أو محاولة الإصلاح في الأمة المسلمة، أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا هو الذي روي عنه عليه السلام..﴾.

يقول قدس سره: ﴿وهذا هدف محترم جداً، وكان الحسين عليه السلام أهلاً له. إلا أنني أعتقد أن الإصلاح المقصود على قسمين: إصلاح يحصل منه مباشرة قبل مقتله. وإصلاح يحصل من المجتمع بعد مقتله وبسبب شهادته. وهو أيضاً إصلاح منسوب إليه، ويمكن أن يكون قد تعمده واستهدفه..﴾.

وبعد أن يستبعد قدس سره الإصلاح المباشر قبل استشهاد الحسين عليه السلام؛ لأنه لم يتحقق، نسمعه يقول قدس سره: ﴿وإنما الذي حصل هو الهداية والرعاية للبشر دينياً، ومعنوياً، وإنسانياً، وآخروياً، بمقتله وشهادته سلام الله عليه، إذ أعطى المثال الأعظم للتضحية الضخمة بهذا الصدد؛ فكان النبراس الأفضل الذي يضيء للأجيال طريقهم باستمرار وإلى يوم القيامة .

ونستطيع أن نؤكد أن هذا الإصلاح هو الذي كان مقصوداً للحسين عليه السلام هدَفاً له وان لم يصرح به تماماً، أخذاً بقانون ﴿كلم الناس على قدر عقولهم﴾[١]. وهو هدف جليل وصحيح ولا غبار عليه﴾.

خامساً: والهدف الذي يأتي بالدرجة الثانية بعد الهدف المزبور هو الهدف الرابع، وهو: ﴿فضح بني أمية ومن كان على شاكلتهم، من يومه إلى يوم القيامة﴾، قال قدس سره : ﴿وهذا الهدف صحيح وواقعي. وقد حصل فعلا على اثر واقعة كربلاء مباشرة، وما زال ساري المفعول، وسيبقى إلى يوم القيامة، ضد بني أمية الحكام السابقين، وضد أضرابهم من الظالمين من البشر إلى قيام يوم الدين﴾.

وهذا الهدف أيضا يقترب من سابقه؛ لأن من يستهدف فضح الفاسد لاريب أنه يستهدف الإصلاح، فمحاربة الفساد تعني التأسيس للإصلاح، وعليه فإننا نستطيع القول أن هذين الهدفين، هما أوج ماكان يستهدفه الحسين عليه السلام من وجهة نظر السيد الشهيد قدس سره ؛ لأنه قدس سره وصفهما بما لم يصف به غيرهما من الأهداف، حيث أطلق عليهما أوصاف الصحة، والجلالة، والواقعية، والإحترام، وعدم الغبار.. فتأمل.

سادسا: وأما الهدف الثامن فإنه في الجملة يصب في هداية الناس وإصلاح حالهم، وبذلك هو يرجع الهدف الخامس الذي هو الإصلاح فراجع.

سابعا: ولم يبق بعد ذلك إلا الهدف الثاني، وهو مرتبط بعالم الغيب، حيث حدده قدس سره: بـ﴿الإمتثال لأمر الله سبحانه وتعالى..، ذلك الأمر المعروف لديه إما بالإلهام أو بالرواية عن جده النبي صلى الله عليه وآله[٢]. وكان يطلب ثواب الله وجزاءه الآخروي على ذلك..﴾.

وهذا المقدار لا يمكن أن يكون هدفا نهائيا لكل تلك التضحيات؛ لأنه يدل

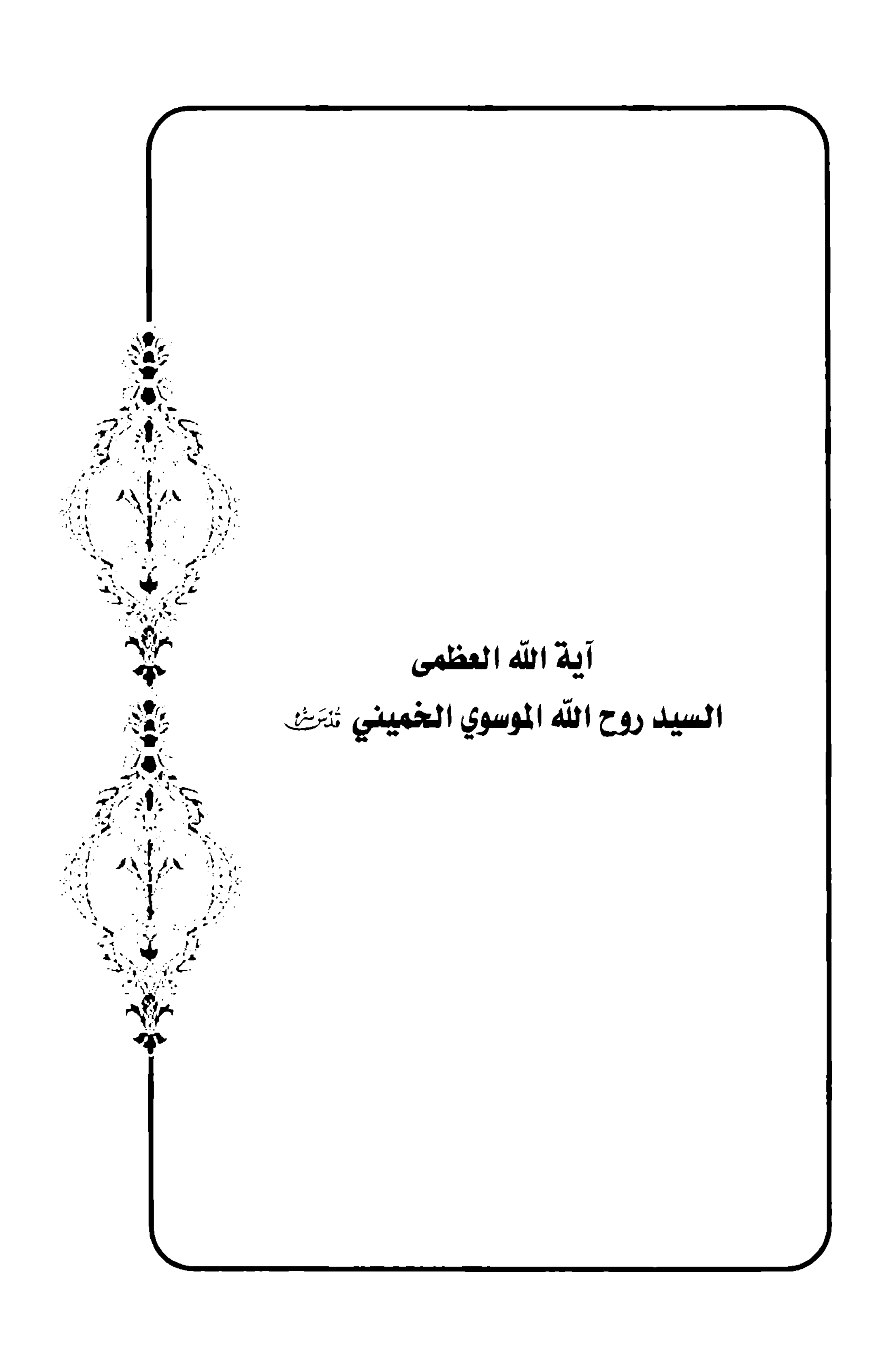
﴿١﴾الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١ص٢٣، م س.

﴿٢﴾ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الأمالي، ط الأولى ١٤١٧هـ تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم، ص٢١٧.

على أن الحسين عليه السلام أراد مصلحة نفسه ونفعها، والحق أن الحسين عليه السلام أراد مصلحة الأمة وإصلاحها؛ ولهذا يقول السيد الشهيد ﷺ: ﴿إن عدم انتفاع الآخرين من هذا الهدف غير صحيح إطلاقاً، لا في الدنيا ولا في الآخرة. أما في الدنيا: فلما سنذكره من الأهداف الآتية من أن حركته أوجبت هداية الناس، وتعريفهم أهمية الدين، ولزوم التضحية له عند الحاجة بالنفس، والأهل، والمال، والولد. وأن طاعة الله سبحانه لازمة على كل حال ...﴾.

إذن رجع الأمر الى الإصلاح الذي قلنا عنه أنه أوج الأهداف، وتمثل هذا الإصلاح بـ:

- فضح بني أمية، وكشف زيفهم.
- عودة الروح التضحوية، والتفكير بالمصالح العامة.
- انتشار الهداية والقيم الدينية التي نادى بها الإمام الحسين عليه السلام.



آية الله العظمى

السيد روح الله الموسوي الخميني قدس سره

توطئة:

بحسب حدود اطلاعنا المتواضع فإنه لا يوجد للسيد الخميني تَنْتَرِكُ مصنف خاص بنهضة الإمام الحسين عليه السلام. نعم قد تناول تَنْتَرِكُ هذا الموضوع في الكثير من كلماته وخطبه، وقد قامت بعض المؤسسات المهتمة بتراثه بجمع كلماته تَنْتَرِكُ في هذا الإطار وتبويبها، وهو ـ في الحقيقة ـ ما سهل علينا المهمة للوقوف على خلاصة أفكاره في هذا المجال.

وقد وقع في أيدينا من ذلك ثلاثة كتب:

الأول: تحت عنوان ﴿نهضة عاشوراء في كلام الإمام الخميني﴾، وهو من منشورات مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ـ الشؤون الدولية.

الثاني: تحت عنوان ﴿الشهادة في فكر الإمام الخميني﴾، وهو من منشورات مركز الإمام الخميني الثقافي.

الثالث: تحت عنوان ﴿عاشوار في فكر الإمام الخميني﴾، وهو من منشورات جمعية المعارف الإسلامية.

ونحن هنا سنتناول الفصل الثاني من الكتاب الثالث أعلاه، وهو بعنوان ﴿حقيقة عاشوراء وأهداف النهضة الحسينية﴾، ثم نحاول ذكر ما غاب عن هذا الكتاب، وأمكن رصده في الكتابين الأولين، في أطار أهداف النهضة الحسينية؛ لنخرج بنظرية متكاملة أو شبه متكاملة للسيد الخميني عن هذا الموضوع. علما أن الكتاب الثالث أكثر الإقتباس من الكتاب الأول، فهو مصدره الرئيسي في ذلك.

حقيقة عاشوراء[1]

حقيقة عاشوراء بحسب ما ورد من أقوال الإمام الخميني ﷺ باعتبارها حدثاً يتخطى حدود الزمان والمكان، حيث أن مؤثرية شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته واصحابه وتضحياتهم لا زالت تفعل فعلها بكل أرض وكل زمن مهما أختلفت الألسن والألوان والأعراق وحتى الأديان. لذا فإن النهضة الحسينية في عاشوراء إلهية بكل تفاصيلها، وإنسانية بمحض شمول مفاعيلها وتاثيراتها لكل حر. وعن ذلك يقول الإمام ﷺ: ﴿ينبغي لنا أن ندرك أبعاد هذه الشهادة، ونعي عمقها وتأثيرها في العالم، ونلتفت إلى أن تأثيرها ما زال مشهوداً اليوم أيضاً﴾[2].

وبحسب قول الإمام الخميني ﷺ فبالإضافة الى كون النهضة الحسينية قياماً لله ـ وأداء للتكاليف الإلهية ـ لكنها أيضاً حركة سياسية كبرى بكل تفاصيلها من أول خطوة فيها حتى الشهادة، وعن ذلك تحدث ﷺ: ﴿إن مجيء سيد الشهداء عليه السلام الى مكة، وخروجه منها بتلك الحال، يعد حركة سياسية كبيرة، ففي الوقت الذي كان فيه الحجيج يدخلون مكة كان الحسين عليه السلام يغادرها، وهي حركة سياسية، فكل سلوكات الحسين عليه السلام وأعماله كانت سياسية إسلامية، وهي التي قضت على بني أمية، ولو لا تلك الدماء لكان سحق الإسلام وانتهى﴾[3].

ويقول عن كون نهضة سيد الشهداء قياماً لله: ﴿والرسول الأكرم هو الوسيط. ليست أكثر من موعظة واحدة هو ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ﴾[4] قوموا لله عندما تشاهدون الخطر يحدق بدين الله. قام أمير المؤمنين لله

﴿١﴾ عاشوراء في فكر الإمام الخميني، إعداد ونشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، ص٢١.

﴿٢﴾ الخميني، روح الله، نهضة عاشوراء، ط الثانية ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ـ الشؤون الدولية، ص٢٧.

﴿٣﴾ م ن. ص٦٤.

﴿٤﴾سورة سبأ: الآية ٤٦.

عندما شاهد دين الله في خطر وان معاوية يحرف دين الله، ونفس الشيء بالنسبة لسيد الشهداء فقد قام لله، وهذا أمر لا يختص بزمن معين ان موعظة الله دائمية...﴾[١].

وهي تكليف إلهي يقول تَتَرُّ: ﴿عندما يرى سيد الشهداء عليه السلام ان حاكماً ظالماً جائراً يحكم الناس فإنه يصرح ويقول: ان من يشاهد حاكماً جائراً يحم بين الناس ويظلمهم فيجب عليه ان يقف بوجهه ويمنعه بقدر استطاعته. ان بضعة أنفار لم يكونوا شيئاً يذكر أمام ذلك الجيش، ولكنها المسؤولية والتكليف إذ كان يجب عليه ان ينتفض، ويقدم دمه حتى يصلح هذه الأمة وحتى يقضي على راية يزيد، وهذا ما قام به فعلاً؛ فقد قدم دمه ودم أولاده وأنفسهم، وكل ما يملك من أجل الإسلام﴾[٢].

أسباب النهضة الحسينية:

بعد هذا العرض دعنا نتلمس رؤية الإمام الخميني تَتَرُّ لأسباب هذه النهضة بحسب الوارد في كلماته وخطاباته.

١ـ عداء الحكام للإسلام:

ويقول تَتَرُّ عن يزيد وبني أمية: ﴿...فهم لم يكونوا يؤمنون بالإسلام منذ البداية، وكانوا يكنون الحقد والحسد لأولياء الإسلام﴾[٣].

٢ـ التآمر على الإسلام:

ويقول الإمام تَتَرُّ: ﴿وأنقذ ـ الإسلام ـ من تآمر العناصر الفاسدة وحكم

﴿١﴾ منهجية الثورة الإسلامية. ص٤٦٩.

﴿٢﴾ منهجية الثورة الإسلامية. ص٤٦٨.

﴿٣﴾ الخميني، روح الله، نهضة عاشوراء. ص٢٢، م س.

بني أمية الذين أوصلوا الإسلام الى حافة الهاوية﴾[١].

٣ـ العمل على محو الإسلام واضاعة جهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

﴿لقد أوشكت حكومة يزيد وجلاوزته الجائرة ان تمحو الإسلام، وتضيع جهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم المضنية، وجهود مسلمي صدر الإسلام، ودماء الشهداء وتلقي بها في زاوية النسيان، وتعمل ما من شأنه ان يضيع كل ذلك سدى﴾[٢].

٤ـ القضاء على الإسلام وطمس معالمه:

﴿لقد هدف بنو أمية للقضاء على الإسلام﴾[٣].

﴿لقد رأى سيد الشهداء عليه السلام ان معاوية وأبنه لعنة الله عليهما يعملان على هدم الدين، وتقويض أركانه، وتشويه الإسلام، وطمس معالمه...﴾[٤].

٥ـ تشويه الإسلام وقلب حقيقته:

﴿لقد أوشك حكم بني أمية المنحط ان يظهر الإسلام بمظهر الحكم الطاغوتي، ويشوه سمعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. وقد فعل معاوية وأبنه الظالم الأفاعيل ضد الإسلام، وارتكب ما لم يرتكبه جنكيز خان، فقد بدّلا اساس عقيدة الوحي ومعالمها الى نظام شيطاني﴾[٥].

﴿فقد حاولا ـ أي معاوية ويزيد ـ قلب حقيقة الإسلام، فقد امتلأت مجالسهم بشرب الخمر ولعب القمار﴾[٦].

﴿١﴾ الخميني، روح الله، نهضة عاشوراء ص٢١، م ن.

﴿٢﴾ م ن، ص٢٧.

﴿٣﴾ م ن، ص٣٨.

﴿٤﴾ م ن، ص٣٩.

﴿٥﴾ م ن، ص٣٨.

﴿٦﴾ م ن، ص٤١.

٦ـ تحويل الحكم الإسلامي الى ملكيّة:

﴿ان الخطر الذي كان يمثله معاوية ويزيد ضد الإسلام لم ينحصر في كونهما غاصبين للخلافة؛ فهو أهون من الخطر الأكبر الآخر وهو انهما حاولا جعل الإسلام عبارة عن سلطنة وملكية، وأرادا ان يحوّلا الأمور المعنوية الى طاغوت﴾[١].

﴿لم تكن القضية غصب الخلافة فحسب، لقد كان قيام سيد الشهداء عليه السلام وثورته قياماً ضد السلطة والطاغوتية﴾[٢].

٧ـ الإساءة الى سمعة الإسلام والحكم:

يقول قدس سره: ﴿عندما رأى سيد الشهداء عليه السلام ان هؤلاء يسيؤون بأعمالهم الى سمعة الإسلام، ويشوهون صورته باسم خلافة الرسول، ويرتكبون المعاصي، ويحكمون بالظلم الجور.. وانعكاس ذلك على الصعيد العالمي هو ان خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمارس هذه الأعمال، فرأى من واجبه ان ينهض ويثور حتى لو أدى الأمر الى مقتله، المهم هو إزالة ما تركه معاوية وابنه من آثار على الإسلام﴾[٣].

ويقول قدس سره **كذلك**[٤]: ﴿عندما يرى سيد الشهداء عليه السلام ان حاكماً ظالماً يحكم في الناس بالظلم والجور؛ فعليه ان يقوم بوجهه ويمنعه من الظلم بمقدار ما يستطيع ولو كان معه بضعة انصار فقط يقفون معه بوجه ذلك الحاكم ذي الجيش العظيم الجرار﴾[٥].

﴿١﴾ م ن، ص٤١.

﴿٢﴾ م ن، ص٤١.

﴿٣﴾ م ن، ص٤٢.

﴿٤﴾ ﴿إشارة الى قول الإمام الحسين عليه السلام نقلاً عن جده صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل في عبادة الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله﴾.

﴿٥﴾ م ن، ص٤٤.

٨ـ الانغماس في المعاصي ومخالفة سنة الرسول صلى الله عليه وآله :

يقول قدس سره: ﴿... إنه ـ أي يزيد ـ يقترف المعاصي، ويخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله ... فهو يسفك الدماء، ويهدر الأموال، ويبذرها.. وهي ذات الأفعال التي كان يقوم بها أبوه معاوية فأتى أمير المؤمنين علياً عليه السلام الى معارضته﴾[1].

أهداف النهضة الحسينية[2]

من خلال ما تقدم يمكن القول بإجمال ان أسباب النهضة الحسينية ـ بحسب رؤية الإمام الخميني قدس سره ـ تتلخص بوجود حكومة طاغوتية آثمة جائرة وغاشمة تستغل الحرمات، وتشوه الدين ومفاهيمه، وتلحق أذية كبرى بصورة الإسلام وسمعته وسمعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله؛ لذلك فإن حركة الإمام الحسين ـ بحسب ما يراه الإمام قدس سره ـ هي إزالة كل هذا الواقع وقلعه، واستنقاذ الإسلام وصورة نبيه، وتنظيف سمعة الإسلام والنبي من التشوه والتلوث الذي ألحقته بهما ممارسات بني أمية.

ولنعد إلى تلمس أهداف الثورة الحسينية من أقوال الإمام الخميني قدس سره.

١ـ إحياء الإسلام واستنقاذه:

يقول قدس سره: ﴿وقد قتل سيد الشهداء عليه السلام ولم يكن طامعاً في الثواب، فهو عليه السلام لم يعر هذا الأمر كثير الإهتمام، لقد كانت نهضته لإنقاذ الدين ولإحياء الإسلام ودفع عجلته إلى الأمام﴾[3].

﴿محرم هو الشهر الذي أحيي فيه الإسلام على يد سيد المجاهدين والمظلومين عليه السلام وأنقذه من تآمر العناصر الفاسدة وحكم بني أمية، الذين أوصلوا الإسلام الى

﴿١﴾ نهضة عاشوراء. ص٤٥.

﴿٢﴾ عاشوراء في فكر الإمام الخميني، ص٥١، م س.

﴿٣﴾ م ن، ص٥٢.

حافة الهاوية﴾[١].

ويقول كذلك: ﴿في صدر الإسلام وبعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مُرسي أسس العدالة والحرية. أوشك الإسلام أن ينمحي ويتلاشى بسبب الخرافات بني أمية، وكاد يسحق تحت أقدام الظالمين، ويبتلع من قبل الجبابرة.. فهب سيد الشهداء عليه السلام لتفجير نهضة عاشوراء العظيمة﴾[٢].

٢ـ صون مستقبل الإسلام والمسلمين:

عن ذلك يقول الإمام تتئرثه: ﴿لقد كان الحسين عليه السلام يفكر بمستقبل الإسلام والمسلمين باعتبار أن الإسلام ينتشر بين الناس نتيجة لتضحياته ولجهاده المقدس، وان نظامه السياسي والإجتماعي سيقام في مجتمعنا، فرفع لواء المعارضة والنضال والتضحية﴾[٣].

ويقول تتئرثه: ﴿... فسيد الشهداء عليه السلام قتل، وأولئك الشبان والأنصار في سبيل الإسلام ضحوا بأرواحهم وأحيوا الإسلام﴾[٤].

ويقول كذلك: ﴿إن سيد الشهداء عليه السلام لبى صرخة الإسلام واستجاب لاستغاثته وإنقاذه﴾[٥].

٣ـ كسر عقدة الخوف:

لقد كان المجتمع غارقاً في حالة من الرعب، مستسلماً للطاغية نتيجة ممارساته الجائرة، وكان على أحد أن يواجهه ليبث الشجاعة والإقدام، وعن ذلك يتحدث الإمام تتئرثه: ﴿لقد علّم ـ الحسين ـ عليه السلام الناس لا يخشوا قلة العدد فالعدد

﴿١﴾ م ن، ص٣١.

﴿٢﴾ م ن، ص٣٧.

﴿٣﴾ م ن، ص٥٠.

﴿٤﴾ م ن، ص٦٠ و٦١.

﴿٥﴾ م ن، ص١١٥.

ليس هو الأساس بل الأصل والمهم هو النوعية، والمهم هو كيفية التصدي للأعداء والنضال ضدهم والمقاومة بوجههم، فهذا هو الموصل الى الهدف﴾[1].

ويقول ﴿قدس سره﴾: ﴿لقد أفهمونا أنه لا ينبغي للنساء ولا للرجال ان يخافوا في مقابل حكومة الجور﴾[2].

﴿فسيد الشهداء قد حدد تكليفنا؛ فلا تخشوا من قلة العدد ولا من الإستشهاد في ميدان الحرب﴾[3].

٤ـ مقاومة الظلم والفساد [روح المقاومة]:

﴿لقد ضحى سيد الشهداء عليه السلام بجميع أصحابه وشبابه، وبكل ما يملكه في سبيل الله، ولتقوية الإسلام، ومكافحة الظلم، ومعارضة الإمبراطورية التي كانت قائمة آن ذاك...﴾[4].

﴿وكان الواحد منهم يزعم انه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ويشرب الخمر في مجلسه ويلعب القمار! ثم يبقى خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، ويتوجه الى الصلاة ويؤم صلاة الجماعة. ان هذا خطر كبير واجهه الإسلام مما دفع سيد الشهداء عليه السلام بالقيام برفضه﴾[5].

﴿... هنا اقتضى التكليف ان ينهض عظماء الإسلام بمهمة المعارضة والمعاهدة، وإزالة التشويه الذي يوشك ان يلحقه هؤلاء بسمعة ومكانة الإسلام﴾[6].

﴿١﴾ م ن، ص٢٢.

﴿٢﴾ م ن، ص٦٨.

﴿٣﴾ م ن، ص٢٤.

﴿٤﴾ م ن، ص٥٢.

﴿٥﴾ م ن، ص٤١.

﴿٦﴾ م ن، ص٤٥ و٤٦.

٥ـ الثورة والنهي عن المنكر:

﴿لقد تحرك سيد الشهداء عليه السلام مع عدد قليل من الأنصار، وثار بوجه يزيد الذي كان حاكماً متجبراً يرأس حكومة غاشمة جائرة ويتظاهر بالإسلام ويستغل قرابته وصلته العائلية[١] بالإمام عليه السلام قد كان رغم تظاهره بالإسلام وزعمه ان حكومته حكومة إسلامية وانه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان امرأ ظالماً يهيمن على مقدرات بلد دون حق؛ لذا فان الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام ثار بوجهه مع قلة الأنصار؛ لأنه رأى ان واجبه وتكليفه يقتضي ذلك، وان عليه ان يستنكر ما يحدث، وان ينهي عن المنكر﴾[٢].

ويقول قدس سره: ﴿لقد أعلن سيد الشهداء عليه السلام بصراحة ان هدفه من قيامه هو إقامة العدل، فالمعروف لا يعمل به والمنكر لا يتناهى عنه[٣]؛ لذا فهو يريد إقامة المعروف ومحو المنكر فجميع الانحرافات منشؤها المنكر وما عدا خط التوحيد المستقيم فكل ما في العالم منكرات ويجب ان تزول﴾[٤].

﴿لقد ضحى سيد الشهداء بكل حياته من أجل إزالة المنكر ومحوه ومكافحة حكومة الظلم والحيلولة دون المفاسد التي أوجدتها الحكومات المنحرفة في العالم﴾[٥].

٦ـ إصلاح الأمة وتدمير حكومة الجور:

﴿ونحن الموالون لسيد الشهداء عليه السلام السائرون على نهجه، ينبغي ان ننظر في حياته، وفي قيامه الذي كان الدافع اليه النهي عن المنكر ومحوه، ومن المنكر

﴿١﴾ حيث ان بني هاشم وبني أمية هما من فروع عبد مناف من قبيلة بني قريش.

﴿٢﴾ م ن، ص٤٣.

﴿٣﴾ ﴿إشارة الى قول الإمام الحسين عليه السلام: ... ألا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله...﴾.

﴿٤﴾ م ن، ص٤٧.

﴿٥﴾ م ن، ص٤٨.

حكومة الجور وهي يجب ان تزول﴾[1].

﴿فما سعى ﴿سيد الشهداء﴾ بجد للإطاحة بحكومة الجور وإزالتها[2]، كان التكليف يوجب على سيد الشهداء عليه السلام ان يقوم ويثور ويضحي بدمه كي يصلح هذه الأمة ويهزم راية يزيد﴾[3].

الخلاصة:

هذا ما لخّص في كتاب ﴿عاشوراء في فكر الإمام الخميني﴾، كأهداف ذكرها السيد الخميني في خطاباته، وفي طيات كلماته. وهي كما ترى ستة أهداف، ولكن بعد التدقيق والملاحظة يمكن تقليصها؛ لأن بعضها متداخل. فيمكن حصرهما في عنوانين رئيسين:

العنوان الأول: عنوان الإصلاح الذي رفعه الإمام الحسين شعارا لنهضته بحسب ماورد عنه عليه السلام: ﴿إني لم اخرج أشراً ولا بطراً وإنما خرج لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴾[4].

فإن هذا العنوان هو الجامع للهدف الأول، والثاني، والخامس، والسادس. فتأمل.

العنوان الثاني: الإستعداد للتضحية، وهذا العنوان يمكن أن يندرج فيه الهدف الثالث والرابع، وهما كسر عقدة الخوف وبث روح المقاومة. فإن من يكسر حاجز الخوف يصبح مقاوما. وهذا العنوان كثيراً ما ركز عليه السيد الخميني قدس سره، إذ أنه من الواضح علة لتحقيق العنوان الأول، فإن الأمة القادرة على التضحية

﴿١﴾ م ن، ص٤٨.

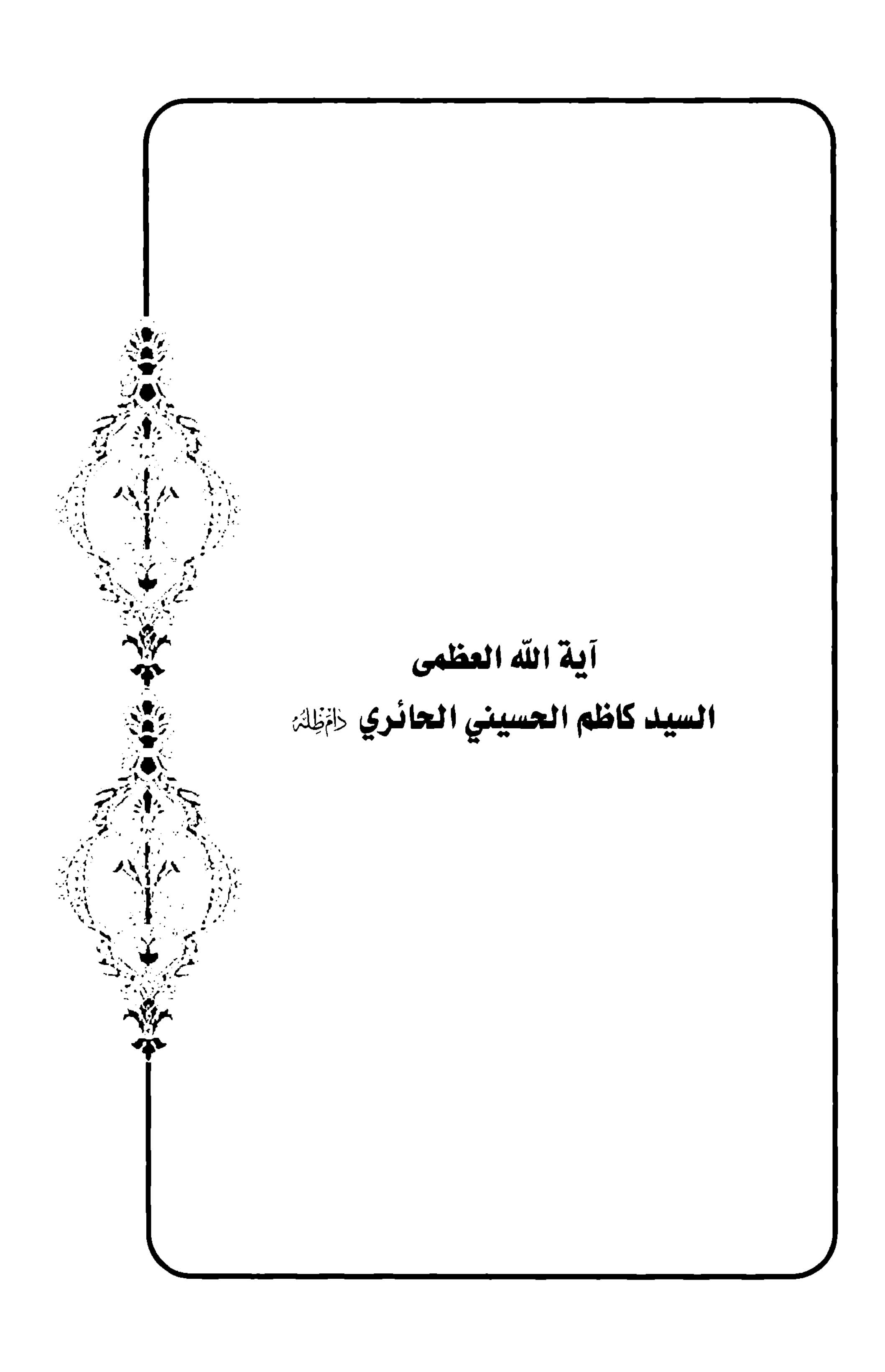
﴿٢﴾ لأنه يعلم علم اليقين أن هدف الإطاحة بحكومة يزيد بعيد؛ لأن الأجواء بشكل عام تخدم بقاء دولته، كما أن الإرهاصات تساعد على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، هذا فضلا عن العلم الإلهامي الذي نعتقده في المعصومين عليهم السلام.

﴿٣﴾ الى هنا انتهى كلام السيد الخميني قدس سره.

﴿٤﴾ الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٣٠، م س.

قادرة على صنع الإصلاح، والإمة القاعدة أمة خاوية على عروشها يعبث بها الظالمون كيفما شاءوا، وفي هذا المجال يقول قدس سره : ﴿لم تكن لدى الإمام الحسين عليه السلام قوة تذكر، ومع ذلك نهض وثار، ولو كان ـ والعياذ بالله ـ كسولا لكان بإمكانه الجلوس والإنزواء جانبا، والإدعاء بأن هذا ليس واجبه الشرعي، وأن تكليفه الشرعي لا يحتم عليه الثورة.. لو أن هذا كان هو الذي حصل؛ لفرح البلاط الأموي، فالبلاط الأموي يسعده كثيرا بأن يلجأ سيد الشهداء عليه السلام الى القعود والسكوت، وتركهم ليفعلوا ما يحلو لهم..﴾[1].

﴿١﴾ نهضة عاشوراء، ص٥١.



آية الله العظمى

السيد كاظم الحسيني الحائري دام ظله

توطئة:

ما ننقله هنا عن السيد الحائري هو عبارة عن محاضرة ألقاها السيد دام ظله في مكتبه بقم، وقد قام القسم الإعلامي في مكتبه في النجف الأشرف بتقرير المحاضرة وطبعها في كراس مستقل.

وقد قمنا بتحقيق المحاضرة، وضبط علامات الترقيم، مع إضافة بعض العناوين الفرعية وحصرها بين هلالين هكذا [...].

وهذا نصها:

ثورة الإمام الحسين عليه السلام ﴿١﴾

لقد توج الإمام الحسين عليه السلام حياته السياسية بصنع حدث كبير هز الضمائر وآل إلى تحولات عظيمة على صعيدي الفكر والواقع الإجتماعي، فكانت الثورة هي ذلك الحدث الذي انطلق لمواجهة الإنحراف الحكومي المتمثل وقتئذٍ بيزيد بن معاوية، في وقت كانت الأمة قد بلغت حداً من النضج جعلها تدرك تلك الأوضاع، وتدرك ضرورة تغييرها، وتتأهب للمواجهة لإعادة الأمور إلى مجاريها الصحيحة التي تعرفها أيضاً.

فجاء الإمام الحسين عليه السلام لينقل هذا الوعي إلى ذروة المواجهة، وليعلن الثورة على الظالمين مستعيداً سيرة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، طالباً للإصلاح في أمته، ضارباً أروع الأمثلة للتضحية من أجل المبادئ، وبذلك أسس الإمام الحسين عليه السلام وعياً سياسياً جديداً يأبى المصالحة مع الحاكم المنحرف، ويأبى السكوت على انحرافه، أو الركون اليه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ

﴿١﴾ الحائري، كاظم، أهداف ثورة الإمام الحسين، ط ـ سنة ـ، اصدار: القسم الإعلامي في مكتب المرجع الديني سماحة آية الله العظمى السيد كاظم الحسيني الحائري ـ النجف الأشرف، ص٦ ومابعدها.

النَّارُ﴾﴿١﴾.

ثورة الإمام الحسين عليه السلام دارت حولها آراء عديدة لتفسيرها ربما تتناقض في ما بينها، ويؤدي بعضها إلى القول بأقوال غريبة أو غير مقبولة، وقد تساهم في تشويه الهدف الذي نهض وثار من اجله الإمام الحسين عليه السلام؛ ولهذا سوف نستعرض نماذج مهمة من هذه الآراء لمناقشتها ونفي الفاسد منها واثبات الصالح الموافق لطبيعة الثورة وأهدافها وغايتها.

آراء المفسرين:

ثمة رأيان أساسيان يهيمنان على حدث الثورة لاستكناه أسبابها ودواعيها وغاياتها في الواقع الشيعي.

الرأي الأول غير هادف، والرأي الثاني هادف، وينقسم الرأي الثاني بدوره إلى قسمين في تحقيق صدقية الهدف من خلال تفاصيل حدث الثورة ونتائجها، وسوف نستعرض ذلك تباعاً.

[التفسير غير الهادف]

أما بالنسبة للرأي ﴿غير الهادف﴾ والذي أنتجه العقل الشيعي الجمعي لعدد من سواد الناس، والذي يفتقر للدليل والبرهان، هو الرأي الذي مفاده أن الإمام الحسين عليه السلام إنما خرج وأعلن ثورته على يزيد بن معاوية لا لشيء إلا ليقتل ويستشهد على أيدي الظالمين، من أجل أن يصبح موضوعاً للتأسي والألم والبكاء من قبل شيعته ومحبيه، ولكي يكون ذلك سبباً لغفران ذنوبهم وتخليصهم من عقاب الآخرة وإدخالهم الجنة، هذا هو الرأي الأول.

ومن الواضح إن هذا التفسير يلغي هدفية الإمام الحسين عليه السلام بالشكل الذي

﴿١﴾ هود: ١١٣.

يمكن[1] للعاملين الهادفين الاقتداء به، ويجعل ذلك عملاً قائماً على أساس تعبد بحت خاص به عليه السلام؛ وذلك لأننا لو كنا وظاهر ما بأيدينا من نظم الشريعة لقلنا بتركيب الإشكال الشرعي على التضحية التي قام بها الإمام عليه السلام، حيث أن السبب المذكور آنفاً يفتقد الملاك الشرعي[2] الذي بموجبه يجوز إراقة الدم وتعريض النفس للهلاك.

ويرد على هذا الوجه[3]: إن الأهداف التي أعلنها الإمام عليه السلام في خطبه وبياناته صادعة بأن للإمام عليه السلام هدفاً رئيسياً هو طلب الإصلاح في أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الروايات التي وردت تبشر بالثواب الجزيل لمن يبكي على مصاب الإمام عليه السلام، لا يمكن أن يقبل في تفسيرها أكثر من التأكيد على حصول الثواب. ولا يمكن قبول فرضية أن الحسين عليه السلام قتل لكي تبكي عليه الشيعة، ويوجب ذلك دخولهم الجنة وغفران ذنوبهم مهما عظم إجرامهم، فإن الإعتقاد بمثل هذا الرأي يبطل الأهداف التغييرية التي جاء بها الإسلام وعمل بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام من بعده، فالتغيير لا يحصل إلا بإتباع جميع مقررات الشريعة ومن خلال العمل الصالح والإيمان واليقين.

﴿١﴾ الصحيح أن يقال: ﴿لا يمكن للعاملين الهادفين الاقتداء به...﴾ لأنه فسره بأنه عمل تعبدي خاص بالحسين عليه السلام، ومعه لا يمكن أن يكون قدوة، أو أن يكون محلا للتأسي.

﴿٢﴾ المراد بالملاك هو الدافع، وبعبارة أخرى المصلحة والمفسدة، فالمصلحة ملاك الوجوب والإستحباب، والمفسدة ملاك الحرمة والكراهة، غاية الأمر أن الفرق بين الوجوب والحرمة من جهة والإستحباب والكراهة من جهة أخرى هو في الشدة والضعف، فالمصلحة الشديدة ـ مثلا ـ تستوجب الوجوب، والمصلحة الضعيفة تستوجب الإستحباب. وقد يكون الفعل خلوا من الإثنين فيكون مباحا. انظر: الصدر، محمد باقر، دروس في علم الأصول، ط الثالثة ١٤٢٦هـ، المطبعة شريعة قم، ، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، اعداد وتحقيق:لجنة التحقيق التابعةللمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، المجلد الأول، الحلقة الثانية، ص١٧٦.

﴿٣﴾ يعني يوجد على هذا التفسير إشكال...

[التفسير الهادف]

أما بالنسبة للرأي الثاني ﴿الهادف﴾ في تفسير ثورة الحسين عليه السلام فهو والرأي الذي يتحرك على أساس هدف الإمام الحسين عليه السلام في إعلانه المعارضة على حكم يزيد، والثورة عليه والتصدي للظالمين.

وفي دائرة هذا الرأي ثمة اتجاهان يفسران عمل الإمام الحسين عليه السلام:

الاتجاه الأول: هو الاتجاه الذي يذهب إلى أن هدف الإمام الحسين عليه السلام كان إقامة الحكومة الإسلامية، ولم يكن هدفه الإستشهاد، وإنما شاءت الأقدار ذلك فاستشهد عليه السلام، فكانت شهادته خسارة عظيمة للإسلام ولم يكن فيها نفع، وقد يكون لهذا الرأي دعاته ومتبنوه، ولكننا نختار نموذجاً واحداً هو كتاب ﴿شهيد جاويد﴾[1] لمؤلفة الكاتب الإيراني ﴿صالحي نجف آبادي﴾.

الاتجاه الثاني: ويمثله استاذنا الشهيد الصدر قدس سره ومفاده إن الإمام الحسين عليه السلام خرج وهو يقصد الشهادة ويطلبها وكانت هي غايته النهائية، وكان الهدف منها هو إحداث هزة عنيفة في نفوس وضمائر المسلمين، أولئك الذين كانوا مبتلين بمرض ﴿ضعف الإرادة﴾[2] كما أسماه السيد الشهيد الصدر قدس سره، فالأمة آنذاك وفي زمن الإمام الحسين عليه السلام بالذات كانت تعرف الحق وأهله وتعرف الباطل وأهله، وتعرف انحراف يزيد وظلمه وعدم شرعيته، وتعرف الإمام الحسين عليه السلام واستقامته وشرعيته، ولكنها كانت ﴿ضعيفة الإرادة﴾ خائفة، لا تقدر أن تترجم أحاسيسها ووعيها إلى عمل موافق، ولهذا وجد الإمام الحسين عليه السلام إن أي عمل سيصبح عديم الجدوى مع أمة تعاني من وطأة هذا المرض الوبيل، وسوف لن يكون بمقدار أي حركة تصحيحية ان تجني ثمارها الواقعية بسبب ركود القاعدة وتصلبها، كما أن استمرار هذا المرض وتفشيه في الأمة سوف يؤدي إلى موتها، وبالتالي انهيار كيانها وانعدام أية فرصة ضئيلة ممكنة لاستنهاضها في المستقبل؛ ولهذا وجد الإمام الحسين

﴿١﴾ ترجمته بالعربية: ﴿الشهيد الخالد﴾.

﴿٢﴾ تقدم هذا المعنى في عرض كلام السيد الشهيد بهذا الصدد.

عليه السلام إن علاج وضع هكذا لن يكون إلا بأحداث هزة عنيفة تهز وجدان وضمير الأمة، وتبعث فيها الحيوية والإقدام، وإن هذه الهزة العظيمة لا تحدث إلا بتضحية عظيمة، وقد رأى أن يكون هو عليه السلام الضحية التي سوف تهز الضمائر، ولم يجد أحداً في الأمة مرشحاً لهذه المنزلة سواه، فأقدم على الشهادة، فكانت شهادته عليه السلام منعطفاً بارزاً وقوياً في وعي الأمة وحياتها، وكان أثرها على النفوس عظيماً حيث تحركت الحياة في الضمائر المريضة وحدثت الانتفاضات والثورات من بعده إلى أن تقوض حكم بني أمية، وظل دم الإمام الحسين عليه السلام منذ استشهاده والى اليوم محركاً للثورة وملهماً لشيعة آل البيت عليهم السلام في كل حين.

إن الكاتب ﴿صالح نجف آبادي﴾ استدل على رأيه بالتصريحات والشعارات التي أطلقها الإمام الحسين عليه السلام.

كقوله عليه السلام: ﴿إني لم اخرج أشراً ولا بطراً وإنما خرج لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴾[1]، وكذلك استدلاله بالرسائل والكتب التي بعثها إلى أهل البصرة والكوفة والتي حثهم فيها على نصرته، والتي كانت تعني فيما تعني إن الإمام عليه السلام عازم على إرساء قواعد حكم إسلامي صحيح بعد القضاء على الانحراف والظلم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يؤكد ﴿صالحي نجف آبادي﴾ على ان الوضع الاجتماعي وقتئذ كان يلح على الثورة، خصوصاً بعد بيعة أهل الكوفة وغيرهم له ومطالبتهم إياه بالإسراع للمجيء إلى العراق، الأمر الذي لم يبقَ أمام الإمام عليه السلام من خيار سوى الاستجابة لنداء الثورة، وقد استجاب عندما بعث رسوله أبن عمه مسلم بن عقيل لاستطلاع الوضع في الكوفة للتأكد من مقومات النصر. وبعد أن مكث مسلم بن عقيل قرابة أربعين يوماً في الكوفة بعث ﴿مسلم بن عقيل﴾ إلى الإمام الحسين عليه السلام أن أقدم فإن هؤلاء جنود مجندة لك[2]، وحينما رأى الإمام عليه السلام المؤشرات الدالة على النصر جد في السير إلى

﴿١﴾الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٣٠، م س..

﴿٢﴾ انظر: ابن كثير، اسماعيل ابو الفداء، البداية والنهاية، ج٨ص١٦٣، م س.

العراق، وحين وصل إلى مقصده حيل بينه وبين الدخول إلى الكوفة، وعُزل عن أنصاره، فأختل ميزان القوة بينه وبين أعدائه لصالحهم، وحدثت المواجهة غير المتكافئة واستشهد الإمام الحسين عليه السلام، فكانت شهادته خسارة كبيرة للإسلام ونكبة عظيمة حلّت بالمسلمين.

إذن، فإن شهادة الإمام الحسين عليه السلام حدثت بسبب اختلال ميزان القوة بين الإمام الحسين عليه السلام وجيش عبيد الله بن زياد، وإن الأسباب التي سببت هذا الاختلال، إنما هي أسباب لم تكن في حسبان الإمام عليه السلام وقد فوجئ بها.

ويتساءل هذا الكاتب، ويستفهم، ويقول: ما معنى اعتبار قتل الحسين عليه السلام انتصارا للإسلام؟ هل إن قتله سوف يسبب هداية الناس؟ أو أن وجوده حياً بين الناس هو الذي يؤدي إلى هدايتهم؟ وهل أن مقتل الإمام الحسين عليه السلام قد أدى إلى فضح يزيد بن معاوية وهو المفضوح بشرب الخمر والفسوق الفجور؟.

وهل إن مقتل الإمام الحسين عليه السلام قد أدى إلى قوة الشيعة وحركاتهم الثائرة كحركة التوابين، وحركة المختار الثقفي، وحركة سليمان بن صرد الخزاعي.. وهي جميعها قد أجهضت وقتل قادتها ولم تحقق جميع أهدافها؟

ثم يصل الكاتب المذكور إلى هذه النتيجة وهي: أن مقتل الإمام الحسين عليه السلام كان خسارة للإسلام ومفسدة للمسلمين، وإن الإمام الحسين عليه السلام لو كان يعلم ـ ظاهرياً ـ أنه سيقتل لما جاز له الخروج، ولكنه خرج على خلفية أمر ثم تبين له خلافه، وعندئذ طلب من جيش بن زياد السماح له بالرجوع ولكنهم منعوه وأبو إلا أن يفرضوا عليه الحصار لإقحامه بالنتيجة التي آلت إلى استشهاده مع جميع أصحابه.

[شهادة الإمام الحسين عليه السلام انتصار كبير للإسلام]

أما أستاذنا السيد الشهيد الصدر قدس سره، فإنه كان يرى أن الأمة كانت مصابة بمرض الشك في زمن معاوية بن أبي سفيان، وقد عالجه الإمام الحسن عليه السلام بالصلح مع معاوية، أما في زمن يزيد فإن الأمة برأت من ذلك المرض، وكانت تعرف الحق

وأهله، وتعرف الباطل وأهله ولكنها أصيبت بمرض لم يكن له علاج لكي تبرأ الأمة منه سوى أن يقدم الإمام الحسين عليه السلام على التضحية بنفسه وأهل بيته وأصحابه لكي يهز بها الضمائر الميتة ويبعث الشجاعة والإرادة فيها، وهذا ما حدث فعلاً، وحصلت تبعاً لذلك النتائج المتوقعة.

فشهادة الإمام الحسين عليه السلام كانت انتصاراً كبيراً للإسلام، وقد حققت أهدافاً عظيمة. أما ظواهر النصوص التي كانت تصدر من الإمام الحسين عليه السلام مما يشير إلى أن الهدف هو إقامة الحكم الإسلامي فقد وجهها أستاذنا الشهيد الصدر قدس سره بالتوجيه التالي:

وهو أن الإمام الحسين عليه السلام حينما كان هدفه من الشهادة هو هز ضمير الأمة وشحذ إرادتها، فلا فائدة عندئذ من عنونة عمله بالشهادة فقط؛ لأن عنوان الشهادة لا يكفي بمفرده تحقيق ذلك الهدف، وكان ممكناً أن يقال عنه ذهب لكي ينتحر، أما لو رأت الأمة إنساناً مخلصاً للإسلام كالإمام عليه السلام وقد تحرك نحو هدف إقامة النظام الإسلامي الأصلح، ومن أجل كلمة الله، وقد ضحى بنفسه من أجل هذا الهدف عندئذ تذكر الأمة أن السعي للهدف الذي ضحى من أجله الإمام الحسين عليه السلام يعد من أقدس الواجبات، ويستحق التضحية كما ضحى له الإمام الحسين عليه السلام، ولهذا فالإمام الحسين عليه السلام عندما خرج معلنا الثورة على يزيد أعلن عن هدفه ومبررات خروجه، والغاية التي ينشدها، واتضح من مجموع خطاباته، وأقواله، وبياناته، هوتشييد نظام صالح تقام فيه الشريعة، وتصان فيه الحقوق، ويحكمه الأخيار المنتجبون.

وحقاً إن الإمام الحسين عليه السلام قد خرج من أجل هذه الأهداف، ولكنه كان يعلم مسبقاً بأنه لا يستطيع تحقيقها، وأنه سيقتل وتسبى نساؤه، ومع ذلك خرج ليؤكد مبدأ الشهادة من أجل الأهداف الصالحة، وليهز بذلك ضمير الأمة، ويحرك وجدانها وإرادتها، وهذا ما حصل إذ تحركت الأمة على خطى الإمام الشهيد وحصلت الثورة المعروفة في التاريخ.

تقييم والرأيين:

اختلف الرأيان في أغلب النقاط المثارة حول الثورة الحسينية إلى الدرجة التي جعلت لكل من أستاذنا السيد الشهيد الصدر عليه السلام والكاتب ﴿صالحي نجف آبادي﴾ أرضيته التي يقف عليها وينطلق منها، ولم يكن بينهما من قدر مشترك فيما أورداه من آراء سوى مسألة واحدة، وهي اتفاقهما على القول بأن الإمام الحسين عليه السلام قد عنون معارضته لحكم يزيد وخروجه بالثورة عليه بعنوان طلب الحكم الإسلامي ﴿إني ما خرجت أشراً ولا بطراً ولكن خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴾[1]، بيد أن الاختلاف متضمن أيضاً في توجيه هذا الإدعاء لكل من الطرفين، فأستاذنا السيد الشهيد الصدر قدس سره يؤكد أن الإمام الحسين عليه السلام إنما خرج لطلب الشهادة وهو يعلم بأنه يستشهد، وإن إطلاق طلب الحكم الإسلامي كان مجرد شعار تعبوي وتغييري، بينما الكاتب الإيراني ﴿صالحي نجف آبادي﴾ يؤكد أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يعلم ظاهرياً بأنه سوف يستشهد، وإلا فلماذا أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة لكي يطلعه على أوضاع الناس ومقدار ولائهم واستعدادهم لمناصرته؟

ولماذا طلب من الحر بن يزيد الرياحي حينما كان آمراً على جيش عبيد الله بن زياد أن يفك الحصار عنه ويسمح له بالرجوع من حيث أتى؟ ولماذا كرر الإمام الحسين عليه السلام نفس الطلب يوم عاشوراء؟ ألا يعني ذلك أن الإمام عليه السلام لم يكن قاصداً الشهادة، وإنما كان قاصداً الثورة على يزيد، وقلب نظام الحكم، وتأسيس حكومة إسلامية صحيحة برئاسته.

وبالحقيقة إن هذا الاستدلال الذي أورده هذا الكاتب سرعان ما يبطل وينهار،للسبب الذي ذكره أستاذنا الشهيد الصدر قدس سره وهو:

إن طرح عنوان الشهادة بعفوية لا يهز الضمائر، ولا يؤثر في النفوس ولا يؤدي الأغراض التي استهدف الإمام عليه السلام تحقيقها، وعندئذ يكون من الطبيعي أن

﴿١﴾الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٣٠، م س.

يرسل رسوله إلى الكوفة مسلم بن عقيل لكي يستطلع الأمور له، ومن الطبيعي أيضاً ان يطالب الحر بن يزيد الرياحي حينما كان آمراً لجيش ابن سعد لفك الحصار عنه، أو يطالب أهل الكوفة المعسكرين حوله بالسماح له بالعودة؛ لأن غرض الإمام عليه السلام المعلن إنما هو إقامة الحكومة العادلة وكان هذا شعار ثورته.

إن رأي ﴿صالحي نجف آبادي﴾ السالف الذكر وأن كان خيراً من الفكرة اللاواعية المتعارفة لدى الناس والتي مفادها أن الإمام الحسين عليه السلام ما خرج إلا ليقتل، ولكي يكون مقتله مصاباً يستثير شيعتهم ويبكيهم، وبالتالي يكون بكاؤهم عليه شفيعهم يوم القيامة وماحي لذنوبهم ومدخلهم الجنة.

ولكن لا يصلح رأيه أبداً للمقاومة في رأي أستاذنا الشهيد الصدر قدس سره على ما يتضح من تقييم المفردات التي اختلفنا عليها، فما ذكرناه إنما كان في دائرة الرأي الذي اتفقنا عليه جزئياً.

[نقاط الإفتراق بين الرأيين]

أما الآراء التي اختلفنا فيها بشكل كامل فهي:

أولاً: إن الكاتب ﴿صالحي نجف آبادي﴾ يرى أن شهادة الإمام الحسين عليه السلام ألحقت خسارة كبيرة بالإسلام، ولم تكن في صالحه أبداً، إذ أن مصلحة الإسلام تقتضي ان يبقى الإمام الحسين عليه السلام حياً وأن يمارس عمله في قيادة الأمة وهدايتها لا أن يموت ويقتل.

وفي المقابل يرى أستاذنا الشهيد الصدر قدس سره أن شهادة الإمام الحسين عليه السلام قد أحيت والإسلام، وكانت شجرة الإسلام بحاجة لأن تروى بدم الحسين عليه السلام، وقد أرويت بهذا الدم المبارك.

ثانياً: هل أن الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم بأنه يستشهد، وقد أقام عمله على أساسه؟.

فالكاتب ﴿صالحي نجف آبادي﴾ يؤكد أن الإمام عليه السلام لم يكن يعلم بأنه

سوف يستشهد، بل كان يترآى له أنه سوف ينتصر ويقيم الدولة الإسلامية، بينما يؤكد أستاذنا الشهيد الصدر ﷺ إن الإمام ﷺ كان يعلم بأنه يستشهد.

ثالثاً: وهي ان خسارة الإمام الحسين ﷺ للمعركة ظاهرياً، هل كانت قابلة للرصد والتخمين للإنسان الإعتيادي منذ البدء أو أنها حصلت نتيجة تدخل أمور وحدوث مستجدات لم تكن بالحسبان.

فالكاتب ﴿صالحي نجف آبادي﴾ يعتقد أن الخسارة حصلت بنتيجة توارد أمور وعقبات صادفت حركة الثورة فأعاقتها وأخلت بميزان القوة لصالح جيش ابن سعد، الأمر الذي أدى إلى استشهاد الإمام ﷺ وأهل بيته وأصحابه.

بينما يرى أستاذنا الشهيد ﷺ أن والأمور منذ بدء حركة الإمام ﷺ لم تكن في صالح الإنتصار الظاهري، ولم تكن تجري بالشكل الذي يكون في صالح إقامة الحكم الإسلامي.

وبعبارة أخرى: إن الإمام ﷺ كان يعلم حتى بالحساب الظاهري لدى كل إنسان خبير بأنه سيكون مغلوباً ومقتولاً، وأستاذنا الشهيد الصدر ﷺ يؤكد أن هذه النتيجة هي في صالح الإسلام بحد ذاتها.

هذه هي النقاط الثلاثة الخلافية بين وجهتي نظر السيد الشهيد الصدر ﷺ والكاتب الإيراني ﴿صالحي نجف آبادي﴾، ولدى مناقشتنا لهذه الآراء نستكشف ان بعضها لا يصمد أمام الدليل، ويبطل تأثيره فيما يكون البعض الآخر حائزاً على قدر أكبر من المصداقية لتماسه مع الواقع وكشفه عنه.

[مناقشة صاحب كتاب الشهيد الخالد]

[النقطة الأولى]

فأما ما يتعلق بالنقطة الأولى، وبالذات حول الرأي الذي طرحه الكاتب ﴿صالحي نجف آبادي﴾ بخصوص مسألة استشهاد الإمام الحسين ﷺ واعتبارها قد أضرت بالإسلام، فأن مثير هذا الرأي استدل على رأيه بالنقطتين التاليتين:

١- تساؤله عن مدى انتفاع الإسلام من شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ومقارنته بين أن يكون الإمام عليه السلام حياً بين الناس يهديهم إلى الإسلام ويعلمهم أحكام الدين ويقودهم، وبين أن يكون ميتاً لا يفعل شيئاً من ذلك، واستنتاجه أنه من غير المعقول اعتبار صلاح الناس والرسالة بموت الإمام عليه السلام، بل المعقول هو أن يبقى الإمام عليه السلام حياً لكي ينتفع الإسلام به.

٢- تساؤله عن مدى تأثير استشهاد الإمام عليه السلام على الحكم الأموي وعلى الفتوحات التي حصلت بعد استشهاده، كفتح بخارى، وسمرقند واندونيسيا، واستنتاجه بأن الحكم الأموي كان قوياً قبل شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وظل قوياً بعده، والدليل على ذلك هو قيامهم بالفتوحات المذكورة مباشرة بعد استشهاد الإمام عليه السلام، كما أن شهادة الإمام عليه السلام لم تزد في فضيحة بني أمية إذ كانوا مفضوحين لدى الأمة من قبل، وقد سبق القول من معاوية لأهل العراق:

﴿ما قاتلتكم لكي تصوموا ولا لتصلوا ولكن قاتلتكم لكي أتأمر عليكم﴾[1]. بل على العكس فبنوا أمية تمكنوا من توطيد حكمهم بقتلهم الإمام الحسين عليه السلام لتخلصهم من قوة معارضة كبيرة.

إن الكاتب ﴿صالحي نجف آبادي﴾لم يقر بنتيجة ايجابية أسفرت عن شهادة الإمام عليه السلام سوى قوله بحصول فوائد جانبية، منها تحوّل شهادة الإمام الحسين عليه السلام الى مدرسة سيارة عمقت حب الحسين عليه السلام في قلوب محبيه وألهمتهم دروس والتضحية والفداء، وعلمتهم أحكام وأخلاق دينهم نتيجة مظلوميته وتضحيته العظيمة في سبيل الإسلام.

[وجوابه]

إن الجواب على هذه الاستدلالات يكمن في الرأي الذي طرحه استاذنا الشهيد الصدر قدس سره والذي سبق ذكره من أن ثمة فائدة عظيمة ترتبت على شهادة

﴿١﴾انظر: الاصفهاني، ابو الفرج ، مقاتل الطالبيين، ص٤٦، م س.

الإمام الحسين ﷺ ألا وهي علاج للمرض الذي كانت الأمة مبتلاة به، وهو مرض ﴿فقدان الإرادة﴾ أو ﴿فقدان الضمير﴾، حيث كانت الأمة بحاجة إلى علاج جذري لإعادة إرادتها وثقتها بنفسها إليها، ولكي لا تستسلم أكثر لمؤثرات حكام بني أمية، فجاءت شهادة الإمام الحسين ﷺ كعلاج للأمة من هذا المرض الوبيل، وفعلاً بعد شهادة الإمام ﷺ استعادت الأمة ثقتها بنفسها، ونهضة معلنة صرخة الرفض لكل أشكال الحكم المنحرف، وحدثت ثورة التوابين، وثورة المختار الثقفي، وثورة زيد بن علي.. وغيرها من الثورات.

ورغم انتكاسة هذه الثورات إلا انها كانت تعبر عن مدى التأثر الذي أحدثته شهادة الإمام الحسين ﷺ في نفوس أبناء الأمة، وكانت تدل في الوقت نفسه على دخول الأمة في عهد جديد من أبرز ملاحمه المعارضة والثورة والعصيان، وهذا ما لم يحدث من قبل شهادة الإمام ﷺ. كما أن ثمة تأثيرات واستجابات حصلت لدى حكام بني أمية نتيجة تصاعد هذه الروح، ومنها استجابت الحاكم الأموي عمر بن عبد العزيز وإصداره الأوامر برفع سب أمير المؤمنين ﷺ من على منابر المسلمين، وكذلك الضعف الذي دب في أوصال حكم بني أمية، والذي أدى تدريجاً إلى تقويضهم نهائياً.

أما ما ورد في ثنايا رأي الكاتب ﴿صالحي نجف آبادي﴾ من أن علامة قوة بني أمية بعد استشهاد الإمام الحسين ﷺ قد تمثلت بالفتوحات الإسلامية في بخارى وسمرقند واندونيسيا فأن هذا الادعاء غير صالح البتة، ذلك لأن فتح هذه البلدان وان كان صحيحاً قد حصل في زمن حكم بني أمية، لكنه لايدل بحال على قوة بني أمية، وإنما يدل على قوة الإسلام في نفوس المسلمين، وان مسألة فتح البلدان تعد من الأمور التي يتفق عليها جميع المسلمين حتى المعارضين لحكم بني أمية؛ لأنه يدخل في اطارة محاربة الكفار ونصرة الإسلام وتوسيع رقعة الحق، حتى أن بعض حكام

بني أمية كان ينال الدعم من قبل بعض أئمتنا عليهم السلام[1] في مقابل الحكومة الكافرة بالتخطيط لصالح الإسلام وضد الحكم الكافر، فهل هذا يعد قوة لبني أمية، أو دليلاً على قوتهم، أو لا أنه يدل على قوة الإسلام في نفوسهم عليهم السلام.

[النقطة الثانية]

أما ما يتعلق بالنقطة الثانية التي أثارها الكاتب المذكور من أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يعلم بأنه سوف يقتل، وإنما كان عمله منصباً على كيفية تحقيق الانتصار وإقامة الحكم الإسلامي، وكانت الأمارات دالة على إمكانية تحقيق ذلك.

[وجوابه]

فإن الجواب على ذلك يكمن في السؤال التالي وهو: لماذا لم يتجنب الإمام الحسين عليه السلام الشهادة لما يترتب عليها من مضرة كما زعم هذا الكاتب بعد أن تغيرت أمارات الإنتصار وأختل ميزان القوة لصالح عدوه؟.

ألم يكن مقتضى العمل بالعلم الظاهري المكلف به الأئمة عليهم السلام، هو أن يغير الإمام عليه السلام قناعته بإمكانية الإنتصار ويتجنب القتل،وكان ظاهر الأمور أن أناساً طلبوا منه أن يأتي إلى العراق بعد أن بايعوه على النصر ومجاهدة الظالمين، وبذلك تمت الحجة عليه بالمجيء إلى العراق، وقد جاء فعلاً، ولكن تبين له فيما بعد أن الأمور قد تغيرت، وان الناس قد تبين موقفهم منه تحت تأثير سياسة أبن زياد القائمة على الترهيب والترغيب، فلماذا لم يتجنب المواجهة التي فيها قتله وقتل أهل بيته وأصحابه، وسبي نسائه بعد أن تغير ظاهر الأمر؟.

إن الحقيقة قاطعة على أن الإمام عليه السلام كان يعلم بأنه سوف يقتل وتسبى نساؤه، وغير مرة كان قد صارح أصحابه بعاقبة القتل والشهادة، وقد خيرهم

﴿١﴾ كما حصل في دعم الإمام الباقر لعبد الملك بن مروان، في قضية سك العملة الإسلامية. انظر: زين الدين الجبعي العاملي الشهيد الثاني، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ط الثانية سنة ـ، تحقيق وتعليق السيد محمد كلانتر، ج١ص٥١.

بالانصراف عنه، أو البقاء معه واستقبال هذه النتيجة، وعلى هذا الأساس استمر بالمسير إلى العراق رغم علمه بمقتل رسوله إلى الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل، وتغير الأوضاع في الكوفة، ألا يدل هذا على أن الإمام عليه السلام كان يعلم بمصيره؟ وكان يطلبه وقد سعى اليه حثيثاً، إلى ان نال مرتبة الشهادة العظيمة؟ فكان دمه الطاهر ثورة للأجيال منذ استشهاده والى ظهور ولده الحجة ﴿عجل الله فرجه الشريف﴾.

[النقطة الثالثة]

وأما مما يتعلق بنقطة الخلاف الثالثة، وهي اعتقاد الكاتب ﴿صالحي نجف آبادي﴾ من أن ثمة أمورا قد استجدت ولم يكن للإمام عليه السلام علم مسبق بها، أعاقت حركة الثورة وأخلت بميزان القوة لصالح ابن زياد، فسببت خسارة المعركة ظاهرياً للإمام عليه السلام، وقد استدل الكاتب وعلى رأيه هذا بذكر سببين:

الأول: إدعاؤه بأن عبيد الله بن زياد اجبر مسلم بن عقيل على تزعم الثورة عندما جابهه بالسيف في الوقت الذي لم يكن مسلم بن عقيل مكلفاً بتزعم الثورة والتخطيط لها، وإنما كانت مهمته ـ حصراً ـ هي استطلاع الأوضاع في الكوفة وإبلاغ الإمام عليه السلام بالنتائج التي يصل اليها ويشاهدها، لكن هذا التزعم المفاجئ للثورة من قبل مسلم بن عقيل أدى إلى تفجير الثورة قبل أوانها، وكان ذلك سبباً لفشلها وتحمل الإمام الحسين عليه السلام عبأ هذا الفشل.

الثاني: قيام جيش الحر بن يزيد الرياحي بمنع الإمام الحسين عليه السلام من الدخول والى الكوفة والحيلولة دون تزعمه الثورة؛ الأمر والذي أدى إلى حصول انفصال بين القائد والقاعدة الجماهيرية، فتبدلت عندئذ مقاييس القوة والنصر لصالح عبيد الله بن زياد.

وهذا الأمر أيضاً لم يكن في حسبان الإمام الحسين عليه السلام.

[وجوابه]

والجواب على هذين السببين هو أننا وإن كنا نعتبر الواقعتين اللتين ذكرهما الكاتب آنفاً صحيحتين، إلا أننا نخالفه بإدعاء أنهما حدثتا على حين غرة وقد فوجئ الإمام عليه السلام بهما، حيث من أوليات قيادة الثورات توقع القائد إمكانية اندلاع الثورة قبل أوانها أو قبل ساعة الصفر التي تقررت لها، وهذا الاحتمال وارد بنسبة كبيرة بأن السلطات غالباً ما تحرص على مواجهة الثورات مبكراً لجرها للمواجهة قبل اكتمال شروطها، وهذا ما يدعونا للاعتقاد بأن ما حدث لمسلم بن عقيل في الكوفة لم يكن صدفة أو أمر غير متوقع، فالكوفة كانت تحت سلطان بني أمية، والإمام عليه السلام يعلم بذلك، وكان يتوقع حدوث المواجهة بين السلطات وبين رسوله، ولهذا ما انفك الإمام عليه السلام يتابع اخبار ابن عمه ويستبين أموره إلى أن بلغه خبر قتله ـ في منطقة ﴿الثعلبية﴾ في طريقه إلى العراق[1] ـ وانفضاض والناس من حوله، فحزن لذلك حزناً كبيراً، وواصل مسيره معتبراً أن ما حدث لم يكن صدفة وإنما هو أمر متوقع.

وقد سأله بعض أصحابه عن موقفه بعد علمه بمقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، وفيما إذا كان ينوي الرجوع إلى مكة أو الاستمرار بالمسير إلى العراق، فأجابهم الإمام عليه السلام بالاستمرار بالمسير إلى نهاية المطاف. وحتى عندما بلغه خبر مقتل رسوله الثاني إلى الكوفة بعد مسلم بن عقيل ﴿قيس بن سهل الصيداوي﴾ أو ﴿عبد الله بن يقطر﴾ على اختلاف في التاريخ، لم يثنه هذا الحادث أو يضعف من عزيمته، وواصل مسيره إلى العراق بالبقية المخلصة من أصحابه بعد انفضاض نفر قليل عنه، وإجازته ذلك لهم.

إن هاتين الحادثتين، بالإضافة إلى حادثة منعه من دخول الكوفة بعد ان حال جيش الحر بن يزيد الرياحي بينه وبينها ـ وقد شبه الكاتب المذكور هذه الحادثة

﴿١﴾ تلقى الحسين عليه السلام نبأ استشهاد مسلم عليه السلام في زرود، وأما الثعلبية فهي المنزل الذي يلي زرود. انظر: المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص٢٠٨، م س.

بحادثة رفع المصاحف في معركة صفين الذي وقع صدفة ـ إنما تدل على عزيمة الإمام عليه السلام وإصراره على بلوغ هدفه النهائي وهو الشهادة، وكذلك تدل على وضع رؤية الإمام عليه السلام للمواجهة والتحديات والمصاعب.

وقد أمكنه من تجاوزها جميعاً وعدم الاكتراث بها إلا بمقدار ما أبداه من عواطف اتجاه المحن التي لاقته.

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة خطأ آخر وقع فيه وهذا الكاتب عندما صور حادثة منع الإمام عليه السلام من الدخول إلى الكوفة، بأنها مصادفة بحته وتشبه إلى حد بعيد حادثة رفع المصاحف التي صادفت الإمام علي عليه السلام في معركة صفين، حيث أن حادثة منع الإمام عليه السلام من الورود إلى الكوفة لا تشبه بأي حال من الأحوال حادثة رفع المصاحف؛ لأن الحادثة الأولى هي من سنخ الحوادث المتوقعة الواردة في احتمالات المواجهة بين قوة معارضة وبين سلطة تخشى من امتدادات التأثير في أوساط المجتمع والقواعد الشعبية، فيما تعتبر حادثة رفع المصاحف من الحوادث غير المتوقعة في تاريخ الثورات والأحداث السياسية، وبالخصوص بالتاريخ الإسلامي لعدم وجود سابق لها في الإسلام، ولهذا فلا تشابه بين الحادثتين وبين حكميهما.

[النتيجة النهائية]

وفي النتيجة النهائية يتبين أن الكاتب ﴿صالحي نجف آبادي﴾ كان مخطأ في جميع آرائه التي سبقت الإشارة إليها والمتعلقة بالثورة الحسينية.

فيما تعتبر آراء أستاذنا الشهيد الصدر قدس سره هي الصحيحة في تحليل الثورة الحسينية والهدف الذي كانت تتوخاه، والغالية التي ضحى الإمام السبط عليه السلام من أجلها. وكانت هذه الغاية هي الدالة الكبيرة على حكمة القائد وهدفيته في سبيل إعادة الأمة إلى سابق عهدها وشجاعتها وأصالتها بعد أن غزا عقلها وروحها المرض نتيجة المؤثرات الكبيرة التي تعرضت لها من قبل السلطات المنحرفة التي تسلمت زمام التجربة الإسلامية بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكانت شهادة الإمام الحسين عليه السلام علاجاً ناجعاً في تخليص الأمة من مرض ﴿فقدان الإرادة وموت

الضمير﴾، حيث هبت الأمة بعد حين تقارع الظالمين وتنادي بتحكيم الإسلام المحمدي، وظلت هذه الروح سارية إلى يومنا هذا، وستبقى إلى أن يظهر المصلح من آل البيت الإمام الحجة ﴿عجل والله فرجه الشريف﴾[١].

الخلاصة:

ذكر السيد الحائري أن هناك تفسيرين لفلسفة حركة الإمام الحسين، وبعد استبعاده للتفسير الأول الذي اعتبره غير هادف، ذكر أن التفسير الثاني فيه اتجاهان، فناقش الإتجاه الأول الذي يرى أن الإمام الحسين أراد الإطاحة بحكومة يزيد واستبدالها بحكم إسلامي، وأكد أن هذا لم يكن الهدف الحقيقي للنهضة الحسينية، وأما الشعارات التي رفعها الحسين عليه السلام في هذا الإتجاه ــ كشعار التغيير[٢] والإصلاح[٣] ــ فإن السيد الحائري وجهها بالتوجيه الذي طرحه استاذه السيد الشهيد الصدر، ﴿وهو أن الإمام الحسين عليه السلام حينما كان هدفه من الشهادة هو هز ضمير الأمة وشحذ إرادتها، فلا فائدة عندئذ من عنونة عمله بالشهادة فقط؛ لأن عنوان الشهادة لا يكفي بمفرده تحقيق ذلك الهدف، وكان ممكناً أن يقال عنه ذهب لكي ينتحر، أما لو رأت الأمة إنساناً مخلصاً للإسلام كالإمام عليه السلام وقد تحرك نحو هدف إقامة النظام الإسلامي الأصلح، ومن أجل كلمة الله، وقد ضحى بنفسه من أجل هذا الهدف عندئذ تذكر الأمة أن السعي للهدف الذي ضحى من أجله الإمام الحسين عليه السلام يعد من أقدس الواجبات، ويستحق التضحية كما ضحى له الإمام الحسين عليه السلام، ولهذا فالإمام الحسين عليه السلام عندما خرج معلنا الثورة على يزيد أعلن

﴿١﴾ الى هنا انتهى ما أراده السيد الحائري دام ظله.

﴿٢﴾ كما ورد عنه عليه السلام: ﴿ألا وإن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، واحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير﴾. انظر: الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٤ص٣٠٤، م س.

﴿٣﴾ كما ورد عنه عليه السلام: ﴿ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي...﴾. انظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٣٠، م س.

عن هدفه ومبررات خروجه، والغاية التي ينشدها، واتضح من مجموع خطاباته، وأقواله، وبياناته، هو تشييد نظام صالح تقام فيه الشريعة، وتصان فيه الحقوق، ويحكمه الأخيار المنتجبون.

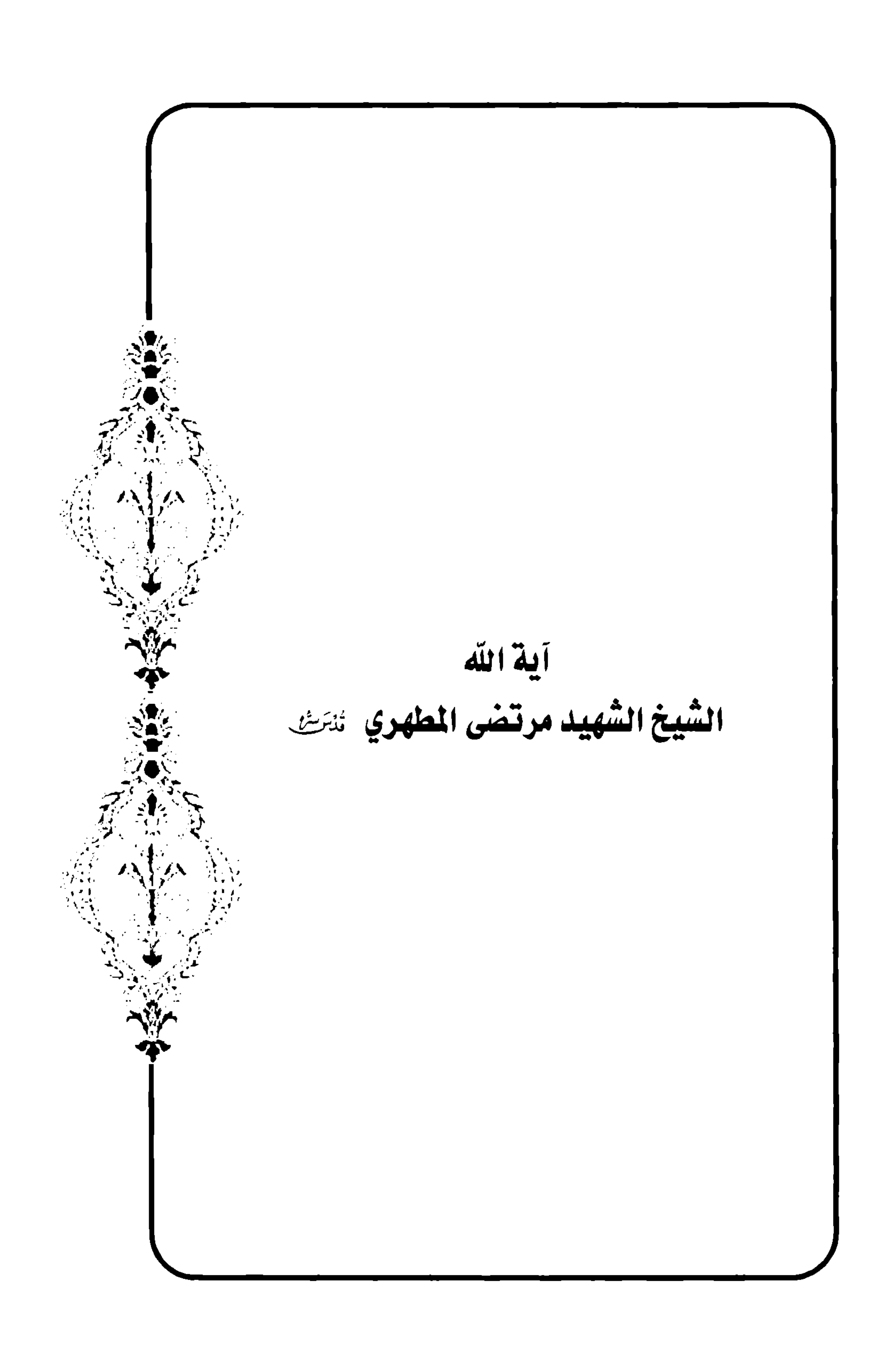
وحقاً إن الإمام الحسين عليه السلام قد خرج من أجل هذه الأهداف، ولكنه كان يعلم مسبقاً بأنه لا يستطيع تحقيقها، وأنه سيقتل وتسبى نساؤه، ومع ذلك خرج ليؤكد مبدأ الشهادة من أجل الأهداف الصالحة، وليهز بذلك ضمير الأمة، ويحرك وجدانها وإرادتها، وهذا ما حصل إذ تحركت الأمة على خطى الإمام الشهيد وحصلت الثورة المعروفة في التاريخ﴾.

وبعد مناقشته لهذا الإتجاه، ذكر أن الإتجاه الثاني يمثله استاذه الشهيد الصدر قدس سره، ﴿ومفاده إن الإمام الحسين عليه السلام خرج وهو يقصد الشهادة ويطلبها وكانت هي غايته النهائية، وكان الهدف منها هو إحداث هزة عنيفة في نفوس المسلمين وضمائرهم، أولئك الذين كانوا مبتلين بمرض ﴿ضعف الإرادة﴾﴿١﴾.

﴿وإن هذه الهزة العظيمة لا تحدث إلا بتضحية عظيمة، وقد رأى أن يكون هو عليه السلام الضحية التي سوف تهز الضمائر، ولم يجد أحداً في الأمة مرشحاً لهذه المنزلة سواه، فأقدم على الشهادة، فكانت شهادته عليه السلام منعطفاً بارزاً وقوياً في وعي الأمة وحياتها، وكان أثرها على النفوس عظيماً حيث تحركت الحياة في الضمائر المريضة، وحدثت الانتفاضات والثورات من بعده إلى أن تقوض حكم بني أمية، وظل دم الإمام الحسين عليه السلام منذ استشهاده والى اليوم محركاً للثورة وملهماً لشيعة آل البيت عليهم السلام في كل حين﴾.

هذا خلاصة ما ذكره السيد الحائري عن هدف الثورة الحسينية، وأنت ترى أنه يتبنى رأي استاذه الشهيد الصدر ولم يضف شيئا عليه ـ على صعيد الأهداف ـ وإنما هاجم الإتجاه الآخر وأسقطه، ودافع عن رأي استاذه وأكده. فكان رأيه مطابقا لسلفه.

﴿١﴾ تقدم هذا المعنى في عرض كلام السيد الشهيد بهذا الصدد.



آية الله
الشيخ الشهيد مرتضى المطهري قدس سره

توطئة:

من الأمور التي اهتم بمعالجتها الشهيد المطهري تَنِئُ العناية بأبعاد النهضة الحسينية، والبحث في جذورها وأهدافها ونتائجها... وكان أغلب ماطرحه في هذا الجانب عبارة عن سلسة محاضرات جُمعت في كتاب ﴿الملحمة الحسينية﴾ بأجزائه الثلاثة.

وما ننقله هنا عن الشهيد المطهري تَنِئُ ـ فيما يرتبط بموضوعنا ـ عبارة عن كراس بعنوان ﴿حقيقة النهضة الحسينية﴾، والظاهر انه عبارة عن محاضرة، فإن الأسلوب يشهد بذلك، ثم انها قررت، وصدرت ككراس، وهو من اصدارات: لجنة الأسبوع الحسيني ـ جمعية الثقافة الإجتماعية، ومن ترجمة صادق البقال.

وعملنا هنا ينصب على تصحيح الأخطاء، والتحقيق، وإضافة بعض العناوين الفرعية، ثم تحليل كلام الشيخ في خلاصة البحث.

والملاحظ هنا أن الشيخ الشهيد يدخل الى النهضة الحسينية من جنبة فلسفية، على ضوء العلل الأربعة[1] التي يمكن من خلالها تفسير مختلف الظواهر؛ بما في ذلك الظواهر الإجتماعية...

﴿١﴾ وهي:

أ. العلة الفاعلة.

ب. العلة الغائية.

ت. العلة المادية.

ث. العلة الصورية.

وسيأتي بيانها من خلال كلام الشيخ تَنِئُ .

واليك نص ما قاله:

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

كما أن للظواهر المختلفة حقائق مختلفة فإن كل نهضة أو ثورة بما أنها ظاهرة لها حقيقة خاصة بها تختلف عن حقائق مثيلاتها.

ولأجل إدراك شيء معين ـ يجب التعرف على علله الفاعلة والغائية، وكذلك الإحاطة بالعلل المادية لذلك الشيء، أي بأجزائه وجزئياته المكونة له، وأيضاً معرفة علتها الصورية وشكله وخصائصه التي حصل عليها في الكل، وتوضيح ذلك كما يأتي:

١. العلل التي أنتجت الثورة أو النهضة والتي توضح حقيقتها تسمى بالعلل الفاعلة.

٢. إن نوع النهضة وأهدافها يشكلان العلل الغائية لها.

٣. والنشاطات والأعمال المنجزة في النهضة هي عللها المادية.

٤. ويكون الشكل الذي أخذته النهضة لنفسها في المجموع العلة الصورية لها.

❁❁❁

أما نهضة الحسين عليه السلام فهل هي وليدة الإنفجار النفسي؟ كماء يغلي في قدر مقفل إذا لم يلقى البخار المتصاعد منه منفذاً للخروج يؤدي إلى انفجار القدر بتأثير ازدياد درجة الحرارة؟.

إن الإسلام اختلف عن بعض النهضات التي جاء نتيجة انفجارات خاصة، فالفكر الدياليكتيكي[2] يوصي بتصعيد التناقضات، وإثارة الإستياء، وتعميق

﴿١﴾ المطهري، مرتضى، حقيقة النهضة الحسينية، ط ـ سنة ـ، اصدار: لجنة الأسبوع الحسيني ـ جمعية الثقافة الإجتماعية، ومن ترجمة صادق البقال، ص٥، وما بعدها.

﴿٢﴾ خلاصة الفكر الديالكتيكي أمور ثلاثة:

الخلافات أكثر فأكثر، وإبداء المعارضة للإصلاحيات الواقعية لدفع المجتمع إلى الثورة بمعناها الإنفجاري لا الثورة الواعية.

إن الإسلام لا يؤمن مطلقاً بمثل هذه الثورة، وقد كانت الثورات أو النهضات الإسلامية كلها وليدة وعي وإدراك كاملين للمواقع الذي جاءت لتغييره، وإن ثورة الحسين عليه السلام لم تكن وليدة الإنفجار، ولم تكن عملاً بعيداً عن الوعي، ولم تنشأ نتيجة نفاذ صبر الحسين عليه السلام بسبب الضغوط الكثيرة التي كانت تمارس من قبل الأمويين وعمّالهم أيام معاوية وابنه يزيد بحيث تؤدي به إلى أن يثور ويقول: فل يكن ما يكن! كلا لم تكن نهضة الحسين عليه السلام بمثل ذلك، ويدل على هذا الرسائل المتبادلة بينه وبين معاوية وأبنه يزيد من بعده. بالإضافة إلى الخطب التي أوردها في مجالات مختلفة خاصة تلك التي خاطب بها أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم مجتمعون في منى[1].

الأول: ان الحقيقة في نمو وتطور يعكس نمو الواقع وتطوره.

الثاني: ان الحقيقة والخطأ يمكن أن يجتمعا، فتكون الفكرة الواحدة خطأ وحقيقة، وليس هناك تعارض مطلق بين الخطأ والحقيقة...

الثالث: ان أي حكم مهما بدت الحقيقة فيه واضحة فهو يحتوي على تناقض خاص، وبالتالي على جانب من الخطأ، وهذا التناقض هو الذي يجعل المعرفة والحيقة تنمو وتتكامل.

انظر: الصدر، محمد باقر، فلسفتنا، ط الثانية ١٤٢٧هـ، اعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ص٢٠٩.

﴿١﴾ جاء في الخطبة: ﴿اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الاحبار إذ يقول: ﴿لولا ينهيهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم﴾. وقال: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل - إلى قوله - لبئس ما كانوا يفعلون﴾. وإنما عاب الله ذلك عليهم؛ لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم، ورهبة مما يحذرون، والله يقول: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾. وقال: ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾. فبدأ الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بأنها إذا اديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك أن الامر

بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام، مع رد المظالم، ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقها. ثم أنتم أيتها العصابة عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وبالله في أنفس الناس مهابة. يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلابها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الاكابر، أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون، فاستخففتم بحق الائمة. فأما حق الضعفاء فضيعتم، وأما حقكم بزعمكم فطلبتم. فلا مالا بذلتموه، ولا نفسا خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله، انتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأمانا من عذابه. لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقمة من نقماته؛ لأنكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بها ومن يعرف بالله لا تكرمون وأنتم بالله في عباده تكرمون، وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون، وذمة رسول الله صلى الله عليه وآله محقورة، والعمى والبكم والزمنى في المدائن مهملة، لا ترحمون، ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعينون، وبالادهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون. وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تشعرون. ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الامناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة. ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات الله، كانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم، واستسلمتم امور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات، سلطهم على ذلك فراركم من الموت، وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم؛ فمن بين مستبعد مقهور، وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقلبون في الملك بآرائهم، ويستشعرون الخزي بأهوائهم، إقتداء بالاشرار، وجرأة على الجبار. في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالارض لهم شاغرة، وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد، وذي سطوة على الضعفة شديد، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد؛ فيا عجبا ومالي لا أعجب والارض من غاش غشوم ومتصدق ظلوم وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا. اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان، ولا التماسا من فضول الحطام، ولكن لنري المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في اطفاء نور

وقد نقل حديث هذه الخطبة بصورة مفصلة في كتاب تحف العقول.. إن الأدلة المشار إليها كلها تبين أن الإمام الحسين ﵇ ثار وهو مدرك كاملاً سبب قيامه، ولم تتدخل في نهضته عوامل الإنفجار النفسي مطلقاً، بل كانت ثورة إسلامية محضة.

والحسين ﵇ إذا نظرنا إلى كيفية تعامله مع أصحابه أثناء عزمه على القيام نرى انه يتحاشا الإستفادة من أي عامل من العوامل التي تؤدي إلى حدوث الإنفجار النفسي والعاطفي، ولا يسمح بأن تنطبع نهضته بالطبع الإنفجاري، من ذلك محاولاته العديدة في مناسبات مختلفة لصرف أصحابه عن الإشتراك معه في نهضته التي كان على علم مسبق بنتيجتها، فكان يكرر عليهم قوله أن لا منافع مادية أمامهم في مسيرتهم تلك، وانه لا ينتظر غير الموت المحتم. وفي ليلة العاشر من محرم نراه ﵇ يمتدح أصحابه فيقول بأنهم خير الأصحاب، ويكرر عليهم بأنه هو المطلوب من الحكم الأموي وليس غيره، ويؤكد لهم بأنهم لو تركوه وحده فلن ينالهم سوء من الأمويين ويخبرهم بين البقاء والذهاب وأخذ أهله لإبعادهم عن الصحراء التي هو فيها﴿١﴾.

نبيكم. وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير. انظر: الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ص٢٣٧، م س.

﴿١﴾ قال المفيد: ﴿جمع الحسين ﵇ أصحابه عند قرب المساء. قال علي بن الحسين زين العابدين ﵇: فدنوت منه لاسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لاصحابه: أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين. أما بعد: فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيرا، ألا وإني لأظن أنه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل، ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا. فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: لمَ نفعل ذلك؟! لنبقى بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبدا. بدأهم بهذا القول العباس بن علي رضوان الله عليه، واتبعته الجماعة عليه، فتكلموا بمثله ونحوه. فقال الحسين ﵇: يا بني عقيل، حسبكم من القتل بمسلم، فاذهبوا أنتم فقد اذنت لكم.

لا نجد زعيماً يريد استثمار استياء وتذمر قومه لدفعهم إلى النهوض والثورة يتكلم بما قاله الحسين عليه السلام لأصحابه. صحيح إن مسؤوليته هو إشعار قومه بأنهم مكلفون شرعاً بالنهوض بوجه الحكم الجائر، وبالتأكد إن مكافحة الظلم والجور من واجب الناس، إلا أنه عليه السلام كان يهدف ان يقوم أصحابه مخيّرين بأداء ذلك التكليف عن طوع إرادتهم غير مرغمين عليه، لذلك نراه يؤكد عليهم باستغلال سواد الليل وترك ساحة المعركة والابتعاد عن العدو الذي لا يرغمهم على القتال إن هم فعلوا ذلك، إنه عليه السلام لا يريد إجبارهم على البقاء معه.

وأكد الحسين عليه السلام على أصحابه أيضا بأنهم في حل من بيعته إن هم أرادوا تركه، ووضعهم أمام ضمائرهم، فإن هم شعروا بأنهم على حق فعليهم اختيار الحق دون إكراه من جانبه عليه السلام او من جانب العدو، إن اختيار شهداء كربلاء الأوائل البقاء مع الحسين عليه السلام بالرغم من تكرار الإمام عليهم لعدة مرات مسألة الذهاب، هو الذي منح هؤلاء الشهداء المنزلة الرفيعة التي هم عليها الآن.

أما في الحرب التي شنها طارق بن زياد ضد الأسبان نراه يبارد فور عبوره

قالوا: سبحان الله، فما يقول الناس؟! يقولون: إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا - خير الاعمام - ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله ما نفعل ذلك، ولكن ﴿تفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا﴾، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك. وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: أنخلي عنك ولما نعذر إلى الله سبحانه في أداء حقك؟! أما والله حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، والله لا نخليك حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أحيا ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا. وقام زهير بن القين البجلي - رحمة الله عليه - فقال: والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرة، وأن الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك. وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا في وجه واحد، فجزاهم الحسين عليه السلام خيرا وانصرف إلى مضربه..﴾ انظر: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الارشاد، ج٢ ص م س٩١، م س.

بأسطوله المضيق، المسمى الآن باسمه، بإعطاء الأوامر لجنده بإبقاء ما يكفيهم من الزاد لأربع وعشرين ساعة فقط، وإحراق الباقي وإحراق سفن أسطوله معها، ثم يجمع الجند والقادة فيقول لهم بأن العدو من أمامهم والبحر من ورائهم والفرار يجعل مصيرهم الغرق، وهم لا يملكون الطعام إلا لسويعات؛ فلا نجاة لهم إلا في قتال العدو والفوز عليه وإبادته.

إن الذي فعله طارق بن زياد هو عمل قائد سياسي، بينما الإمام الحسين ﵇ لم يخوف أصحابه بالبحر والعدو، ولم يرغمهم على دخول الحرب بجانبه، كما أن العدو نفسه لم يكن ليجبرهم على القتال لو أرادوا ترك المعركة، لقد خير الحسين ﵇ أصحابه بالبقاء أو الذهاب دون أي إكراه.

حقاً لقد كانت ثورة الحسين ﵇ قائمة على الوعي والإدراك الكاملين بضرورتها سواء عنده هو أو عند أهل بيته أو لدى أصحابه، ولا يمكن لمثل هذه الثورة ان يقال عنها بأنها وليدة الإنفجار النفسي أو العاطفي مطلقاً، ولمثل هذه الثورة الواعية حقائق وماهيات متعددة ومختلفة وهي ليست أحادية الكنه والحقيقة.

ومن الفوارق الموجودة بين الظواهر الطبيعية والإجتماعية إن الطبيعية منها تكون أحادية الحقيقة فالمعدن الواحد، والذي هو من الظواهر الطبيعية لا يمكن أن يكون ذهباً ونحاساً في آن واحد، ولكن في الظواهر الإجتماعية يوجد احتمال استيعاب الظاهرة الواحدة لعدة حقائق أو ماهيات، والإنسان بذاته هو إحدى العجائب التي يمكن أن تجتمع في حقائق متعددة.

وفي هذا يقول ﴿سارتر﴾ الفيلسوف الوجودي المشهور، بأن وجود الإنسان يسبق حقيقته أو ماهياته، وهو صادق في هذا القسم من كلامه، بالإضافة إلى ذلك فإن الإنسان يمكن أن يمتلك ماهيات متعددة في آن واحد، كأن تكون له ماهية الملاك، وماهية الخنزير، وماهية النمر... كل ذلك في وقت واحد، ولهذا قصة عظيمة في الثقافة والعلوم الإسلامية.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول بأن الظاهرة الإجتماعية، يحتمل أن تكون لها

حقائق وماهيات مختلفة. وثورة الإمام الحسين عليه السلام من هذه الظواهر ذات الحقائق المتعددة؛ لأن عوامل عدة شاركت في اتضاح وتحقيق هذه الثورة، فمثلا هناك ثورة يمكن أن تكون رد فعل على شيء معين، وأن تكون ثورة بدائية في نفس الوقت. وقد تكون الثورة ذات رد فعل إيجابي تيار معين وآخر سلبي بوجه تيار آخر، وقد توفرت كل هذه الحقائق في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهي بذلك نهضة ذات ماهيات متعددة.

[منطلقات الثورة أو العلل الفاعلة]

[العامل الأول]

إن العامل الأول في نهضة الإمام عليه السلام من حيث الزمان كان طلب الأمويين البيعة منه ليزيد. فقد بعث معاوية رسولاً إلى المدينة المنورة بهدف الحصول على بيعة الحسين لابنه يزيد، وأراد بذلك أن يضمن له ﴿أي ليزيد﴾ بيعة المسلمين قبل أن يوافيه الموت. لذ أراد معاوية أن يسن بذلك سنة لكي يتسنى لكل خليفة تعيين الخليفة القادم في حياته، فالبيعة معناها القبول بالخلافة والإذعان بصحتها لذلك بعث يطلب من الحسين عليه السلام البيعة لكي يبارك خلافة ابنه بها.

ولكن ماذا كان رد الحسين عليه السلام على هذا الطلب؟ وطبيعي أن يكون الرد بالرفض، فالحسين سبط الرسول وسيد شباب أهل الجنة والمعروف بالتقوى والزهد وبديهي منه أن يقول ﴿لا﴾ لبيعة يزيد[1].

لقد طلبوا من الحسين عليه السلام أن يبايع لكنه أجاب بالرفض، فهددوه فقال لهم بأنه يفضل أن يقتل على أن يعطي يده لبيعة يزيد. والى هذا الحد تكون نهضة الحسين رد فعل من النوع السلبي على طلب غير مشروع أو بتعبير آخر رد فعل أساسه التقوى وحقيقته نابعة من كلمة ﴿لا إله إلا الله﴾ التي توجب على المؤمن بها والمتقي أن يقول لا أمام كل طلب غير مشروع.

﴿١﴾ تقدم الكلام حول كيفية أخذ البيعة ليزيد.

[العامل الثاني]

إن ذلك الرفض لم يكن العنصر الوحيد للنهضة الحسينية، بل كان بإزائه عنصر آخر يظهر حقيقة النهضة الحسينية بأنها رد فعل من نوع إيجابي في هذه المرة.

ويتوضح هذا العنصر في هلاك معاوية، إذ تعود إلى أذهان أهل الكوفة ذكريات مضت عليها عشرون عاماً، فتتجسد أمام أعينهم حكومة علي عليه السلام في تلك الفترة، وفي هذه المدينة، فها هي آثار تعاليمه وتربيته ما زالت ماثلة، ولو أن الكثير من أصحابه قد شملتهم التصفيات الأموية وبالأخص العديد من رؤوس هؤلاء ورجالاتهم البارزين من أمثال حجر بن عدي، وعمر بن حمق الخزاعي، ورشيد الهجري، وميثم التمار، فلقد قضى الأمويون على كل هؤلاء بهدف إخلاء المدينة من فكر علي عليه السلام ومن مشاعر علي وأحاسيسه، ولكن ما زالت هناك آثار تعاليم علي عليه السلام باقية، بحيث سرعان ما يهلك معاوية يجتمع أهل الكوفة فيتفقون على رفض تقديم الخلافة إلى يزيد، ويقولون: ما زال الحسين عليه السلام موجوداً؛ فلنوجه له الدعوة، ولنستعد لنصرته حتى يقدم إلينا ليقيم الخلافة الإسلامية. إنهم يوجهون الكتب إلى الحسين عليه السلام وكلها تشير إلى استعداد القوم التام للترحيب بمقدمه، تستعد الكوفة، مقر جيش المسلمين، لاستقبال الحسين عليه السلام فلم يكن الذين دعوه شخصاً واحداً أو شخصين او عشرة.. ما وصلته ثمانية عشر ألف رسالة احتوت كل رسالة منها على تواقيع العديد من الأشخاص وصلت إلى عشرين توقيع في بعض الرسائل. وهذا يجعل مجموع الذين دعوا الحسين عليه السلام في حدود المئة ألف شخص، فما عساه أن يفعل أمام كل هذه الدعوات، لقد أتموا الحجة عليه، هذا هو رد الفعل الإيجابي، وحقيقة حركة الإمام حقيقة متوازنة، أي إن أعدادا من المسلمين بدأوا هذا العمل وعلى الحسين عليه السلام أن يعطيهم الرد بالإيجاب.

كان الواجب في البداية يحتم على الإمام الحسين عليه السلام ان يعلن رفضه القاطع لبيعة يزيد، وأن يجنب نفسه الطاهرة من ذلك الدنس الذي أرادوا تلويثه به، لذلك فلو أنه عليه السلام كان يقبل باقتراح ابن عباس ويلجأ إلى جبال اليمن للعيش فيها لكان يصبح بعيداً عن أن تطاله أيدي عساكر يزيد، ولكان أيضا قد أدى الواجب

الأول.

إن تقوى الإمام عليه السلام كانت توجب عليه ان يرفض تقديم البيعة ليزيد، وكان من الممكن أن يتحقق الرفض باختياره عليه السلام الذهاب إلى جبال اليمن، الشيء الذي أقترحه أبن عباس وغيره عليه، وكان ذلك كافياً لأداء الواجب والملقى على عاتقه، ولكن وبما أن المسألة هنا تتعلق بالدعوة الموجهة اليه عليه السلام من قبل ما يربو على المئة ألف شخص مسلم، وهذا يشكل واجباً جديداً على الحسين عليه السلام الالتزام بأدائه، لذلك كان لزاماً على الإمام أن يلبي الدعوة ويتم الحجة ولو أن الحسين عليه السلام كان منذ الوهلة الأولى لحركته يعلم بأن أهل الكوفة ليس لديهم الإستعداد، وانهم أناس خاملون ويستولى عليهم الخوف، لكنه كان يرى نفسه مسؤولاً بأن يعطي للتاريخ الجواب الصحيح، فلو أنه عليه السلام كان يترك أهل الكوفة لحال سبيلهم دون أن يرد عليهم لأصبحنا نحن اليوم نقف معترضين عليه بالقول: لماذا لم يجب الحسين هؤلاء.

كان يجب أن يتحمل أهله جزءا من أعباء الثورة في نقل نداء الحسين عليه السلام، فاختار هو أن تكون القضية أشد إثارة وحرارة ما زال الأمر وصل إلى ذلك الحد، وكان الهدف هو أن يكون غرس الثورة غرساً مثمراً ويستمر في الإثمار الدائم لكي يعم خيره العالم أجمع. فأية مشاهد رأت كربلاء؟ وأية ساحات ظهرت في كربلاء؟ انها جميعا مثارٌ للعجب، وباعث على الحيرة والدهشة.

[العامل الثالث]

لقد ذكرنا سابقاً ان دعوة أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام للقدوم إليهم وتولي مقاليد أمور البلاد هناك، كانت تشكل العامل التعاوني في نهضته عليه السلام، أما طلب الأمويين من الإمام تقديم البيعة ليزيد بن معاوية فكان يشكل العامل الدفاعي لتلك النهضة، وقلنا إن الحسين عليه السلام إنبرى لمقارعة السلطة الجائرة التي كادت ان تجري العالم الإسلامي إلى الفساد الشامل، وتَحَمّل عليه السلام مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواجهة تلك السلطة، وكان هذا الأمر هو العامل الهجومي

لثورة الإمام ﵇.

[التفاعل بين العوامل الثلاثة]

فَلنَرَ الآن أياً من هذه العوامل الثلاثة[1] يشكل الأهم والأكثر قيمة في نهضة الحسين ﵇ بديهي أن كل عامل من العوامل الثلاث يختلف عن مثيله من حيث القيمة والأهمية، وبقدر ذلك يضفي أهمية وقيمة على النهضة المعنية في هذا المكان، فتلبية الإمام ﵇ لدعوة أهل الكوفة لها أهميتها وقيمتها الخاصة بها، وكذلك العوامل الأخرى لها الأهمية والقيمة الأكبر بحسب ترتيبها وأثرها في النهضة الحسينية، فالعامل الثالث أضفى على الثورة الحسينية أهمية وقيمة أكبر وسنتحدث عن ذلك.

ان من العوامل ما يضفي قيمة على نهضة معينة لها دخل في إيجادها، كما ان رائد النهضة أيضا له تأثير في قيمة العامل نفسه، فالإنسان يعرف كثيرا من الأشياء التي لها قيمة لديه، فالزينة هي قيمة لديه كما ان المجوهرات يعتبرها الإنسان ذات قيمة أيضاً. ومن الأمور المعنوية والمادية في العلم ما هو زينة للبشر، ومما لا ريب فيه ان الجاه والسلطان وبالأخص المناصب الإلهية تشكل زينة للإنسان وفخراً له وقيمة، وحتى الأشياء المادية الظاهرية التي تدل على هذه القيمة تفضي هي بدورها قيمة على الإنسان أيضاً. فمثلاً يرتدي الفرد لباس عالم الدين الروحاني ﴿وطبيعي ان اللباس لا يدل على روحانية الشخص ذاتاً، أي لا يدل على أنه قد كسب العلوم والمعارف الإسلامية وحاز على درجة من التقوى﴾، فالروحاني هو الإنسان العارف بالعلوم والمبادئ الإسلامية، العامل بالتعاليم التي نص عليها الإسلام، وارتداء لباس الروحانية يضفي على المتزيي به الطابع الذي ذكرناه، أي معرفة صاحبها

﴿١﴾ وهي:

١. رفض البيعة.

٢. ودعوة أهل الكوفة.

٣. والإندفاع نحوالإصلاح تطبيقا لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بالإسلام والعمل بتعاليمه. كذلك يكون المرتدي لهذا اللباس محطاً لاحترام وتقدير الآخرين[1]، ولهذا يكون اللباس موضع فخر صاحبه، كما ان لباس أستاذ الجامعة يفتخر به الأستاذ، وكما ان المجوهرات تضفي الزينة على المرأة.. وغير ذلك...

وفي الثورات أيضاً هناك من العوامل ما يضفي القيمة عليها. ولهذا نشأ الإختلاف المعنوي بين ثورة وأخرى، فمنها ما هو خاوٍ من المعنويات وتتميز بطابع التعصب او بأنها مادية بحتة وهذه لها قيمتها الخاصة بها، وإذا امتازت نهضة بالروح المعنوية والإنسانية والإلهية فلها قيمة متميزة عن الأخريات.

فالعوامل الثلاثة المذكورة والتي تدخلت في إيجاد النهضة الحسينية قد أعطت لها أهمية وقيمة، وعلى الخصوص العامل الثالث، ويحصل أحياناً ان يضفي الشخص الذي له علاقة بقيمة معينة في نهضة معينة، أن يضفي هو قيمة على هذه النهضة، أي يضفي على القيمة قيمة وأهمية خاصة، فكما تكون لقيمة العامل أثر في قيمة الشخص فأنه هو ﴿أي شخص﴾ أيضاً يرفع من هذه القيمة، فأحياناً يكون لباس الروحانية او لباس أستاذ الجامعة زينة وقيمة لصاحبه وفخراً، وقد يكون صاحب اللباس هو الزينة والفخر للّباس لما يمتاز به من فضل وتقوى وعلم..

إن صعصعة بن صوحان كان أحد الأفراد الذين تربوا على يدي علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان مشهوراً بالخطابة والفصاحة، وشهد بفضله الأديب المعروف ﴿الجاحظ﴾. إن هذا الشخص حينما أراد أن يهنئ الإمام علي عليه السلام بالخلافة قال شيئاً لم يقله المهنئون الآخرون، فقد قال في تهنئته للإمام عليه السلام: ﴿يا علي أنت زنت الخلافة، وأنت فخر لها، وهي لم تزنك ولا زادتك فخراً، فالخلافة احتاجتك دون أن تحتاج أنت إليها، وإني مهنئ الخلافة؛ لأن اسمك يا علي اقترن بها، ولا اهنيك لأنك أصبحت الخليفة﴾[2].

﴿١﴾ من حيث المبدأ.

﴿٢﴾ ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم، اسد الغابة، ط ـ سنة ـ، منشورات: اسماعيليان ـ طهران، ج٤ص٣٢.

لذلك كله نرى بأن عنصر او مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد اضفى قيمة على الثورة الحسينية، وإن الإمام الحسين عليه السلام قد رفع من شأن المبدأ بدمه الزكي ودماء أهل بيته وأصحابه الطاهرين عليهم السلام.

هناك الكثير ممن يدعون التصدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحسين عليه السلام هو أيضاً قال كلمته المشهورة: ﴿أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي..﴾[1]. إن مثل ذلك مثل الإسلام فقد يكون [الإسلام] فخراً للكثير من الناس، ولكن هناك مسلمون أيضاً ممن يفتخر الإسلام بهم ويعتز، وما الألقاب التي حظى بها البعض من مثل ﴿فخر الإسلام﴾، و﴿عز الدين﴾، و﴿شرف الدين﴾ إلا دلائل لهذا المعنى، فأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وأبن سينا.. هؤلاء رباهم الإسلام فأصبحوا فخراً له.

إن الإسلام ليعتز بأبناء رباهم فأصبحت الدنيا تحسب لهم حساباً؛ لأنهم تركوا آثارا جلية في حضارة الدنيا، وثقافتها. فالعالم لا يستطيع التنكر للخواجة نصير الدين الطوسي؛ لأنه مدين لهذا الشخص بقسم من الإكتشافات الخاصة بالقمر. إن الحسين بن علي عليه السلام يمكن أن يقال عليه بأنه أضاف ـ بحق ـ قيمة على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحين نقول بأن هذا المبدأ يرفع من قيمة المسلمين وأهميتهم فإننا لا نأتي بحديث من عندنا، بل عن ذلك جاء في صريح القرآن الكريم إذ يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾[2]، فانظروا أية عبارات جاء بها القرآن، والإنسان حين يدقق فيها تصيبه الحيرة والدهشة، إن الذي يضفي القيمة على هذه الأمة الخيرة هو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكن في النهضة الحسينية نلاحظ ان الإمام الحسين عليه السلام هو الذي شرّف هذا المبدأ بدمه الزكي الطاهر ودماء أهل بيته وأصحابه الميامين. أما نحن المسلمون

﴿١﴾ الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٣٠، م س.

﴿٢﴾ آل عمران: ١١٠.

فبالإضافة إلى عجزنا في إيفاء حق هذا المبدأ الواجب، نحاول أن نكون شيناً عليه، ومما يثير الأسف أن الناس تعودوا على الالتفات إلى القضايا البسيطة التي يمثلها هذا المبدأ، مثل الأمر بإطلاق اللحى، والنهي عن لبس والذهب.. ونسوا الأمور الكبيرة الهامة التي تكون ضمن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهكذا يكون المسلمون شيناً على هذا المبدأ بالتزامهم بالقضايا البسيطة ونسيانهم أو تجاهلهم للقضايا المصيرية الهامة، كما يفعل البعض في تظاهرهم بالإلتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التزاماً لا يتجاوز التوافه من الأمور، ولكن أنظروا إلى الحسين عليه السلام الذي اهتم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وثار لأجل تحقيق هذا المبدأ في كل مجالات الحياة صغيرها وكبيرها، إنه كان يقول بأن يزيداً هو أول منكر يجب أن يزول من عالم الإسلام، ويقول أيضاً بأن إمام المسلمين وقائدهم هو ذلك الذي يعمل بكتاب الله، ويقيم العدل، ويدين بدين الحق[١]. لقد ضحى الإمام الحسين عليه السلام بكل ما يملك في سبيل هذا المبدأ وتحقيقه، لقد أضفى الإمام عليه السلام زينة على الموت في سبيل هذا المبدأ وشرفه ووهبه الشموخ والعظمة، فمنذ خروجه من المدينة المنورة كان يتحدث الإمام عن الموت الشريف العزيز، الموت الجميل ما أروع هذا التعبير، وما كل ميتة جميلة، بل إنه الموت في سبيل الحق والحقيقة والعدل، إن موتاً هكذا يشبه القلادة الجميلة التي تزين جيد الفتاة[٢]، وكان الإمام عليه السلام يردد ابياتا من الشعر وهو في طريقه إلى الإستشهاد، فكان يقول ما مضمونه: ولو أن الحياة كثيرة العذوبة والجمال ولكن الآخرة أكثر جمالاً وعذوبة منها. وإذا كان الإنسان سيترك في النهاية ما يملك من مال ويذهب فالخير يأتي في

﴿١﴾ هذا المضمون ورد في رسالة الحسين عليه السلام التي بعثها مع مسلم عليه السلام حيث جاء فيها: ﴿ولعمري ما الامام إلا العامل بالكتاب القائم بالقسط الداين بدين الحق الحابس نفسه في ذات الله...﴾. انظر: ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، مثير الأحزان، ص١٦، م س.

﴿٢﴾ خطب عليه السلام ـ بحسب الرواية ـ ليلة التروية فقال: ﴿... خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة﴾. وقد تقدمت الخطبة بكاملها. انظر: ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، مثير الأحزان، ص٢٩، م س.

إنفاق المال لا الاحتفاظ به، فلماذا ولا يفعل الإنسان الخير؟ ولو كان مصير هذه الأبدان الفناء، فلماذا لا يموت الإنسان ميتة حلوة جميلة؟ وإن موت الإنسان بالسيف في سبيل الله، لأعظم وأجمل من كل شيء﴿١﴾.

وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن أبو سلمة الخلال الذي كان شخصاً يلقبه الناس بوزير آل محمد في بلاط بني العباس، نراه حين تسوء علاقته بالخليفة العباسي، حيث قتل بسبب ذلك سريعاً، نراه يبعث فوراً برسالتين إحداهما إلى الإمام جعفر الصادق ﷺ والأخرى إلى محمد بن عبد الله المحض، ويدعوهما في آن واحد قائلاً: لقد كنت وأبو مسلم لحد الآن نعمل من أجل هؤلاء ﴿يعني بذلك بني العباس﴾ ونريد منذ الساعة ان نعمل لكما، فلو كان لديكم الإستعداد، فاننا سنقضي على هؤلاء.

إن الدلالة الأولى المستخلصة من هذه الرسالة هي أن صاحبها ينقصه الإخلاص؛ لأنه كتب رسالته إلى شخصين وذلك بعد أن ساءت علاقته بالخليفة العباسي.

وحالما يتسلم الإمام الصادق ﷺ هذه الرسالة نراه يحرقها أمام الرسول الذي سأل الإمام: ما هو جوابك؟ فيرد عليه الإمام بأن الجواب هو نفس ما رأى أمام ناظريه!

وقد قتل العباسيون أبا سلمة قبل أن يتمكن من الإلتقاء برسوله، ومع هذه الحالة نرى ألسنة الإعتراض تمتد لتسأل الإمام لماذا لم يرد على ﴿الخلال﴾ الذي

﴿١﴾ روى هذه الأبيات أغلب الذين كتبوا عن النهضة الحسينية، وهي:

لئن كانت الدنيا تعد نفيسة	فإن ثواب الله أعلى وانبل
وان كانت الابدان للقتل انشئت	فموت الفتى في الله اولى وافضل
وان كانت الارزاق قسما مقدرا	فقلة حرص المرء في الكسب اجمل
وان كانت الاموال للترك جمعها	فما بال متروك به المرء يبخل

انظر: م ن، ص٣٢.

دعاه إلى النهوض في رسالته، ولماذا قام عليه السلام باعطاء رد سلبي عليها؟ في حين أن أبا سلمة لم يكن يخلص النية في رسالته، وأنه كتبها ساعة وقوع الخلاف بينه وبين الخليفة العباسي الذي أيقن بأن لا إخلاص يرتجى بعد من الخلال، لذلك نراه يقوم بقتله بعد أيام قليلة..

وبالرغم من هذه الأمور فإن الحسين عليه السلام لو كان هو أيضاً يمتنع من الرد على كل تلك الرسائل لأصبحت الدنيا تقف بوجهه معترضة، ولو أن الإمام كان يذهب تلبية لتلك الدعوات لأجتث بذهابه جذور يزيد وأمثال يزيد، أو تقول بأن الحسين عليه السلام ترك أهل الكوفة، الكوفة التي تشكل معسكر المسلمين، وفيها أولئك الرجال الشجعان الذين كان علي عليه السلام خليفة عليهم لخمس سنوات، الكوفة التي ما زالت تحتضن الأيتام الذين رباهم علي عليه السلام، وفيها النساء الأرامل اللواتي كان علي عليه السلام يشملهن برعايته وعطفه، وما زال صوته فيها يدوي في آذانهم. فكيف خشي الحسين عليه السلام ولم يذهب إلى هؤلاء؟ وكان يمكن في ذهابه أن تنجح الثورة. إن هذا هو ما جعل الأمر واجباً، ولذلك يعلن الإمام استعداده حين يلمس الإستعداد عند أهل الكوفة، ومن هذه الزاوية بالذات وليس من الزاوية السابقة.

وهناك رأي ثالث سنتطرق إليه فيما بعد. لقد دعى أهل الكوفة الإمام عليه السلام فما هو واجبه إذن؟ عليه ان يلبي الدعوة ويذهب ما زال أصحاب الدعوة مصرين على دعوتهم، نعم على الإمام أن يرد بالإيجاب عليهم.

فَلنَرَ في الأمرين التاليين أيهما يتقدم على الثاني، وهو أن الإمام الحسين عليه السلام امتنع عن تقديم البيعة ليزيد أولاً، ثم بعث له أهل الكوفة يدعونه للقدوم اليهم؟ أو في الأقل لم يكن كذلك من حيث الزمان، فهل كانت القضية بالعكس بحيث أن أهل الكوفة كانوا قد دعوا الحسين عليه السلام ثم جاءت قضية البيعة؟ فأي من هذين الأمرين حصل أولاً في الحقيقة؟ من البديهي أن الأول هو المتقدم؛ لأن طلب البيعة كان مباشرة بعد هلاك معوية.

إن قضية البيعة كانت متقدمة من حيث الزمان على الدعوة الموجهة من أهل

الكوفة، إذ أن الرسول الذي أوصل خبر هلاك معاوية إلى والي الأمويين في المدينة، جلب معه في نفس الوقت رسالة أخرى تضمنت طلباً لأخذ البيعة من الحسين بن علي عليه السلام ومن أشخاص آخرين، ومن المحتمل ان أهل الكوفة لم يكونوا بعد قد علموا بموت معاوية في هذا الوقت، كما يثبت ذلك التأريخ أيضاً، إذ يذكر لنا إن بني أمية طالبوا الحسين عليه السلام بالبيعة وأنه امتنع عن تقديم البيعة لهم، ومضت على هذا الأمر أيام حتى اضطر الإمام نتيجة للضغوط ان يترك المدينة، وان يبدأ حركته منها في السابع والعشرين من شهر رجب، ويصل مكة في الثالث من شهر شعبان، فوصلته دعوة أهل الكوفة في الخامس عشر من شهر رمضان المبارك[1] أي تقريباً بعد شهر ونصف من مطالبة بني أمية إياه بالبيعة ليزيد وامتناعه عن الإجابة لذلك الطلب، حيث ان الإمام لبث في مكة أربعين يوماً، وبناء على ذلك فإن الحسين عليه السلام لم يرفض تقديم البيعة بسبب دعوة أهل الكوفة له قبل ان يطلب الأمويون منه ذلك ليزيد، بل انه أعلن بكل صراحة بأنه لن يبايع يزيد حتى ولو ضاقت به الأرض كلها. فهذا هو العامل الثاني لنهضة الإمام عليه السلام.

وثالث عامل [في] هذه النهضة هو واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد بدأ الإمام عليه السلام حركته من المدينة المنورة وهو يهدف القيام بهذا المهم[2]، فحتى لو يطلب منه مبايعة يزيد ولم يطالبه أهل الكوفة بالقدوم إليهم لمبايعته فانه كان يرى من واجبه النهوض لأداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الفساد كاد ان يعم العالم الإسلامي آنذاك.

ففي القضية الأولى ينحصر الأمر في شخص الإمام عليه السلام إذ يحاول الدفاع

﴿١﴾ الصحيح أن دعوة أهل الكوفة للحسين قبل ذلك، بقرينة أن الحسين عليه السلام بعث مسلم بن عقيل عليه السلام الى العراق في ١٥/رمضان، فلابد أن تكون دعوة أهل الكوفة قبل هذا التاريخ، خصوصا بعد أن نسمع بأن أهل الكوفة ألحّوا على الإمام عليه السلام فبعث مسلما ليستطلع الأمر. نعم كان رفض الحسين لبيعة يزيد قبل قبوله دعوة أهل الكوفة، لأنه رفضها في المدينة، ثم انتقل الى مكة، فجاءته كتب الكوفيين. فتأمل.

﴿٢﴾ كذا في المصدر، ولعل الصحيح: بهذه المهمة.

عن نفسه ويرفض تقديم البيعة، والقضية الثانية يبدي الإمام فيها التعاون، وفي الثالثة يأخذ الحسين عليه السلام موضع الهجوم ويتعرض لحكومة زمانه، فهو إنسان ثائر على السلطة في هذه الحالة.

إن كل واحد من العوامل المذكورة كان ينطوي على واجب معين للحسين عليه السلام، وعندما نقول بأن نهضة الإمام الحسين عليه السلام متعددة الحقائق فإن سبب ذلك هو أن الإمام عليه السلام كان واجبه الأول تجاه موضع البيعة هو الرفض، ولو اختار ما أشار عليه ابن عباس من الذهاب إلى جبال اليمن لتحقق الرفض في ذهابه، ففي أدائه عليه السلام لهذا الأمر لم يكن من واجبه ان يطالب أحداً بالتعاون معه، أما بالنسبة للدعوة التي وجهها أهل الكوفة اليه فكان من واجبه الإستجابة لهم طالما هم بقوا على قولهم، وإذا نكثوا فلا شيء عند ذلك يلزم الحسين عليه السلام أمامهم، وتنتفي مسألة الخلافة في مثل هذه الصورة، ويسقط الواجب عن الإمام عليه السلام، ولكن لماذا استمر الحسين عليه السلام مع ذلك في السير في هذا الطريق؟ إن هذا يدل على أن واجب الإمام عليه السلام لم يكن ينحصر في قضية الخلافة، فالدعوة التي وجهها إليه أهل الكوفة كانت عاملاً مؤقتاً،إذ سرعان ما وصله نبأ مقتل ابن عمه مسلم الذي بعثه رسولاً إلى أهل الكوفة.

وفي طريقه لاقى الحر بن يزيد الرياحي فانتفى بذلك موضوع أهل الكوفة، ومن هنا فلا تكليف على الإمام عليه السلام. وقد خاطب أهل الكوفة بقوله إنه قدم إليهم تلبية للدعوة التي وجهوها له، كما أكد لهم بأنه سيعود إن هم رفضوه، ولا يدل هذا إنه سيعود لتقديم البيعة ليزيد، لقد خاطب الإمام أهل الكوفة بقوله إنه لو ضاقت به الأرض كلها فإنه لن يبايع يزيد، فهو لالتزامه بأداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد جعل نفسه في موضع المهاجم وليس المدافع او المتعاون، أي انه إنسان ثائر وله حسابه الذي يستحقه.

[خطأ فادح]

إن إحدى الأخطاء التي وقع فيها مؤلف كتاب ﴿الشهيد الخالد﴾[1] هو أنه أعطى أهمية زائدة عن الحد إلى عامل ﴿دعوة أهل الكوفة﴾، وكأنه العامل الرئيسي في نهضة الإمام الحسين ﷺ، والحقيقة إن هذا العامل كما ذكرنا لم يكن الأهم، بل كان العامل الأصغر من حيث التأثير، فلو صح اعتباره العامل الرئيسي لكان على الإمام ﷺ بعد أن ثبت له عدم جدوى موضع أهل الكوفة أن يتخل عن كلامه، ويستعد لتقديم البيعة، ويترك الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لقد كان الأمر الواقع بالعكس، إذ أن أكثر الخطب حماسة وثورية وإثارة ألقاها الحسين ﷺ بعد سقوط الكوفة بيد الأمويين، وهنا يثبت الإمام ﷺ أنه يعمل كما يقتضي منه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانه يعتبر ذلك دافعه للهجوم، يعتبره أمراً ثورياً موجهاً لسلطة ذلك الوقت.

وكان الإمام الحسين ﷺ يسير في طريقه إلى العراق فصادفه رجلان قادمان من الكوفة فاستوقفهما للتحدث إليهما ولكنهما حين عرفا بأنه الحسين ﷺ حرفا سيرهما وانصرفا دون التحدث إليه. فعرف الإمام بأنهما لم يرغبا في التحدث. وفي هذه الأثناء يأتي أحد أصحاب الحسين ﷺ الذي كان قد التقى بالرجلين اللذين حدثاه عن استشهاد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، واخبراه بأنهما استحيا ان يُعلما الإمام بذلك، فيخبر هو الحسين ﷺ بسقوط الكوفة بيد الأمويين، ومقتل مسلم وجره في أزقة الكوفة جسداً بلا رأس. وما أن يسمع الإمام الحسين ﷺ هذه الجملة الأخيرة حتى تغرورق عيناه بالدمع ويأخذ بترديد الآية الكريمة:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ...﴾[2] وليس هناك ما يناسب هذا المقام غير هذه الآية الكريمة.

أراد الإمام ﷺ أن يثبت للناس بأنه لم يأتِ من أجل الكوفة فقط، فلو

﴿١﴾ مر ذكره والتعليق عليه في محاضرة السيد الحائري.

﴿٢﴾ الأحزاب: ٢٣.

سقط هذا المصر فليكن ما كان؛ لأنه لم يبدأ حركته بدافع الدعوة التي وجهت إليه من قبل أهل الكوفة فقط، بل إن هذه الدعوة كانت إحدى عوامل الحركة نحو الكوفة، وأكد الحسين عليه السلام بأنه مكلف بواجب أهم وأكبر، فإن استشهد مسلم بن عقيل، فقد أوفى هو بوعده ومضى مؤدياً ما عليه، وعلى الإمام عليه السلام ان يتابع نفس المسير.

ولأن الإمام عليه السلام كان قد أتخذ موضع الهجوم على السلطة الأموية وتابع هذا الطريق الثوري، لذلك فإن منطقه يتميز عن منطق المدافع او المتعاون، فمنطق المدافع لا يتعدى الحفاظ على ما يملك، فإذا هاجمه اللص لأخذ هذا الشيء الثمين منه يصده عن ذلك، وقد يسقطه أرضاً، ولكنه حالما يسترد حاجته من اللص يهرب بها حتى لا يأخذها اللص ثانية، بينما الإنسان المهاجم يرمي إلى القضاء على الخصم حتى ولو أدى الوصول إلى هدفه القضاء على حياته. إن منطق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو منطق الحسين عليه السلام.. منطق الشهيد وطريقه الذي آلى أن يسير فيه.

إن منطق الشهيد يحمله من يريد إيصال ندائه إلى مجتمعه، هذا النداء الذي لا يريد ان يسطره إلا بدمائه، فكثير من الناس ممن كانوا يريدون أن يوصلوا ندائهم إلى الآخرين، فنحن نشاهد هنا وهناك في أطراف الدنيا وأكنافها آثاراً وحفريات قد خلفها فلان الملك أو فلان الرئيس، فأحياناً تخرج لنا عند التنقيب صخرة كتب عليها مثلاً: أنا فلان بن فلان، أنا الشخص الفلاني الذي فتح المكان الفلاني، أو أننا الذي فعلت كذا وكذا في المكان الفلاني، أو أنا الذي عشت كذا سنين في الدنيا، وتزوجت بعدد كذا من النساء، او كم عشت رغداً في هذه الدنيا، وأنا... وأنا...وكم... وكم، فمن هذا النوع من الكلام كثير، وقد نقشوه على الصخور حتى يكون محفوظاً من الزوال، وهذه العبارات يغطي عليها التراب بعد أعوام طويلة، وبعد آلاف من السنين تخرج من التراب لكي توضع في المتاحف، وتحفظ فيها، وتبقى تراثاً للأجيال القادمة. أما الحسين عليه السلام فقد سجل نداءه المسطر بدمائه الزكية على صفحة الهواء

الأبدية الإهتزاز، وقد نقش هذا النداء في قلوب الناس؛ لأنه كان مقروناً بالدم، فثبت في القلوب بلونه الأحمر القاني، فقلوب الملايين من الناس عرباً كانوا ام عجماً، من الذين فهموا نداء الحسين ﵇، حين تسمع الإمام يردد هذه العبارات، تدرك نداءه إذ يقول: ﴿إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما﴾[١]، أي إن الموت لمن يعيش في ظل والظلم والجور، ولا يحصل من دنياه على غير الأكل والشرب والنوم فقط، وتحت ثقل الذل والهوان، ان الموت خير لهذا الإنسان من هذه الحياة المهانة بآلاف المرات. هذا هو النداء، نداء الشهيد!.

لقد اختار الحسين ﵇ موضع الهجوم على سلطة زمانه، وكان منطقه منطق المتسابق على الشهادة، لقد أراد أن يبين للعالم أجمع هذا الرفض وهذا المنطق من صحراء كربلاء، ولم يكن في حينه لدى الإمام ﵇ لا قلم ولا قرطاس ليكتب نداءه، ولكنه سجل النداء على صفحة الهواء الدائمة الإهتزاز، ولقد خلد هذا النداء؛ لأنه أنتقل من صفحة الهواء إلى صفحة القلوب، وأصبح عليها كالنقش لا يمحى إلى أبد الدهر، ففي كل عام وكلما يحل شهر محرم الحرام نرى الإمام الحسين ﵇ يبرز علينا نوره كالشمس الطالعة، وتحيى ذكراه من جديد، ويرن نداؤه في الآذان إذ يقول: ﴿خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أوهلني إلى أسلافي،اشتياق يعقوب إلى يوسف﴾[٢]، وكذلك قوله ﵇: ﴿ألا وان الدعي بن الدعي قد ركز بين إثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت﴾[٣]، ويعني الإمام ﵇ بهذا الكلام ابن زياد الذي بعث اليه يخبره بين السيف أو الاستسلام الذليل، فأين الحسين ﵇ من الإستسلام؟ هيهات فالله يأبى له ذلك ورسوله والمؤمنون.

هذا هو نداء الشهيد، إنه يدوي في الآذان، ما بقي الدهر، بأن الله ورسوله

﴿١﴾انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٤٨، م س.

﴿٢﴾ انظر: ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، مثير الأحزان، ص٢٩، م س.

﴿٣﴾ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول، ص٢٤١، م س.

والمؤمنين لا يقبلون الذلة أبداً للعبد التقي المؤمن. فستتكلم الأجيال وسيتناقل المؤمنون نبأ مقاومة وصمود الحسين ﷺ، فلا أحد منهم سيرضى لو تنازل واستسلم، فكيف يستسلم ويخضع للدعي ابن الدعي ابن زياد، هيهات ألف هيهات فقد تربى سبط الرسول ﷺ في حجر الزهراء عليها السلام الطاهرة، ورضع ذلك الثدي الزكي، فكيف يستسلم للذل من هذه صفاته.

وكان ﷺ حين غادر المدينة متخذا رفض البيعة ليزيد سلاحه للهجوم على السلطة الجائرة في زمانه قد كتب وصيته لأخيه محمد بن الحنفية وهو يقول فيها: ﴿ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي...﴾[1].

في هذا المنطق الرافض المهاجم، منطق الشهادة، منطق نشر الثورة وتعميقها، نجد التبرير لأعمال قام بها الحسين ﷺ، ولا نجد في غير هذا المنطق أي مسوغ لهاتيك الأعمال.

وفي رسالته إلى أخيه محمد بن الحنفية نجد ذكر طلب البيعة، ولا نرى فيها أية إشارة لدعوة أهل الكوفة.

نعم ذلك الرفض القاطع هو منطق من يسعى حثيثاً إلى نيل الشهادة، فلو كان منطق الإمام ﷺ نابعاً عن حب الدفاع عن النفس فقط، لكان من المنطقي أن لا يسمح في ليلة العاشر من محرم لأصحابه بالانصراف عنه، ولا يذكر شيئاً عن الإختيار بين البقاء أو الإنصراف، نعم! لا يجوز ذلك، ففي الوقت الذي أتم الإمام ﷺ الحجة على أصحابه وبين لهم بأنه هو المطلوب من قبل ابن زياد وجيشه؛ لأنهم يريدون البيعة منه وحده، ويرومون قتله هو وحده؛ لأنه يرفض أن يبايع التزاماً بواجبه الشرعي، حتى ولو كان ثمن الرفض القتل، فلماذا يرغم أصحابه على البقاء، ما زال هو الوحيد المطلوب؟ نعم الإمام ﷺ يؤكد عليهم بأنه لا يجوز له إرغامهم على البقاء ويأمرهم بالرحيل عنه، ولكن نرى إيثار الأصحاب ـ أصحاب

﴿١﴾ الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٣٠، م س.

الحسين - إذ يرفضوا جميعاً ترك الإمام وحيداً تأكله سيوف الأعداء، ويصرون على البقاء معه، ويفضلون الإستشهاد دونه على الحياة بدونه، فيرفع الحسين ﵇ يديه الكريمتين بالدعاء لهم، ان يجازيهم الله عنه خير الجزاء. لماذا؟ إن الأمر يتضح لنا عندما يبعث الحسين ﵇ في ليلة العاشر من محرم حبيب بن مظاهر الأسدي، ويأمره بأن يأتي بعدد من أفراد قبيلته، فكم كان عدد أفراد هذه القبيلة؟ لنفرض انه استطاع أن يجلب منهم ٥٠ أو ٦٠ شخصاً، فماذا كان سيفعل هؤلاء أمام ثلاثين ألف من الجيش المعادي؟ هل كان بإمكانهم تغيير الأوضاع؟ كلا فالحسين ﵇ أراد بذلك أن تتوسع رقعة الثورة فهذا هو منطق الثوار الرافضين، منطق الشهداء، لذلك نرى الإمام ﵇ جاء بجميع أهله وعياله أيضاً؛ لأنه أرادهم أن يكونوا رسلاً لثورته بعده[1].

﴿١﴾ الى هنا انتهى ما قاله الشهيد المطهّري ﵀.

الخلاصة:

من وجهة نظر الشهيد المطهري فإن الهدف الرئيسي لنهضة الحسين عليه السلام المباركة هو الإصلاح، والمرحلة التي عاشها الحسين عليه السلام لايمكن فيها أي نوع من الإصلاح وعلى أي مستوى إلا بالتضحية؛ لأن الإمام عليه السلام كان يرى: ﴿بأن يزيداً هو أول منكر يجب أن يزول من عالم الإسلام، ويقول أيضاً بأن إمام المسلمين وقائدهم هو ذلك الذي يعمل بكتاب الله، ويقيم العدل، ويدين بدين الحق[1]. لقد ضحى الإمام الحسين عليه السلام بكل ما يملك في سبيل هذا المبدأ وتحقيقه..﴾.

هذا وقد تفاعلت ثلاثة عوامل لإنتاج هذه النتيجة المأساوية:

العامل الأول: رفض بيعة يزيد.

العامل الثاني: دعوة أهل الكوفة.

العامل الثالث: إرادة الإصلاح.

﴿ففي القضية الأولى ينحصر الأمر في شخص الإمام عليه السلام إذ يحاول الدفاع عن نفسه ويرفض تقديم البيعة، والقضية الثانية يبدي الإمام فيها التعاون، وفي الثالثة يأخذ الحسين عليه السلام موضع الهجوم ويتعرض لحكومة زمانه، فهو إنسان ثائر على السلطة في هذه الحالة﴾.

﴿إن كل واحد من العوامل المذكورة كان ينطوي على واجب معين للحسين عليه السلام، وعندما نقول بأن نهضة الإمام الحسين عليه السلام متعددة الحقائق فإن سبب ذلك هو أن الإمام عليه السلام كان واجبه الأول تجاه موضع البيعة هو الرفض، ولو اختار ما أشار عليه ابن عباس من الذهاب إلى جبال اليمن لتحقق الرفض في ذهابه، ففي أدائه عليه السلام لهذا الأمر لم يكن من واجبه ان يطالب أحداً بالتعاون معه، أما بالنسبة للدعوة التي وجهها أهل الكوفة اليه فكان من واجبه الإستجابة لهم طالما هم بقوا

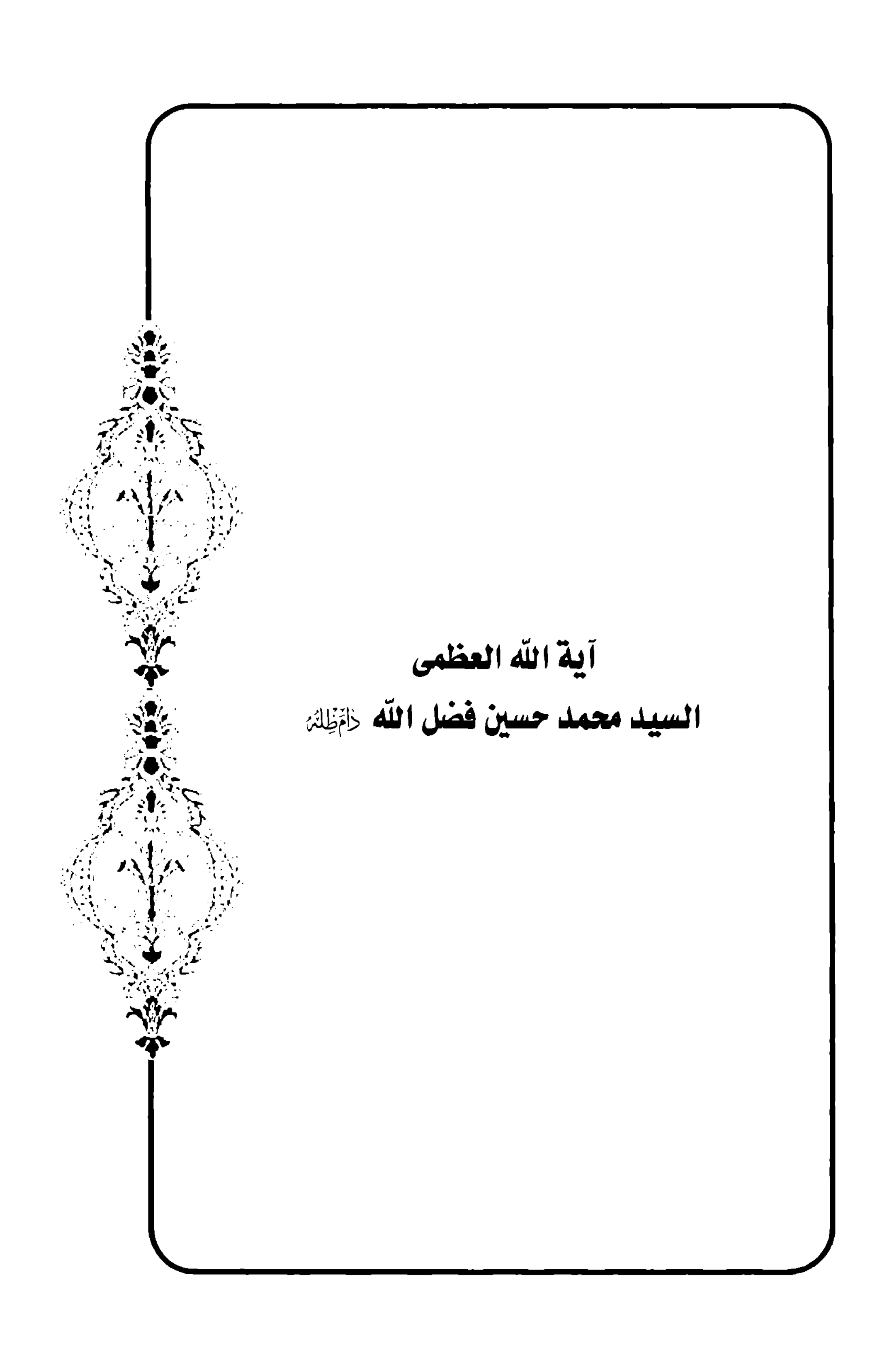
﴿١﴾ هذا المضمون ورد في رسالة الحسين عليه السلام التي بعثها مع مسلم عليه السلام حيث جاء فيها: ﴿ولعمري ما الامام إلا العامل بالكتاب القائم بالقسط الداين بدين الحق الحابس نفسه في ذات الله...﴾. انظر: ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، مثير الأحزان، ص١٦، م س.

على قولهم، وإذا نكثوا فلا شيء عند ذلك يلزم الحسين ﵇ أمامهم، وتنتفي مسألة الخلافة في مثل هذه الصورة، ويسقط الواجب عن الإمام ﵇، ولكن لماذا استمر الحسين ﵇ مع ذلك في السير في هذا الطريق؟ إن هذا يدل على أن واجب الإمام ﵇ لم يكن ينحصر في قضية الخلافة، فالدعوة التي وجهها اليه أهل الكوفة كانت عاملاً مؤقتاً،إذ سرعان ما وصله نبأ مقتل ابن عمه مسلم الذي بعثه رسولاً إلى أهل الكوفة...﴾.

ان استمرار الحسين ﵇ بعد سقوط الكوفة واستشهاد مسلم ﵇ يدلنا على أن هدفه ﵇ أعمق من الإستجابة لكتب الكوفيين؛ لأن منطقه منطق الشهيد، الذي يرى الموت سعادة والحياة مع الظالمين برما[1]. ﴿أي إن الموت لمن يعيش في ظل والظلم والجور، ولا يحصل من دنياه على غير الأكل والشرب والنوم فقط، وتحت ثقل الذل والهوان، ان الموت خير لهذا الإنسان من هذه الحياة المهانة بآلاف المرات. هذا هو النداء، نداء الشهيد!﴾.

الشهيد الذي لايرى للإصلاح ثمنا إلا دمه الطاهر ونفسه الأبية، فوهبهما ليكون بذلك المدرسة التي تربي الأحرار لمواجهة الطواغيت، ومعنى ذلك أنه ﵇ أراد أن يضع منهجا للمصلحين، ولم يكن همه إصلاح المرحلة التي عاشها.

﴿١﴾انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٤٨، م س.



آية الله العظمى

السيد محمد حسين فضل الله دام ظله

توطئة:

لا يوجد كتاب للسيد فضل الله خاص بنهضة الحسين عليه السلام، اختطه بقلمه، وإنما توجد له أحاديث كثيرة في هذا الشأن، جمعت وقررت وصدرت على شكل **كتب، ومنها**:

١. من وحي عاشوراء.

٢. حديث عاشوراء.

٣. نظرة اسلامية حول عاشوراء.

والنص الذي اقتنصناه في هذا البحث من الكتاب الثالث، الذي جمعه ورتبه السيد جعفر نجل السيد فضل الله، حيث كتب ـ الناشر ـ في المقدمة: ﴿ومن رحم تلك الأحاديث التي أطلقها سماحته وعيا، وفكرا، وروحا، والتي جُمع بعضها في كتابي: ﴿من وحي عاشوراء﴾ و ﴿حديث عاشوراء﴾ جمع نجله السيد جعفر بعضا من تلك الأفكار، وألف فيما بينها من خلال ربطها بمحور واحد...﴾. وينبغي الإلتفات الى أن النص الذي سنذكره ليس متسلسلا في الكتاب المذكور، وإنما أخذنا من هنا وهناك بعض العناوين التي تنسجم مع سياق بحثنا.

هذا بالإضافة الى أننا إذا وجدنا شيء في ذينك الكتابين يهم الموضوع؛ فإننا لانتوانا عن ذكره والتنويه به.

أسلمة عاشوراء[1]

لا نريد من طرح هذا العنوان الإيهام بأن عاشوراء تفتقد الصفة الإسلامية، بل نريد التأكيد على أن القضية الحسينية هي قضية إسلامية عامة، وليست قضية مذهبية خاصة.

﴿١﴾ فضل الله، محمد حسين، نظرة اسلامية حول عاشوراء، ط الأولى١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، ص١٩.

لقد انطلقت كربلاء على أساس العناوين الإسلامية، وتمثل ذلك في الطروحات التي أطلقها الحسين عليه السلام كعنوان عريض لحركته، وفي المواقف التي تجسدت خلال المسيرة الحسينية حتى الشهادة.

كان عنوان الحركة هو الإصلاح في أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك في قول الحسين عليه السلام: ﴿إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر﴾[١]، على أساس قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٢]، ومن الأمر بالمعروف أمر الظالم به، ومن النهي عن المنكر نهي الظالم عنه،ولو بالثورة في وجهه؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يكونان بالكلمة، وقد يكونان بالموقف، وقد يكونان بممارسة القوة.. بحسب ما تفرضه طبيعة الظروف والنتائج.

وقد رفض الحسين عليه السلام البيعة على أساس البرنامج الذي ركزه الإسلام لصورة الحاكم الإسلامي والخليفة، فقال: ﴿أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً بعهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان... فلم يغير ما عليه بقول ولا بفعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله﴾[٣]، وكان هذا هو خط النظرية، أما خط التطبيق فأكده بقوله: ﴿ألا وإن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، واحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير﴾[٤].

وقال في بعض كلماته وهو يؤكد موقع العزة ومعناها في شخصية الإنسان المؤمن: ﴿لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد﴾[٥].

﴿١﴾الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٣٠، م س.

﴿٢﴾ سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

﴿٣﴾انظر: ابومخنف الغامدي، لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي ، مقتل الحسين ، ص٨٥، م س.

﴿٤﴾انظر: الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٤ص٣٠٤، م س.

﴿٥﴾ م ن، ج٤ ص٣٢٣.

وقال: ﴿ألا وإن الدعي ابن الدعي قد تركني بين اثنتين: بين السلة والذلة، وهيهات منّا الذلة، أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون...﴾[1].

هذه هي بعض شعاراته، وعندما ندرسها نجد ـ بوضوح ـ أنها ليست شعارات المرحلة التي كان يعيش فيها لتكون المسألة مجرد مسألة غارقة في التاريخ، كما أنها ليست شعارات مذهبية فئوية، ولكنها شعارات الحياة كلها، وشعارات الإسلام في كل مواقعه... فمن منا لا يلمح الإفساد والفساد السياسي على مستوى الحاكم، والمحكوم، وحركة الحكم؟ ومن منا لا يرى الإفساد والفساد على مستوى الإستكبار العالمي، والإقليمي، والمحلي.. في كل ما يريده الإستكبار من مصادرة لقضايانا المصيرية؟، ومن منا لا يجد أن الواقع يعمل على إفساد الأخلاق الفردية والإجتماعية في داخل الفرد المسلم، والمجتمع، والأمة المسلمة.. من خلال من يريدون المتاجرة بالأخلاق؟، ومن منا لم يرفض الواقع الذي يترك فيه الكثيرون من المسلمين عبادة الله، ويتركون فيه الصدق، والأمانة، والعفة، والوفاء.. وما إلى ذلك من أصول الأخلاق الإسلامية في الوقت الذي يشهدون فيه أن ﴿لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله﴾؟ ومن منا لا يرفض الكثير من مظاهر الانحراف في حياتنا، والعلاقات الممزقة، والفتن التي تتحرك على مستوى الأفراد، والعوائل، والأحزاب، والطوائف الإسلامية وما إلى ذلك؟ ومن منا لا يرى في العزة القيمة الكبرى على المستوى الفردي أو الاجتماعي؟.

كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام ثورة خاسرة من الناحية العسكرية، لكنها صدمت الواقع وهزت قواعده لكي تركز الخط الأصيل الذي يحفظ الحياة الإسلامية، ويؤكد العدل في داخلها؛ لأن الواقع كان قد وصل إلى مرحلة استرخى فيها تحت تأثير حكم يزيد، ولذلك انطلق الناس وهم يحبون الحسين ليحاربوه... وبذلك كان الوضع الإسلامي مهيأ لأن يستمر الظلم فيه، ويحرك الناس كلهم في مواجهة كل دعوة للحق، وتؤدي مجاري الأمور إلى تقديم الكفر للناس باسم

﴿١﴾ انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٥٩، م س.

الإسلام...

ومن هنا فإن الحسين عليه السلام يمثل خطاً ومنهجاً وتجسيداً حياً للقيم الإسلامية والإنسانية في العزة والكرامة والمحافظة على استقامة المسيرة التي جعلها الله أمانة في أعناقنا جميعاً، وفي محاربة الظلم والفساد، في كل عصر، أياً كانت العناوين التي يأخذها الظلم، أو الألوان التي يتزين بها الفساد، ويؤكد على أن الإصلاح في أمة رسول الله مسؤولية كل فرد من أفراد هذه الأمة، كل حسب دوره وإمكاناته في كل المجالات.

وفي كل ذلك كان يستهدي جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي حذر المسلمين من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنذرهم أنهم سيقعون ـ في هذه الحال ـ في مصائب كثيرة وبلايا عديدة، فقال: ﴿لتأمرن بالمعروف ولتنهُنّ عن المنكر أو ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم﴾[1].

السياسة أساس في حركة الأديان:

وإذا كان هناك بعض الذين يعتبرون أن قضايا العدل والظلم وتقويم الحاكم وتغيير النظام من الأمور السياسية التي لا علاقة للدين بها، وأن على الدين ان ينأى ـ بطهارته وقدسيته ـ بعيداً عن مثل هذه القضايا، فإننا نجد أن القرآن يركز على أن السياسة أساس في حركة الرسالات، وذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[2] ما يعني أن حركة الدين ـ أي دين ـ تنطلق من إرادة الله سبحانه إقامة العدل بين الناس، فالله لم ينزل علينا الدين لينظم لنا أوضاعنا في الآخرة، وإنما أنزله لتنظيم حياتنا في الدنيا التي جعلها الله داراً لحركتنا، وأراد الإنسان أن يكون خليفته الذي يحكم بين الناس بالعدل...

إن الدين هو انطلاقة عدل في حركة الإنسان الفردية، والإجتماعية، والسياسية، والأمنية، والاقتصادية... وغيرها، ولذلك لم يأمر الله في القرآن بشيء

﴿١﴾ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٠، ص٣٧٨، م س.

﴿٢﴾ الحديد: ٢٥.

كما أمر بالعدل، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ[٣] قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٤]، حتى أن الإسلام طلب العدالة حتى مع الكافرين، فقال تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾[٥].

المضمون العاشورائي[٦]

أشرنا فيما سبق إلى ضرورة التنبه لعنصر المضمون الذي يطرح في عاشوراء، سواء على المستوى الشعبي التقليدي، أو من خلال بعض التجارب المتناثرة في الإنتاج المسرحي أو السينمائي أو التلفزيوني. وهذا الأمر ينبع من أن طبيعة الذهنية التي يعيشها قارئ العزاء، أو الشاعر الحسيني، أو المخرج، أو كاتب السيناريو.. وما إلى ذلك قد تلعب دوراً في تشويه المفاهيم الأصلية للقضية الحسينية، خصوصاً عندما يتم التغاضي عن الجانب الفكري لمصلحة الجانب العاطفي المأساوي الذي يطلب استنزاف الدمعة بأي طريقة.

ونحاول في هذا المجال تقديم بعض النماذج من هذه المفاهيم التي يقدمها الخطباء للجمهور من حيث يشعرون أو لا يشعرون، نطرحها في عناوين:

﴿١﴾ الأنعام: ١٥٢.

﴿٢﴾ النساء: ١٣٥.

﴿٣﴾ الشنآن : هي العداوة.

﴿٤﴾ المائدة: ٨.

﴿٥﴾ الممتحنة: ٨ ـ ٩.

﴿٦﴾ فضل الله، محمد حسين، نظرة إسلامية حول عاشوراء، ص٥٣، م س.

١. التصادم مع المفاهيم الإسلامية:

يستوقفنا ـ في هذا المجال ـ بيت من الشعر لقصيدة حسينية للسيد حيدر الحلي ﴿رحمه الله﴾ وهو يستنهض فيها الإمام المهدي ﴿عجل الله فرجه﴾ فيقول:

واستأصـلي حتـى الرضيـ ـــع لآل حـرب والرضـيعة

حيث نجد أمامنا دعوة صارخة مثيرة لاستئصال بني أمية، حتى الرضيع منهم ذكوراً وإناثاً. وهذا الأمر يمثل مصادمة واضحة مع القيمة الإسلامية الإنسانية في خط العدالة التي جاء بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾﴿١﴾، كما لا يتناسب مع السيرة الحسينية فيما تنقله أحاديثها من اللفتة الإنسانية لبعض الجنود في جيش بني أمية وهو يواجه امتناع جيشه عن سقي الطفل الرضيع للحسين عليه السلام: ﴿إن كان ذنب للكبار فما ذنب هذا الطفل الرضيع؟!﴾.

كيف يمكن أن يستمع الجمهور المسلم لمثل هذا العنوان العدواني الصارخ ـ الذي تطلقه القصيدة ـ نحو الأطفال الذين لا ذنب لهم، ولاسيما إذا كانوا من الرضع، مما يزيد الإحساس الإنساني شعوراً بالإثم، في الوقت الذي تتحرك فيه كل ذكرى عاشوراء من أجل إثارة المشاعر الإنسانية المضادة لكل الواقع الذي صنع مأساة الحسين عليه السلام، وأهل بيته، وأصحابه، حتى يتبلور الرفض الإسلامي لأمثال هذا الواقع، فيقف في مواجهة كل الذين يريدون أن يصنعوا مأساة الإنسان في الحاضر والمستقبل.

ونلتقي بنموذج آخر في قول الشاعر حاكياً عن لسان أهل البيت عليهم السلام:

سادة نحن والأنام عبيد ولنا طارف العلى
والتليـد وأبونـا محمـد سيد النـاس
وأجـدر بولـده أن يـسودوا

إن هذا المفهوم ـ بظاهر الكلام ـ يتنافى والذهنية الإسلامية التي ترفض عبودية إنسان لإنسان، في عمق الخط الإسلامي، كما ترفض نظرة أي شخص لنفسه

﴿١﴾ سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

بهذا المقياس، وقد درج الأنبياء والأولياء على الإبتعاد عن هذا الأسلوب في حديثهم عن الناس، كما درج القرآن على الحديث عنهم بغير هذه الطريقة. فلم نلاحظ في كل التراث الديني عموماً والإسلامي خصوصاً مثل هذا التعالي على الناس أنهم العبيد وهم السادة، في الوقت الذي تعرف فيه ـ من خلال الحقيقة الدينية ـ أنهم الفئة المميزة في الدرجات العليا عند الله بحيث يرتفعون عن الناس في قربهم إليه سبحانه، كما نعرف إن طاعتهم واجبة على الخلق من موقع رسالة الله التي يحملونها، ولكن الطاعة شيء والعبودية شيء آخر؛ لأنها ـ أي الطاعة ـ تلتقي بالمسؤولية لا بالتقويم الإنساني.

وإذا كان الأسلوب الأدبي يبرر للإنسان أن يتواضع لإنسان آخر رفيع القدر ليقول له: إني عبدك، فإن التربية الإسلامية لا تتناسب مع كلام الشخص الكبير عن نفسه بهذه الطريقة، ولذلك فإن تصوير أهل البيت عليهم السلام أنهم يتحدثون عن أنفسهم وعن الناس بهذا الأسلوب لا ينسجم مع روحياتهم الرفيعة في التواضع لله في علاقتهم بالناس.

٢. تحجيم والقضية الحسينية:

نلتقي ـ في هذا الإطار ـ بنماذج من الشعر الحسيني يتركز فيها الحديث على إعطاء الصورة في الصراع في نطاق الدائرة العائلية، تماما كما لو كانت المسألة مسألة نزاع عائلي بين بني هاشم وبني أمية على الطريقة التي أثارها أبو العلاء المعري في قوله:

عبد شمس قد أضرمت لبني ها ... شم حربا يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى، وابن هند ... لعلي، وللحسين يزيد

هذا نموذج من كثير من نماذج الشعر الحسيني ـ العامي والفصيح ـ والذي لا يزال يُتلى في مجالس العزاء مما أدى إلى تكوين ذهنية شعبية تستغرق في مشاعر العصبية للعائلة الهاشمية ضد العائلة الأموية بعيداً عمّا هي المسألة الإسلامية، حتى

إن البعض يتصور الدين في المسألة كخصوصية من خصوصيات العائلة، لا كحالة رسالية تنفتح على الوعي الإسلامي لدى الإنسان المسلم، وتلتقي برموز الإسلام وقياداته في ساحاتها؛ ليكون الإرتباط من خلال الإسلام لا من خلال الخصوصية العائلية.

ولعل مثل هذا التأثير العاطفي الذي يتحول الى تعصب للعائلة قد ترك آثاره على حركة الوعي الشعبي السياسي في بعض المراحل السياسية القلقة من حياة الأمة، فقد لاحظنا إن بعض الملوك قد حصلوا على كثير من الدعم العاطفي لدى بعض علماء الدين والفئات الشعبية الطيبة انطلاقاً من انتسابهم للعائلة الهاشمية، من دون أي تدقيق في التزامهم الإسلامي، ومن دون نظر إلى لونهم المذهبي في الساحة التي ترى للمذهبية معنى كبيراً في التقويم الفكري والعاطفي... الأمر الذي أدى إلى إرباك الواقع السياسي في أكثر من بلد إسلامي، وسمح للخطط الإستعمارية أن تأخذ مكانها فيها.

ونحن عندما نثير هذه المسألة لا نريد ان نجعل القضية الرسالية شيئاً يتحرك في المطلق بعيداً عن الرمز؛ لأن للشخصيات القيادية خصوصية في عق حركة الرسالة، الأمر الذي يفرض الإرتباط العضوي بالقيادة فيما يمثله الإرتباط بالرسالة، لتكون العلاقة رسالية لا شخصية بحتة، وبذلك لا يبقى هناك دور للعائلة بعنوانها الكبير. ومن هنا فإن علاقتنا بأهل البيت عليهم السلام لا تنطلق من هاشميتهم، بل تنطلق من رسالتهم، كما أن الهاشمية لا تكتسب قداسة من خلال انتماء رموز القداسة الرسالية بالنحو الذي يجعل من كل هاشمي يقترب من القداسة حتى لو كان بعيداً عن قيمها.

إن التراث الأدبي من الشعر والنثر قد يحتاج إلى بعض الخيال، والى بعض اللفتات الفنية في حركة العاطفة في المأساة وفي تأثير المأساة في الوعي الداخلي للإنسان المسلم، ولكن الخيال لا بد أن ينطلق في أجواء المضمون الذاتي للقضية، فلا يخلق لها أبعاداً بعيدة عنها، ولا ينتج فكراً يختلف عن فكرها، كما أن الجانب الفني

ـ في لفتاته الإيحائية أو الإيمائية والتعبيرية ـ لا بد أن يعطي بعضاً من معنى الجمال الحقيقي التي تختزنها مفرداتها، فلا يفرض عليها جمالاً من خارج معناها، أو يمنحها خصوصية بعيدة عن خصوصياتها.

ولذلك فإننا ندعو إلى نتاج أدبي حسيني يتغذى من المفردات الإسلامية للحركة الحسينية فيما هو البعد الروحي والفكري والحركي للإمام الحسين عليه السلام؛ لتكون الذكرى في خدمة القضية من خلال الإيحاء المستمر بامتدادها في خط الزمن، لتكون الصورة البارزة هي أن عاشوراء هي المنطلق وليست النهاية، وبذلك فإنها تريد أن تنتج جمهوراً جديداً لمفاهيمها في كل زمان ومكان من خلال تأكيد العناصر الحية فيها في وعي المستقبل الذي يطل على الإنسان في عملية تجدد ونمو واستمرار.

٣. تشويه صورة النماذج العليا:

من خلال دراستنا لما تنقله كتب السيرة، مما اختلط به الصحيح بغير الصحيح عندما تم إعطاء الأولوية للجانب العاطفي على الجانب الواقعي في القضية الحسينية، نجد صياغة لصورة مشوهة لرموز كربلاء، وخصوصاً فيما يتصل بالإمام الحسين عليه السلام وبالسيدة زينب عليها السلام. فهناك ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ عدة صور شعرية ونثرية تقدم لنا صورة الحسين عليه السلام وهو يستغيث ولا يُغاث، ويستجير فلا يُجار، ويستقي القوم جرعة من الماء فلا يُستجاب له، حتى تنتهي القصة إلى اللحظات التي كان الإمام الحسين عليه السلام في حالة الإحتضار فشاهده شخص اسمه حميد بن مسلم فيلفت نظره أنه يحرك شفتيه، فيقول الرجل في نفسه: لو كان الحسين يدعو علينا هلكنا ورب الكعبة، فيدنو منه فيسمعه يقول: ﴿يا قوم اسقوني جرعة من الماء فقد تفتت قلبي من الظمأ﴾، ويضيف بعض الرواة إلى ذلك قوله: ﴿وحق جدي إني لعطشان﴾[1].

إنها صورة من الصور التي توحي بالضعف، ولا توحي بالقوة، مما لا

﴿١﴾ هذا ما يتناقله الخطباء الحسينيون ولم نعثر عليه فيما بين أيدينا من مصادر.

يتناسب مع الصورة التي تمثل فيها الإمام الحسين عليه السلام إنساناً كبيراً متمرداً على كل نوازع الضعف وعناصر الألم في مواجهة القوة الضالة الطاغية التي حشدت ضده كل تلك الجموع لتسقط موقفه، ولتهز ثباته، ولتدفعه بعيداً عن موقفه الصلب المميز، ولتفرض عليه الخضوع لحكم يزيد، فرفض التراجع والتنازل والخضوع، وتحمل كل النتائج القاسية من أجل أن يجسد القيم الإنسانية الكبرى التي أرادها الله للإنسان في الحياة؛ لأن المسالة ليست مسألة الشخصية، بل هي مسألة الرسالة في تحدياتها وفي حاجاتها إلى التماسك والتوازن في المواقع الصعبة التيْ تزدحم في أعماقها الزلازل، وهذه المواقف تمثلت فيما طرحه من شعارات، وفيما جسده من مواقف، خصوصاً عندما ذبح ولده والرضيع، حيث تنقل السيرة انه قال: ﴿هون ما نزل بي أنه بعين الله﴾[1].

إننا لا ننكر أن الإنسان ـ حتى لو كان نبياً أو إماماً ـ قد يخضع للضعف البشري في مضمون بشريته، ولكنّ الحسين عليه السلام قد اتخذ قراره في المواجهة الصعبة بعد دراسة طويلة عميقة لكل النتائج المترتبة عليه، وعرف طبيعة الوحشية الهمجية المتمثلة في عناصر الشخصية الطاغية لهؤلاء، ورأى في ساحة المعركة، كيف تتجسد القسوة في مواقفه حتى بالنسبة للطفل الرضيع، فكيف يمكن ان يستغيث بهم ويطلب منهم جرعة من الماء في الوقت الذي كان جسده مثخناً بالجراح بأبشع الصور؟!.

إن الصورة الحقيقية للإمام الحسين عليه السلام هي تلك الصورة التي عبر عنها أحد أعدائه من جيش يزيد: ﴿فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته أربط جأشاً ولا أشد بأساً من الحسين، فقد كانت الرجالة تشد عليه فيشد عليها فتنكشف من بين يديه انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب﴾[2].

وهكذا نقف عند صورة السيدة زينب عليها السلام، ولاسيما في الشعر الشعبي، فلا نجد فيها صورة البطلة القوية المتحدية التي وقفت في قوة وصلابة وثبات في مجلس

﴿١﴾انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٦٩، م س.

﴿٢﴾ انظر: ابن كثير، اسماعيل ابو الفداء، البداية والنهاية، ج٨ص٢٠٤، م س.

ابن زياد لتتحدى سلطانه، وفي مجتمع أهل الكوفة لتواجه انحرافهم وخذلانهم، وفي مجلس يزيد لتهاجم مواقعه، بل نجد صورة البدوية التي تتحدث بالأسلوب الضعيف الواهن الثاكل الذي يبحث عن العشيرة فلا يجدها، وعن النصير فلا يلتقي به، ويواجه القضية بلسان الدعوة إلى الثأر على الطريقة العشائرية... إنها صورة الضعيفة المنكوبة المسبية التي تعيش هم آلامها، وهم الأطفال والنسوة من حولها ـ على أهمية ذلك ـ دون ان تكون للقضية الكبرى أية انطلاقة في اهتماماتها، في الوقت الذي يؤكد فيه التاريخ أن زينب كان لها الدور الكبير في استمرار القضية في والوجدان، وحمل لوائها على أساس القيم الإسلامية والمبادئ الصافية الأصلية.

وقد يخيل لبعض الناس أن الحديث عن المأساة في خط القضية ـ حتى في مثل ما أثرناه ـ يمثل لوناً من ألوان التعبئة النفسية ضد الذين صنعوا المأساة أو الذي يصنعون ما يماثلها، مما يحقق للقضية الكثير من عوامل القوة في وعي الجماهير عندما تنفتح مشاعرهم على الثورة من خلالها. ونحن نقول: صحيح ذلك فيما أكدناه من أهمية العاطفة في عاشوراء إلا أن ذلك يفرض نوعاً من التوازن بين حركة العاطفة وصورة النموذج الأعلى للقضية فيما تتكامل فيه عناصر الثورة في خدمة القضية. ولذلك فإننا لا نرفض إثارة العاطفة فيما هي العناصر الحقيقية للمأساة، بل نرفض المضمون الذي يبتعد بالمأساة عن جو القضية في مواقع القوة والعنفوان، كما نرفض الأسلوب الذي لا تتناسب فيه الإيحاءات بين الجوّ والفكرة.

وفي ضوء ذلك فإننا ندعو إلى صياغة المضمون العاشورائي ـ سواء فيما يطرحه قراء العزاء أو ينتجه الشعراء وغيرهم من الكتاب ـ ممن خلال ملاحظة القضية الحسينية في أهدافها الكبيرة، والذي يلاحق أحداثها من خلال النقد الواعي الذي يأخذ في حسابه كل الظروف المحيطة بها من شخصية البطل، ونوعية الإنتصار، وطبيعة العدو، وصورة المرحلة.. ليجتذب ذلك كله للواقع الذي تعيشه الأمة في عملية إيحاء بالثورة، وحركة للتغير على أساس الإسلام، لنستطيع أن نحرك الذكرى في امتداد الزمان، لتكون خيراً وبركة للحاضر والمستقبل، كما كانت بركة للماضي.

دراسة السيرة عمليا:

وفي هذا الإطار فلابد من دراسة السيرة الحسينية دراسة عملية موضوعية؛ لأن مابين أيدينا من كتب السيرة فيه الغث والسمين، وهو يجمع في طياته بين المتناقضات، وما لا ينسجم مع طبيعة الأمور، وليس من الضروري أن يتم الجمود عند سند الرواية بالدقة العلمية التي يأخذ بها في الفقه، ولكن لا بد من دراسة الروايات في مضمونها من حيث طبيعة علاقتها بالواقع من حولها، حتى نستطع أن نركزها على أساس وقاعدة ثابتة.

ولا بد في الوقت نفسه من الرجوع إلى المصادر الموثوقة التي تعتبر الأساس في النقل التاريخي، ولا نغرق في كثير من الكتب التي زيد عليها بما لا ينسجم وقضية كربلاء، كما أن على الخطباء ـ وغيرهم ـ أن لا يبادروا إلى نقل ما لم يثبت بالدراسة والتأمل لمجرد إثارة العاطفة، فقد ورد في كلام الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو ينقد بعض أصحابه عندما كان يحاور بعض الناس: ﴿تمزج الحق بالباطل، وقليل الحق يكفي من كثير الباطل﴾[1].

﴿١﴾ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١ص١٧٣، م س. والى هنا انتهى مانقلناه من كلام السيد فضل الله دام ظله.

الخلاصة:

في إطار معالجته لبعض السلبيات التي ألصقت بالنهضة الحسينية ـ شعرا ونثرا ـ يؤكد السيد فضل الله: أن ﴿عنوان الحركة هو الإصلاح في أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك في قول الحسين عليه السلام: ﴿إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر﴾[1]، على أساس قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[2]، ومن الأمر بالمعروف أمر الظالم به، ومن النهي عن المنكر نهي الظالم عنه، ولو بالثورة في وجهه..﴾.

فالهدف الرئيسي بمقتضى هذه المقولة هو الإصلاح.

وبعد استعراضه دام ظله لجملة من شعارات الثورة يقول: ﴿أنها ليست شعارات المرحلة التي كان يعيش فيها لتكون المسألة مجرد مسألة غارقة في التاريخ، كما أنها ليست شعارات مذهبية فئوية، ولكنها شعارات الحياة كلها، وشعارات الإسلام في كل مواقعه..﴾، ومن ذلك نفهم أنه لم يكن هدف الحسين عليه السلام إصلاح الواقع القائم آنذاك، بل إنه كان يؤسس للإصلاح من خلال صناعة مجتمع قادر على الإصلاح، وبما أن الأمة كانت تعيش حالة من الإحباط والهزيمة، إذن هي بحاجة الى من يعيد لها ثقتها بنفسها.

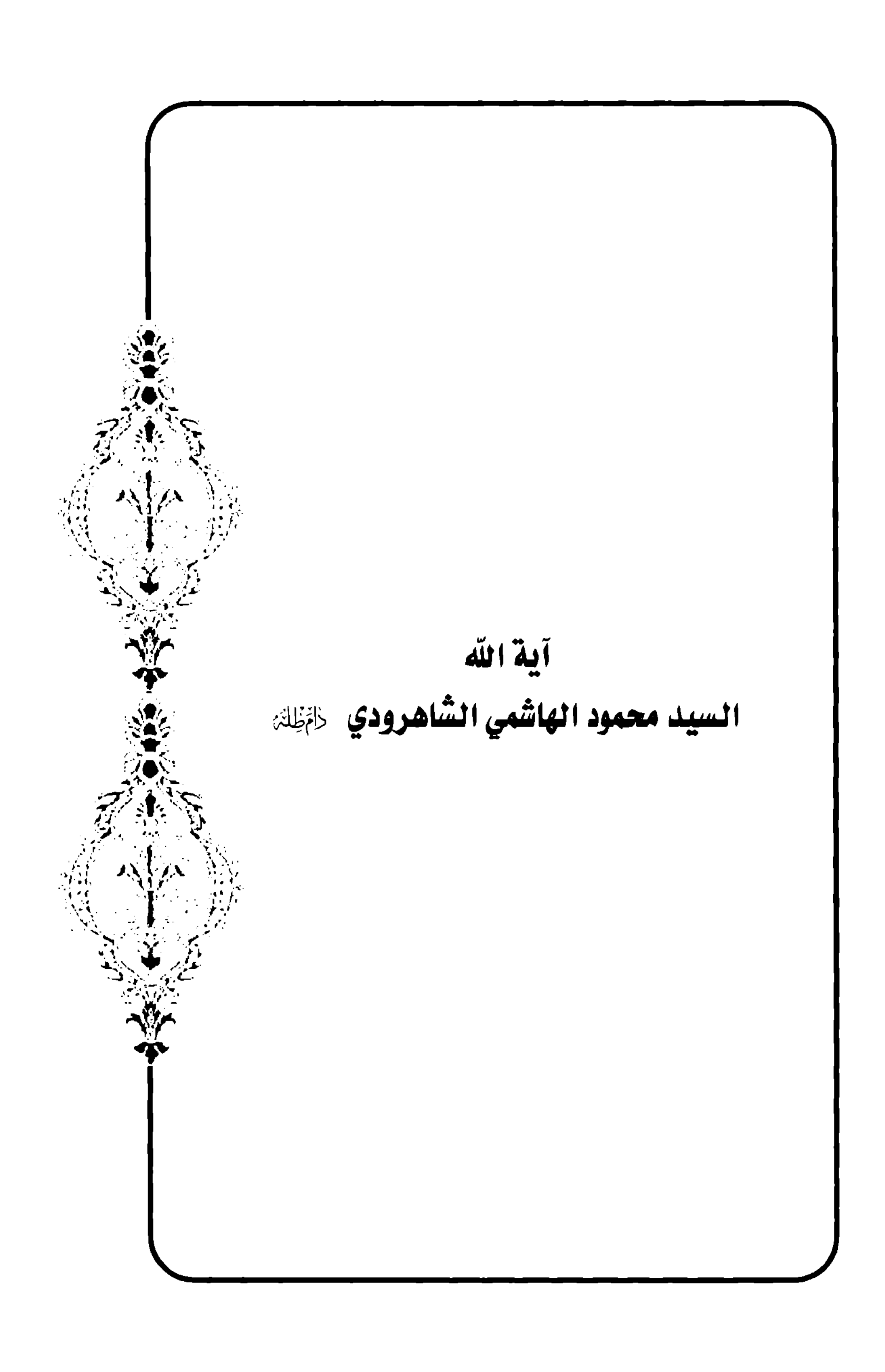
ولهذا يؤكد السيد فضل الله: أنه ﴿كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام ثورة خاسرة من الناحية العسكرية، لكنها صدمت الواقع وهزت قواعده لكي تركز الخط الأصيل الذي يحفظ الحياة الإسلامية، ويؤكد العدل في داخلها؛ لأن الواقع كان قد وصل إلى مرحلة استرخى فيها تحت تأثير حكم يزيد، ولذلك انطلق الناس وهم يحبون الحسين ليحاربوه... وبذلك كان الوضع الإسلامي مهيأ لأن يستمر الظلم فيه،

﴿١﴾ الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٣٠، م س.

﴿٢﴾ سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

ويحرك الناس كلهم في مواجهة كل دعوة للحق، وتؤدي مجاري الأمور إلى تقديم الكفر للناس باسم الإسلام...﴾

فكانت مأساة كربلاء هي الصدمة التي أعادة للأمة وعيها، ومسؤوليتها، وإقدامها، فتوالت الثورات الناقمة على الأوضاع الفاسدة على طول الخط.



آية الله

السيد محمود الهاشمي الشاهرودي دام ظله

توطئة:

توجد للسيد الهاشمي ـ فيما يخص دوافع النهضة الحسينية ـ مجموعة محاضرات القاها في محرم ﴿١٤٠٣هـ﴾، وقد قام مكتبه بتقريرها ونشرها في كتاب بعنوان ﴿محاضرات في الثورة الحسينية﴾. ونحن هنا سنأخذ منها موضع الحاجة، مع تحقيقها، والتعليق عليها، والخروج بخلاصة منها.

ونلفت النظر الى أن مجموع المحاضرات التي نشرت في الكتاب أربع، ونحن سنقتصر على الثلاثة الأخيرة منها؛ لأنها ألصق بموضوع بحثنا. كما ينبغي الإلتفات الى أن سياق الكتابة غير سياق المحاضرة، فالمحاضرة فيها طابع الإرتجال والتكرار، فمهما حاول الباحث تجاوز ذلك فإنها تبقى مطبوعة بذلك الطابع الذي لايخلو من التشويش ولو أحيانا قليلة.

وقد قمنا بتصحيح الأخطاء النحوية، وضبط علامات الترقيم، وإضافة بعض الكلمات التي يقتضيها السياق للتغلب على التشويش محصورة بين هلالين هكذا: [...][١]

﴿١﴾ بعد إكمال عملنا عثرنا على موضوع المحاضرات منشور في مجلة المنهاج على شكل دراسة في حلقتين، فاستفدنا منها في اضافة بعض العناوين أو تعديل بعض السياقات. وللإطلاع على الدراسة، انظر: المنهاج، مجلة اسلامية فكرية فصلية، تصدر عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية، العددان ﴿٢٩-٣٠﴾.

المحاضرة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

قلنا بالأمس [2] ان هناك عدة نظريات تفصّل وتشرح دوافع الثورة الحسينية وأسباب هذه الثورة.

﴿١﴾ الهاشمي، محمود، محاظرات في الثورة الحسينية، ط ـ سنة ١٣٦٢ش، المطبعة: نمونة، الناشر: مكتب السيد محمود الهاشمي، ص٢٧.

﴿٢﴾ هذه المحاضرة سبقتها محاضرة تحدث فيها السيد الهاشمي دام ظله مبينا أن النظريات التي حاولت تفسير النهضة الحسينية يمكن تصنيفها الى صنفين:

الصنف الأول: باطل، وذكر في هذا المجال تفسيرين:

التفسير الأول: تفسير على أساس قبلي ، حيث أن العداء كان مستحكما بين الهاشميين والأمويين منذ هاشم وأمية، وانتقل ذلك الصراع الى لأبناء فصارع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابا سفيان، وصارع علي عليه السلام معاوية، وكانت واقعة الطف حلقة من حلقات ذلك الصراع. وهذا التفسير يذهب له بعض المستشرقين، وله جذور في كلمات بعض شعراء البلاط الأموي، بل على لسان بعض خلفاء بني أمية، كقول يزيد:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وهذا التفسير لايساعد عليه الدليل العلمي العقائدي، ولا الواقع التاريخي؛ مما يؤكد بطلانه.

التفسير الثاني: تفسير على أساس مزاجي، حيث يذهب البعض الى أن الإمام الحسين عليه السلام كان أبي الضيم، حاد المزاج لايصبر طويلا على الظلم، فروحه الثورية دعته الى الإنتفاضة، وأدى ذلك الى استشهاده.

وهذا الكلام أيضا ساقط لا يساعد عليه الواقع التاريخي ـ يكفي أن نلتفت أن الحسين عليه السلام سكت عشر سنوات بعد استشهاد الحسن عليه السلام الى أن هلك معاوية ـ وأيضا لا يؤيده المبدأ العقائدي.

الصنف الثاني: صحيح في نفسه، أي لا يصطدم بالعقيدة، وذكر في هذا المجال ثلاث نظريات:

الأولى: النظرية الغيبية.

الثانية: النظرية السياسية.

الثالثة: الرسالية التاريخية.

النظرية الأولى ـ التفسير الغيبي:

اصطلحنا عليها بالنظرية الغيبية. هذه النظرية تحاول ان تفسر دوافع هذه الثورة المباركة على أساس أوامر عالم الغيب، وان الحسين عليه السلام باعتباره معصوماً.. مرتبطاً بعالم الغيب، كلف من قبل الله سبحانه ومن عالم الغيب بأن يقوم بهذه العملية كتكليف خاص به، باعتباره إنساناً خاصاً، وباعتباره إنساناً معصوماً مرتبطاً بعالم الغيب، لا يشاركه فيه غيره من الناس. ولهذا هذا التكليف الشاق العظيم، كان كما أوجبه الله سبحانه عليه.. وكان يجب ان يقوم بذلك طبق التكليف الإلهي طبعاً. هذا التفسير يقبل انه ترتبت على هذه الحركة المباركة وهذه الثورة العظيمة ترتبت آثار ونتائج إلا ان تلك المسألة مربوطة بالآثار والنتائج.

الآن نبحث عن الدوافع والأسباب، الدافع الذي كان للإمام الحسين هو الامتثال لأمر عالم الغيب، فلم يكن هناك دافع سياسي خاص دفعه الى هذا الشيء، ولم يكن هناك دافع اجتماعي خاص، وانما الدافع الحقيقي والسبب الحقيقي الذي حمله على ان يقوم على هذه العملية وعلى هذا العمل الضخم وعلى هذه التضحية الكبيرة انما هو أوامر عالم الغيب، وانما هو هذا التكليف الإلهي الخاص الذي كلف به، وبالذات في تلك الفترة الزمنية الخاصة من التاريخ.

يحاول أصحاب هذه النظرية أن يجعلوا هذا التكليف الغيبي الخاص هو الدافع الحقيقي، رغم اعترافهم بأن هذا التكليف ترتبت عليه آثار ونتائج كثيرة في التاريخ الإسلامي، إلا ان تلك الآثار لم تكن هي الدوافع، بل لعلها لم تكن ملحوظة للإمام الحسين، وانما كان المنظور له الدافع الحقيقي الذي دفعه، والذي كان في نفسه انما هو امتثال الأمر الإلهي الخاص به، والأمر الغيبي الخاص به. ويستشهدون على ذلك ببعض النصوص الواردة منه عليه السلام والتي قد يكون ظاهرها بهذا المعنى.

افرضوا [أن] النصوص التي وردت في أن الإمام الحسين عندما حاول الحاكم الأموي في المدينة ان يجبره على أخذ البيعة ليزيد فاستمهله ليلة أو ليلتين ذهب الى مرقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخذته حالة النوم مثلاً.. في عالم الرؤيا شاهد

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فطلب منه أن يأخذه اليه، قال: لا، انه شاء الله أن يراك قتيلاً﴿١﴾... الله سبحانه وتعالى قدر أن تقتل في أرض معينة وهي كربلاء مثلاً.. أو المحاورة التي جرت بين الإمام الحسين وبين أخيه محمد بن الحنفية، أيضاً فيها دلالة على هذا المعنى. نص المحاورة يذكرها السيد ابن طاووس بهذا الترتيب يقول: ﴿سار محمد بن الحنفية الى الحسين ليلة أراد الخروج الى مكة، فقال يا أخي إن الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت ان يكون حالك بحال من مضى، فإن رأيت ان تقيم فأنك أعز من في الحرم وأمنعه. فقال: يا أخي قد خفت ان يغتالني يزيد بن معاوية، في الحرم، فأكون من يستباح به حرمة هذا البيت، فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك، فسر الى اليمن أو بعض نواحي البر؛ فانك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد، فقال: انظر فيما قلت، فلما كان السحر ارتحل الحسين فبلغ ذلك ابن الحنفية فلحقه، فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً، فقال: أتاني رسول الله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء ان يراك قتيلاً. فقال ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ فما معنى حملك هؤلاء وأنت تخرج على مثل هذه الحال. فقال له: قد قال لي ﴿النبي﴾: ان الله شاء ان يراهن سبايا﴾﴿٢﴾.

هذا أيضاً يدل على ان المسألة مشيئة إلهية غيبية. لا بد وان يتحملها الإمام الحسين، وهذا تكليف خاص به، أيضاً في بعض الرسائل التي ينقلها كامل الزيارات رسالة ينقلها الإمام الحسين الى أخيه محمد بن الحنفية: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي الى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد، فأن من لحق بي فقد استشهد ومن لم يلحق لم يدرك الفتح﴾﴿٣﴾.

﴿١﴾ انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسني، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٣٩، م س.

﴿٢﴾ م ن، ص٣٩.

﴿٣﴾ القمي، جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات، ط الأولى ١٤١٧هـ، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر مؤسسة الفقاهة، تحقيق: الشيخ جواد القيومي ـ لجنة التحقيق، ص١٥٧.

أيضاً يقال ان هذا دليل على ان الحسين هدفه ان يستشهد وان ينتهي نتيجة ان الله سبحانه ورسول الله قد بلغه ذلك، وشواهد أخرى من هنا ومن هناك يمكن استخراج بعض الشواهد التي تدل على ان العملية كانت عملية غيبية، كان هناك تكليف ثقيل ملقى على عاتق الإمام المعصوم وهو تكليف خاص به، بخصوصية إلهية فيه، وبخصوصية في هذا التكليف الإلهي، كلف هذا الإمام المعصوم المظلوم ان يتحمل هذا العبء الثقيل، ويذهب الى كربلاء لكي يقتل ويستشهد، وأيضاً قدر لأهله بأن يؤسروا بهذا الترتيب.

طبعاً كل تكليف له آثار ونتائج، لكن الآثار بعد ذلك ترتبت، اما الدافع الذي حرك الإمام الحسين، والدافع الإجتماعي للقضية لم يمكن هناك واقع غير هذا المنطق الذي واجه به الإمام الحسين محمد بن الحنفية، وهو أخوه وأقرب الناس اليه.. يقول له صريحاً بأن المسألة كأنها ليست مسألة تخطيط اجتماعي لعمل اجتماعي، وإلا كيف كان يقول مثل هذا القول لمحمد بن الحنفية، ولماذا لا يقول له أنا عندي تخطيط اجتماعي معين، عندي هدف مستهدف في هذه العملية وسوف أصل إليه بشروطه... لم يقل كذلك وانما آخر جوابه منه لأخيه: انه شاء الله ان يراني قتيلاً[1] وشاء الله ان يرى الأهل والعيال سبايا، هذا آخر جواب له.

إذن يستظهر من ذلك ان الدافع دافع امتثال لتكليف إلهي، لا دافع اجتماعي ولا هدف مشخص مخطط له من الإمام الحسين.

التحفظات حول التفسير الغيبي:

هذا التفسير بهذا الشكل قد يطرح ويطرحه بعض الخطباء وبعض الكتّاب، والظاهر انه ليس تفسيرا تاماً وذلك باعتبار عدة ملاحظات:

الملاحظة الأولى: ان تفسير قضية الحسين بهذا الشكل يتنافى مع الطبيعة

﴿١﴾انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسني، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٣٩، م س.

البشرية لعمل الأنبياء والأوصياء، نحن وان كنا نعتقد بأن الأنبياء هم ثقل الله في الأرض.. هم ثقل عالم الغيب، وهم الحبل الممدود الى عالم الشهادة، وهم أحد الثقلين في الأرض، وهم الواسطة بين العباد وبين الله، كل هذه المعاني صحيحة، إلا أننا في نفس الوقت نعتقد بأن الأنبياء والأئمة كانوا بشرا وفي أعمالهم في الحياة وبالأخص الأعمال التي ترتبط بالجانب الإجتماعي من حياة الناس، كانت منطلقاتهم وكانت طبيعة أعمالهم طبيعية بشرية. نحن لا ينبغي ان نتغافل ونجعل من الأنبياء وجودات وأخرى كالملائكة، كموجودات عالم الغيب، ولهم أحكام موجودات عالم الغيب وامتيازاتهم، ليس كذلك، فيما يرجع الى دورهم في حياة الناس وفي الدنيا هم بشر كسائر البشر، وطبيعة عملهم وطبيعة تحركهم سيما التحرك الإجتماعي لهم.. في الجانب الإجتماعي كانوا يتحركون كبشر وكان لتحركاتهم دوافع بشرية مفهومة وعقلانية أمام الناس.. الناس تفهمها، ولولا بشرية أعمال وأدوار الأئمة والأنبياء لما استطاعوا أن يغيروا البشر.

في الواقع تغير البشرية لا يمكن ان يكون بشكل وأسلوب غير بشري، نعم أصل التغير.. ومنبع التغير.. ومنبع الرسالة هو عالم الغيب.. هو الله سبحانه وتعالى، إلا ان مجرى التغيير.. طريقة التغيير.. ومسار التغيير، مسار بشري ومسار أرضي، ولهذا الآيات القرآنية تقول بما معناه: لو أرسلنا ملكاً أيضاً لجعلناه بشراً[١]، لماذا جعلناه بشراً، لأنه لا يمكن وليس هناك لدى الإنسان ان يتكون ويسمو ويتسامى من خلال التربية الربانية الإلهية، إلا من خلال هذه الأساليب البشرية، فحتى الملك، حتى الموجود الغيبي لو أريد إنزاله الى الأرض لا بد وان يأطّر بالأطار الأرضي؛ لكي يتمكن من أن يؤثر في الناس؛ ولكي يتمكن من ان يغير البشر والبشرية، فتغير البشرية وتكميلها وجعلها في مسار الكمال لا بد وان يكون بأساليب أيضاً منسجمة مع الطبيعة البشرية، أي أساليب بشرية.

﴿١﴾ قال تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون. ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾. الأنعام: ٨ - ٩.

فافتراض أن الإمام الحسين كان له تكليف خاص وهذا من خصوصيات الإمام الحسين؛ لأنه معصوم، ولم يكن الدافع مفهوماً ولا معقولاً عند الناس الذين من قبيل محمد بن الحنفية وأمثاله، وانما مسألة غيبية بحتة مائة بالمائة هي التي دفعت الإمام، فهذا يتنافى بوضوح مع أصل النظرية التي نحن نؤمن بها في حق طبيعة عمل الأنبياء وعمل الأوصياء والأئمة في العالم.. في الحياة الدنيا. خصوصاً إذا لاحظتم ان الإمام الحسين في تحركه هذا.. وفي عمله هذا لم يكن مقتصراً على نفسه هو، كان يفكر ان يأخذ معه كل من كان مستعداً لهذا العمل، كان يفكر ويحاول ان يسعى ان يأخذ معه من يأتي، ولهذا كتب ﴿ومن لم يلحق بنا لم يدرك الفتح﴾ ليس بهذا يريد ان يستنهض الهمم، ويحرك الناس الى ان يأتوا معه لعملية غيبية بحتة، بدافع غيبي، بحت هذا يمكن ان يقوم به شخص، ذاك الشخص الغيبي فقط هو الإمام، اما إذا استطاع ان يحرك الجماهير معه ولو خمسة، ولو ثلة من الناس لحُمل الأمر على غير محمل.

لقد كان الإمام يدعو ويستهدف ان يخرج الناس معه، وبالفعل خرج معه جماعة ﴿٧٢﴾[1] فردا من أصحابه لم يكونوا اناسا غيبيين، كانوا أناسا بشريين، لم يكونوا معصومين كانوا بشرا وتأثروا بموقف الإمام الحسين.. ومنطق الإمام الحسين، وحركته. والإمام الحسين كيف كان يمكن ان يحرك هؤلاء... لو كانت المسألة دوافعها دوافع غيبية لا يفهمها الإنسان الإعتيادي، يفهمها الإنسان المعصوم بعمله الغيبي إذا كانت الدوافع والأسباب غيبية، فهذه لا تستطيع ان تحرك الناس، ولا تكون مفهومة أمام الناس، حتى للأصحاب الذين قتلوا مع الإمام الحسين، سوف لن تكون القضية مفهومة، وسوف لا يندفع هذا الإنسان لكي يبذل دمه، قلّما يوجد أحد مستعد أن يدفع دمه، ان يدفع في هذا المجال والاندفاع الذي يحركه اندفاع مجرد غامض لا يمكن ان يفسره ويبرره، ولا يكون فيه تفسير وإيمان حقيقي وطوعي من

﴿١﴾ على التحقيق فإن مجموع من استشهد مع الحسين عليه السلام ﴿١٢٠﴾، وليس ﴿٧٢﴾، كما تقدمت الإشارة اليه.

قبل هذا الإنسان في قبال هذا التحرك، بينما نحن نجد ان هؤلاء طوعاً متجهون مع الحسين، وهم كانوا متربين ومتأثرين بقضية الحسين تأثرا غيّر من تصوراتهم، وغيّر من روحيّاتهم ونفسيّاتهم. [نراهم] قبل الحسين يخاطبون الناس، ويخاطبون أهل الكوفة، ويوعظونهم، ويجعلونهم أمام المسؤولية الضخمة الملقاة على عاتقهم. وكيف كان يمكن لهؤلاء ان يبلغوا هذا المبلغ ويصبحوا بهذا الشكل لو افترضنا ان المسألة ودوافعها وأسبابها أسباب غيبية خاصة بالإمام فقط لا يفهمها إلا المعصوم، ولا يمكن ان يكون معقولاً ومفهوماً أمام الآخرين، وفي الجو الاجتماعي الذي كان يعيشه الإمام.

إذن فمن هذه الناحية لا يمكن المساعدة على هذا المقدار من التفسير الغيبي للقضية، هذه الملاحظة الأولى لهذا التفسير.

الملاحظة الثانية: على هذا التفسير. ان هذا التفسير على خلاف تصريحات الإمام نفسه، هناك محاورات من الإمام.. هناك خطب وكلمات صريحة صدرت من الإمام في يوم عاشوراء وقبل عاشوراء، في مكة.. في أماكن أخرى، صريحة في ان القضية دوافعها قابلة للفهم العقلائي، وقابلة للفهم الإجتماعي، وقابلة لأن تطرح على الجماهير، بل بالفعل طرحها الإمام على الجماهير، التصريحات ما أكثرها التي تدل على ان الإمام يشرح دافع ثورته، ودوافع خروجه، ويحاول ان يذكر دوافع رسالية قابلة للفهم والتصديق والإذعان من قبل المؤمنين في المجتمع الإسلامي آنذاك. في كثير من خطبه هذه المسألة موجودة كما سوف نشرح تلك النصوص، وتلك الأدلة والشواهد في ﴿النظرية الثانية﴾ التي هي عكس النظرية الأولى.

إذن فتصريحات الإمام، والرسائل التي كان يبعثها الى أهل الكوفة كانت واضحة في انه كان يريد العدل، يقول: فما الإمام العادل إلا من أقام السنة، وان هذا كان حقنا وقد أخذه غيرنا وسكتنا عنه ـ من أجل ان لا تصبح فرقة ـ ونحن أحق به من غيرنا ، واضح انه يبين ان الدافع الحقيقي: هو ان النظرية الإسلامية تقول ان الولاية والإمام والخلافة لا بد وان تكون في أهلها الشرعيين وهم المعصومون.. لا

يزيد بن معاوية، ولا هؤلاء، ولا من كان قبله ممن يسمى بالخلفاء الراشدين. فكلام الإمام واضح ان دافعه وهدفه كان هدفاً على الأقل قابلا للطرح على الجماهير وافهام الناس ماهية الهدف، وقابلا لإدرك الناس هذا الهدف وهذا الدافع، وهذا ينافي ان تكون القضية قضية غيبية خاصة.

هذه الملاحظة الثانية على هذا التفسير.

الملاحظة الثالثة: على هذا التفسير. انه أساساً مثل هذا التفسير يجعل من قضية الحسين قضية غير مؤثرة حقاً وغير مربية للبشرية والناس، أي لو افترضنا انه واقعاً قضية الحسين حكم غيبي خاص مخصوص بالإمام الحسين، الله سبحانه وتعالى لحكمة غيبية شاء ان يرى الحسين قتيلاً في كربلاء، والإمام الحسين باعتباره معصوماً أمتثل المشيئة الإلهية وذهب الى ان قتل في كربلاء. إذا كانت المسألة دوافعها في ضمن هذه الحدود فقط، فمثل هذه القضية من المستحيل ان تربي الناس والأجيال وان تكون فاعلة في ضمير من كان في زمن الحسين، فضلاً من ان تبقى هذه الفاعلية.. وهذا التأثير.. وهذا المد.. وهذه الهزة.. تبقى الى الآن؛ لأن الناس عندما لا يفهمون القضية فهماً عقلائيا وفهماً بشرياً، وقد يفهمه كحكم خاص وعملية خاصة غيبية، موضوعه أيضاً إنسان خاص وهو المعصوم، فنحن لسنا معصومين، الناس ليسوا بمعصومين فهم خارجون موضوعاً وتخصصاً عن هذا الحكم.

إذن فلماذا يتفاعلون مع هذه القضية، وكيف تؤثر عليهم هذه القضية، وكيف ﴿تكهربهم﴾ كما ﴿كهربتهم﴾ فاعلية قضية الحسين، بحسب الحقيقة متوقفة على ان تحفظ بشرية القضية؛ لأن الطبيعة البشرية في القضية إذا لم تحفظ وخرجت القضية عن كونها بشرية فسوف لن تؤثر، ولن تكون فاعلة، وتصبح قضية غيبية.

الإنسان قد يتأثر ويتألم ويبكي على الحسين، ولكنه لا يتخذ من هذه القضية درساً وعبرة لنفسه، ولا يعتبر هذا السلوك قدوة بالنسبة اليه. وانه هو أيضا عنده مسؤولية تجاه تطبيق سلوكه وعمله الإجتماعي مع ما فعله الإمام الحسين سوف لا يجد في ذلك أي مبرر؛ لأنه قضية خاصة في موضوع خاص، من قبيل سائر الأحكام

الخاصة بالنبي، افرضوا مثلاً تعدد الزوجات أكثر من أربعة.. هذه أحكام خاصة بالنبي، هل يمكن أحد يطبق سلوكه عليه؟ كلا؛ لأنه حكم خاص. أو كأي حكم خاص كان من مختصات أحد الأنبياء السابقين.

الحكم الخاص لا يمكن ان يكون قدوة للناس ومربياً للآخرين، بينما نحن نعلم ان قضية الحسين هي من أقوى العوامل التي ربت المجتمعات الإسلامية والأجيال على طول التاريخ، ولا تزال هي الفاعلة، وهي المؤثرة، والمهيجة، والمبقية لمدرسة أهل البيت سيما الجانب السياسي من هذه المدرسة.. الجانب الذي يرفض كل أنواع الحكام الظلمة والذين كانوا يريدون وأردوا بالفعل ان يذلوا المجتمعات والأمة الإسلامية.. أذلوها بالفعل وميعوها.

قرأت في كتاب تاريخي ان الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، هذا الشخص أحضر أربعين من الصحابة شهدوا جميعاً على ان من يكون خليفة تسقط عنه التكاليف ولا يحاسب يوم القيامة.. أي شيء يفعل وفعله موضوع عنه القلم.. أي عمل يعمل لا يحاسب عليه، هذه صيانة للخلافة المتجسدة في الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي.. هذا مستوى الإذلال ومستوى التميع، ان يجعلوا من الناس بهذا المستوى بحيث لا يحق من ناحية قانونية وتشريعية لا يحق لأحد ـ لأنه لا يحق لله فكيف لبشر لمخلوق له ـ ان يؤاخذ ويحاسب الخليفة ويضعه تحت السؤال.. لماذا فعلت هذا؟ أو لماذا عملت كذا؟.

هذه الأفكار المظلمة، وهذا التميع للأمة الإسلامية، والتحريف للقيم والمفاهيم لم تؤثر، لماذا؟ لثورة الحسين، فإن [ذلك] من أبرز نتائج الثورة المباركة. إذا لم تكن هذه الثورة.. أو كانت هذه الثورة والعملية خاصة مخصوصة بالإمام الحسين كتكليف غيبي، ودافعه أمر غيبي خاص؛ فالآخرون لماذا يتأثرون به.. فلا يتأثرون... حكم خاص له موضوع خاص. انما تأثروا لأنهم شاهدوا ان هذا العمل الذي عمله الإمام الحسين انما عمله باعتباره أحد المكلفين الرساليين المسئولين بحمل الرسالة وتطبيق أحكام الله والشريعة الإسلامية، وهذه التكاليف كما هي موجهة

اليه موجهة لكل فرد من المسلمين، بل الآخرون أولى بالتضحية؛ لأن إنسانا بهذه المنزلة العظيمة ضحى بما يملك في سبيل تطبيق أحكام الله وفي سبيل رفض هذا الخطر المحدق بالأمة الإسلامية، فالناس الآخرون أولى ان يضحوا؛ لأن هذا ضحى بالأنفس وبالأغلى وبالأعز، فكيف لا يضحي الآخرون بالأقل، من هنا كانت العملية قدوة للآخرين، من هنا كانت الحركات والثورات كلها تستفيد من هذه الثورة.. كان وقودها بحسب الحقيقة عمل الإمام الحسين، هذه الوقودية لا يمكن ان تكون إذا كان الحكم حكما خاصا ومخصوصاً بالإمام الحسين.

إذن هذا التفسير يجعل القضية خاصة باهتة لا فائدة فيها ولا تأثير فيها على الآخرين، لا ينبغي للإنسان ان يستفيد منها دروسه، وعبره، وتكاليفه الشرعية.. وانه لا بد ان ينهض كما نهض الإمام الحسين.

كل هذه المعاني الجليلة الخطيرة التي حافظت على الإسلام الحقيقي.. كل هذه المعاني سوف نفقدها بناء على هذا التفسير، وأما الأدلة التي يستشهدون بها، هذه الروايات التي أشرنا الى بعضها، طبعاً هناك مناقشة فيها سندية عملية.. الآن الرواية التي ينقلها السيد بن الطاووس في اللهوف مثلاً لا توجد في المصادر الأولى قبل صاحب اللهوف، طبعاً كتاب اللهوف للسيد بن طاووس الذي كان في أواخر القرن السابع الهجري، يقال ان هذا الكتاب.. ان هذه الرواية بعد هذا التتبع لا نجد لها أثرا في المصادر الأولى.. وفي سند هذه الرواية شخص متهم حتى عند السنة متهم اتهامات، هناك مناقشات رجالية وعلمية فنية لا داعي الى الدخول فيها الآن. نجد ان هذه الروايات حتى لو تمت سندا أو سند بعضها على الأقل، هذه الروايات لا تؤيد النظرية الغيبية بهذا التفسير الجامد لقضية الحسين.

هذه الروايات تدل على ان الإمام الحسين كان يعرف وهو مطلع على ان نهاية هذه المسيرة الشهادة، ونهاية حركته الاستشهاد، هو في رواية كامل الزيارات، كان يريد ان يفهم الناس بأنه سيستشهد، كان يطلب من الناس ان يصمموا على الشهادة، وان يوطنوا أنفسهم على الشهادة، هذه الروايات مدلولها ومفادها ليس

أكثر من هذا، ان الإمام الحسين كان واضحاً لديه ان هذه الحركة ستنتهي الى الشهادة إلا ان هذه المسألة غير التفسير الغيبي، إذ ربما يشخص قائد ان حركته سوف تنتهي الى الشهادة، لكن مع ذلك انطلاقه ودافعه في هذا التحرك مفهوم وعام أي ليس تكليفاً غيبياً خاصاً به، بل من أجل ان الدور الذي يقوم به كمسلم... والمسؤولية الشرعية التي هو مكلف بها كمسلم له امكانيات ومسؤوليات خاصة... هذا الدور يتوقف انجازه وتحقيقه ان يستشهد في سبيل الله. فتكون الشهادة مفهومة حينئذٍ وعقلائية.

ما أكثر الحركات وأصحاب الحركات الذين يقدمون على التحرك مع علمهم، في الحركات المادية موجودة فضلاً عن الحركات الإسلامية... مع علمهم ان هذا التحرك سوف ينتهي بهم الى الشهادة مع ذلك يقدمون... لهدف أبعد من وجودهم في الحياة، يجدون الهدف الذي قاموا به واعتقدوا به بلزوم تحقيقه في الحياة، هدفاً متوقفاً على ان يستشهدوا في سبيل الله، ويبذلوا دمائهم رخيصة في هذا السبيل.

هذه الروايات لا تدل على غيبية الدوافع كما يريده أصحاب النظرية الأولى.. لا تدل على ان دوافع القضية دوافع غيبية خاصة بالإمام الحسين.. دوافع لكل الناس مفهومة، إلا انها هذه الدوافع وهي حفظ الإسلام وحفظ بيضة الإسلام من الخطر الكبير الذي كان محدقاً به.. هذا الدافع موقوف على عملية صعبة، على مقدمة لا يتحملها إلا الإنسان الذي واقعا قد أخذ الإيمان بقلبه؛ لأنه موقوف على ان يدفع دمه، وكل ما يملك في هذا السبيل، ولا يكفي ان يدفع ماله أو بعض جهوده. إذن فهذه الروايات التي استشهد بها أصحاب التفسير الغيبي لدوافع قضية الحسين.. هذه الشواهد حتى لو تمت سنداً لا تتم دليلاً على ما هم يريدونه أو يبغونه في هذا التفسير، بل لا تدل إلا على هذا المقدار، وهو ان الإمام الحسين كان واضحاً لديه وراجحاً ان هذه الحركة سوف تنتهي به الى ان يستشهد في سبيل الله، ويستشهد كل من يخرج معه، وهذا شيء كان يفصح عنه ويبينه حتى لمن كان يلتحق به، ويقول له

عندما يلتحق ان مصيرنا هذا المصير، هل عندك استعداد ان تكون شهيداً في سبيل الله وفي سبيل الرسالة وإلا فهم يريدوني، فاتخذ من الليل جملاً، كما قال لأصحابه في ليلة العاشر، وكما قال لمن التحق به في الطريق بعد ما بلغه مقتل مسلم بن عقيل.

إذن فهذه الأدلة والشواهد دلالة لا تدل على التفسير الغيبي، بل تدل على معنى دقيق جليل سوف نذكره فيما بعد.

إذن فالتفسير الغيبي بهذا الحل نحن نرفضه، نعم يمكن أن نقبل التفسير الغيبي بمعنى آخر، بمعنى ان هذه العملية التي قام بها الإمام الحسين، حيث انها عملية عظيمة جداً، عملية بشرية قابلة للفهم البشري مبرراتها.. دوافعها.. أسبابها.. قابلة للفهم البشري، بل هذه العملية هي التي تريد الرسالات السماوية ان تربي البشرية عليها لتبلغ المستوى الذي يكونون فيه مستعدين لتحمل هذا العبء؛ لبذل هذه التضحية التي بذلها الإمام وأصحابه، فالمسألة في أصلها بشرية قابلة للفهم البشري، وتابعة لنفس التكاليف الملقاة على عاتق كل فرد في الأمة الإسلامية، وهي التكاليف المرتبطة بحفظ الإسلام، والكيان الإسلامي، ودفع الأخطار التي تحدق به.

نحن نعلم ان الخطر عندما يحدق بالكيان وما يسمى في الكتب الفقهية بحفظ بيضة الإسلام أي على أساس الإسلام وعلى أصل الكيان الإسلامي، ترخص الدماء والنفوس ولا يمكن حينئذ ان تطبق مبادئ ﴿لا تلقوا بأيدكم الى التهلكة﴾[1] وأمثال هذه الكلمات، وهذه كما بينها الإمام دام ظله[2] في محاضرة عندما يصل الأمر الى ان الخطر يتوجه الى أصل الإسلام حينئذ التكاليف الشرعية الفردية ومن جملتها حفظ النفس، وعدم القائها في التهلكة، وعدم إراقة الدماء... وغير ذلك كل هذه المقولات تسقط في مقام المزاحمة وتضمحل أمام الواجب الأهم الذي هو حفظ أصل الإسلام وحفظ الكيان الإسلامي، وهذا تكليف للبشرية جمعاء، ومن جملة التكاليف المثبتة في الشريعة الإسلامية ولكل البشر وليس مخصوصاً بالإمام...

﴿١﴾ البقرة: ١٩٥.

﴿٢﴾ يعني السيد الخميني قدس سره.

كل إنسان عندما يجد أصل الكيان الإسلامي والأمة الإسلامية الرسالية مهددة بالاضمحلال والانهيار والإذلال والانتهاء يجب عليه من الناحية الشرعية إذا كان بوسعه ان يمنع من ذلك ان يمنع ولو استدعى ان يدفع دمه في هذا السبيل، وكل من يكون له قدرة أكثر وإمكانيات المنع أكثر كلما كان التكليف موجها بالنسبة إليه بنسبة أكثر، ويجب ان يدفع هذا الخطر عن الإسلام ولو أدى ان يدفع في هذا السبيل دمه، وأصحابه، ومقامه الاجتماعي، وأهله، فالقضية بشرية، والتكليف واضح، ومفهوم، ومعقول، وهو نفس التكليف الذي كان أصحاب النبي والأئمة من أجله يندفعون في الحروب، يبذلون دماءهم رخيصة في هذا السبيل.. تكليف واضح، قضية الحسين تظهر كل تلك القضايا الأخرى، واضحة ومفهومة إلا ان مصادر في زمن الرسول كان في مقام تثبيت وتأسيس أصل الرسالة وإيجاد أصل الأمة الرسالية، وهذه كانت في مقام دفع الأخطار وصيانة الأمة الرسالية عن الأخطار المحدقة بها، الفرق فرق فقط بهذا المقدار، وإلا فروح القضية وجوهر المسألة واحدة ومفهومة وبشرية واضحة.

هذا التكليف حيث انه كان ثقيلاً جداً، المرض والمشكلة التي ابتليت الأمة الإسلامية بها وأحدق بالأمة وبالكيان الإسلامي كان خطراً عظيماً، وكان خطرا معقداً.. كان بحاجة الى تضحية كبيرة.. تضحية ليست من قبيل التضحيات الإعتيادية بل تضحية من أكبر التضحيات. توجد بعض الأمراض الجسدية قد تقتضي ان الإنسان في سبيل دفع هذا المرض يقطع أعز عضو عنده، أو يقوم بعملية تفقده شيء مهم جداً في سبيل دفع الخطر الأهم.

هذا الخطر الذي كان محدقاً بالأمة الإسلامية لم يكن يمكن دفعه إلا بعملية ضخمة جداً، إلا بتضحية كبيرة جداً، هذه التضحية الكبيرة لكبرها وعظمتها كانت مرصودة منذ البداية في عالم الغيب.. مرصودة ومنظور اليها في عالم الغيب، لا يتحملها إلا إنسان على مستوى الإمام الحسين.. إنسان معصوم في مستوى الإمام الحسين، ومن استطاع الإمام ان يربيه من الأصحاب. جسامة التضحية وضخامتها

تجعل من هذه التضحية تمتاز على كل التضحيات الأخرى التي ضحى بها الأنبياء، والأوصياء، والصالحون من عباد الله... ان هذه التضحية عندما تقارن بتلك التضحيات نجد ان المأساوية في هذه التضحية.. والألم في هذه التضحية.. ومقدار التضحية.. والذوبان والفناء في الله.. هذه التضحية أكبر من كل التضحيات السابقة.

تضحية بهذه الأهمية وبهذه الجسامة والثقل من المعقول ان يكون نحوه توجه خاص في عالم الغيب من قبل الله سبحانه وتعالى.. يوجد توجه خاص لهذه التضحية، ومثل هذه التضحية أيضاً لا يمكن ان يقوم بها إلا المعصوم ولو لا الإمام المعصوم فالآخرون لم يكونوا مستعدين للقيام بها، كان يحتاج الى همة معصومة، وروحية معصومة متمثلة بالإمام الحسين. الغيبية بهذا المعنى لا بأس بها من دون ان تخرج القضية عن كونها قضية بشرية ذات دوافع محددة وعينية، وذات أسباب مفهومة وعقلائية، لكن حيث انها كبيرة جداً وصعب مستصعب... هذا من الأمر المستصعب الذي لا يتحمله إلا المعصوم ومن استطاع المعصوم ان يربيه تربية صحيحة.

تستطيعون ان تنظروا [إلى] المسألة بما يجري الآن من القضايا العراقية، أنتم في العراق تجدون انه كيف ان هذا الظلم الذي انصب على الشعب، ليس كل أحد، حتى في العلماء استعد ان يتحمل هذا العبء ويضحي بنفسه وهو يعرف ان هذا الظلم لا يمكن ان يكافح وان يدافع إلا بتحمل في التضحية، يؤدي الى ان يبذل مكانته، ومقامه، ويتنازل عن كل شيء حتى عن حياته، وعرضه، وكل هذا يجب ان يتنازل عنه في سبيل دفع هذا الخطر المحدق في الأمة الإسلامية في العراق، وهذا لا يحتمله كل إنسان ولا يبادر إليه، حتى في العلماء، ولهذا لم يستعد كل أحد ان يتحمل هذا العبء الثقيل؛ لأنه ثقيل جداً لا يتحمله ولم يتحمله إلا الشخص الذي كان واقعاً من تربية مدرسة الإمام الحسين عليه السلام[1]، وكان اتفاقاً نظريته في القضية

﴿١﴾ يعني بذلك السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره.

الحسينية هي هذه النظرية﴿١﴾، وقد امتزجت هذه النظرية في روحه، وقلبه، وفكره، وله تصريحات مشابهة في بعض رسائله في فترة الإحتجاز، كان يقول ان قضيتي سوف تكون مشابه للقضية الحسينية، تماماً بالتفسير الذي كنا نفسر به القضية الحسينية... بحث هذه القضية تحتاج الى تضحية شخص بهذا المستوى، لكي تهز الأمة، وتهز المجتمع، وتهز الضمائر، وتبقى هذه الهزة من أهم عوامل إسقاط هذا النظام والخطر الذي قد يمحي الإسلام نهائياً عن العراق.

فالمقصود ان مثل هذه الأمور التي هي بحسب طبيعتها أمور ثقيلة وصعبة جداً، ولا يستطيع ان يتحملها كل إنسان وكل بشر، من المعقول ان تكون مثل هذه القضايا منظورة من قبل عالم الغيب، ومخطط لها من قبل عالم الغيب، أو يفاتح فيها الشخص الذي يكون مؤهلاً ومستعداً للقيام بها كالإمام الحسين، ويفاتح من قبل عالم الغيب في المنام ـ مثلاً ـ يجد رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له شاء الله ان يراك قتيلاً، في قضايا أخرى تتنزل الملائكة عليه وتقول كلمة من هذا القبيل...

وهكذا في طريقه الى العراق تأخذه حالة فيسمع مناديا يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير بهم...﴿٢﴾ هذا كله ارتباطات بين عالم الغيب وعالم الإمام الحسين.. وعالم الشهادة؛ لكي تُثبَت من هناك هذا الإنسان الكامل والمعصوم.

فالقضية بحسب طبيعتها كبيرة ومهمة وثقيلة... فالغيبية بهذا المعنى لا بأس بها؛ لأنه هناك توجه خاص من قبل عالم الغيب، وهذا التوجه قبل قيام الحسين بقضيتة هناك نصوص دينية تؤكد ان آدم بكى على الحسين والأنبياء السابقون بكوا الإمام الحسين، والملائكة بكوا في السماء. روايات موجودة عن كل هذه المعاني فكلها مقبولة وصحيحة لماذا؟﴿٣﴾

﴿١﴾ تقدم الكلام عن نظرية السيد الشهيد في طبيعة أهداف الثورة الحسينية، فراجع.

﴿٢﴾ انظر: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العبكري البغدادي، الارشاد، ج٢ ص٨٢، م س.

﴿٣﴾ جمعنا من هذه الروايات ما يقرب من مائة وعشرين رواية. وهي مشروع كتاب بعنوان ﴿الحسين والأنبياء﴾، نسأله تعالى أن يوفقنا لخدمة سيد الشهداء عليه السلام بإنجازه.

لأن القضية لها هذا المقدار وأكثر من هذا من القيمة والأهمية والعمق والدور في حياة البشر، بحسب الحقيقة عمق التضحية والفداء الذي قام به الإمام الحسين في سبيل عالم الغيب وفي سبيل الله.. وهي أعلى تضحية قدمت في هذا المجال من قبل البشرية، بحيث لا توجد أية قضية تناظر وتساوي قضية الحسين في هذه النقطة بالذات، وهذا شيء أيضاً موجود في الروايات[1]. ان قضية الحسين فوق جميع القضايا الأخرى. فأن يكون لعالم الغيب توجه خاص لمثل هذه القضية، وارتباط خاص بها، وإعداد خاص... هذا شيء لا بأس به.. هذا شيء نعتقد به ونؤمن به، إلا ان هذا غير ذلك التفسير المحدود الناقص الذي يجعل من القضية حكماً خاصاً مخصوصاً بشخص معين خاص ولا يتجاوزه الى غيره... تلك النظرية نظرية غير صحيحة.

النظرية الثانية ــ التفسير السياسي:

هذه النظرية الأولى مع الملاحظات عليها، توجد في قبالها نظرية ثانية على عكسها تماماً تفترض ان القضية كانت قضية بشرية، وان دوافع القضية دوافع واضحة بشرية اجتماعية، وكانت هذه الدوافع عبارة عن الإستيلاء على السلطة واقامة الحكم الإلهي والإسلامي في الأرض. الإمام الحسين كان يستهدف.. وكان دافعه من حركته المباركة ان يقيم حق الله، ويأخذ الحق الذي أغتصب منه ومن الأئمة، واغتصبه المنحرفون والظالمون فيرجع الحق الى نصابه.

كان هذا هو الدافع، ويقول صاحب هذه النظرية: ان الإمام الحسين خطط من أجل الوصول الى هذه النتيجة، وبحسب منطق الأحداث ــ المنطق البشري الاجتماعي الذي يعرفه أهل الحل والعقل ــ كان مخططه ان يستولي على السلطة..

﴿١﴾ عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحسين بن علي عليهما السلام وهو مقبل، فأجلسه في حجره وقال: إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدا، ثم قال عليه السلام: بأبي قتيل كل عبرة، قيل: وما قتيل كل عبرة يابن رسول الله؟ قال: لا يذكره مؤمن إلا بكى. انظر: الميرزا النوري، حسين، مستدرك الوسائل، ج١٠ ص٣١٨، م س.

وكان تخطيطه هذا. والمقدمات التي أعدها وأمر بها كانت توصله الى هذه النتيجة، فكانت حركة الإمام الحسين ثورة على الظلم والطغيان والباطل بقصد الاستيلاء على الحكم، وكان هذا دافعه عندما تحرك من المدينة الى مكة والى العراق.. كان دافعه هذا. وبالعلم العادي كان يرى ان هذا الشيء سوف يتحقق فاندفع، كما ان النبي كان يرى انه سوف يغلب الكفار في غزوة أحد، فاندفع الى الحرب مع الكفار، إلا انه بحادثة ما انكسر المسلمون واندحروا في واقعة أحد مثلاً... كذلك الإمام الحسين عندما خرج الى العراق خروجه كان كخروج النبي الى أحد، كخروج الإمام علي بن أبي طالب الى صفين لمحاربة الأمويين ومعاوية وزمرته.

نفس الدوافع التي دفعت بالإمام ان يخرج الى صفين ان يقاتل معاوية.. نفس الدوافع أيضاً كانت موجودة في ضمير الإمام الحسين دفعته الى ان يتوجه الى العراق؛ لأن في العراق شيعة له منذ زمن الإمام الحسن وبعده، وقبل موت معاوية وبعد موته، طلبوا منه القدوم وكانوا موالين ومتأثرين بمدرسة الإمام علي عليه السلام دعوه الى الثورة وان يرفض هذا النظام ويطيح به.. كانوا هم مستعدين أيضاً ان يكونوا جنوده؛ فاندفع اندفاعاً عقلائياً واضحاً كاندفاع النبي والإمام عندما خرج الى أحد، إلا انه شاءت المشيئة الإلهية والصدفة والمتغيرات. في هذا الاندفاع عندما يصل الى نهايته يبتلي ببعض المتغيرات فلا يصل الى النتيجة المستهدفة، كما لم تصل معركة صفين الى النتيجة المستهدفة من قبل الإمام علي، بالعكس كانت النتائج على الإسلام ، بحيث أدت الى حصول مشكلة الخوارج والنهروان وبالتالي قتل الإمام نفسه، هذا من قبيل ذاك.

هذه نظرية أخرى أيضاً يطرحها بعض الكتّاب الشيعة، هذه النظرية أيضاً ليست صحيحة بهذا الترتيب وبحاجة الى تمحيص.

المحاضرة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿١﴾

تحدثنا في بعض الليالي السابقة عن دوافع ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وبعد استبعاد التفسيرات الفاسدة والمنافية لمعتقداتنا في حق الأئمة عليهم السلام قلنا: ان هناك ثلاث نظريات وتفسيرات مطروحة أو يمكن ان تطرح لشرح وتبيين دوافع هذه الثورة المباركة. تحدثنا عن النظرية والتفسير الغيبي مع المناقشات التي تقدمت. فننتقل الى التفسير الثاني ما سميناه بـ﴿النظرية السياسية﴾ في شرح دوافع الثورة الحسينية.

التفسير السياسي: يدعي أصحاب هذا التفسير وهذه النظرية ان التحرك الذي قام به الإمام العظيم كان يخطط من ورائه استلام الحكم والسلطة لإقامة حكم الله في الأرض.

طبعاً لا بد ان يعلم ويعرف أن أصحاب هذا التفسير وهذه النظرية لا يريدون من هذه النظرية ان الإمام الحسين كان دافعه التسلط والتأمّر على الناس، فإن هذا خلاف منطق الحسين، ولا يتناسب مع مقام الحسين وعصمة الحسين، هذا واضح، انما كان تخطيطه ان يقيم حكم الله في الأرض، يستلم السلطة من باب ان استلام السلطة والحكم هو الطريق الشرعي بالنسبة للمعصوم لإقامة حكم الله في الأرض، حيث ان الرسالة وأحكامها وانظمتها في زمن المعصوم لا يمكن ان تقوم إلا من خلال حاكمية المعصوم وخلافته وحكومته على الناس... فالهدف السياسي هو استلام السلطة الذي كان يخطط له الإمام الحسين كان بدافع التكليف الشرعي، وبدافع من أداء المسؤولية القيادية الملقاة على عاتق المعصومين. مثل موقف النبي حينما كان يتصدى لاستلام السلطة في المدينة وفي مكة لإقامة الحكم الإسلامي في

﴿١﴾ الهاشمي، محمود، محاضرات في الثورة الحسينية، ص٥٥، م س.

الأرض، عندما فتح مكة ـ مثلاً ـ كان يريد ان يتسلط بما هو نبي لا بما هو سلطان. وبما ان هذه السلطة هي الطريق المنحصر ـ بحسب الحقيقة، سيما في تلك الفترات ـ لإقامة حكم الله في الأرض، إذن فلا ينبغي أن يُتصور ان هذا التفسير السياسي يُقصد منه ان الإمام الحسين كان ينوي التسلط على الناس، بل كان ينوي إقامة حكم الله في الناس، وهو متوقف على ان يكون هو ولي أمر الناس كما كان تشريعاً وقانوناً هو ولي أمرهم.. لا بد لهذا الولي التشريعي أن يكون ولياً بالفعل وماسكاً زمام الأمور، ومبسوط اليد بالفعل لكي يمكن أن يقوم بأعمال الولاية وأعباء القيادة والخلافة والمسؤولية الملقاة على عاتقه.

إذن فاستلام السلطة كان بدافع التكليف الشرعي وتحمل المسؤولية الرسالية، ويقول أصحاب هذا التفسير: ان الإمام الحسين تحركه منذ البداية كان واضحاً.. انه من أجل الوصول الى هذا الهدف. وبما هو إنسان وبشر كان يخطط للوصول الى هذا الهدف الرسالي وهو استلام السلطة وإرجاع قيادة التجربة الإسلامية الى أصحابها وأوليائها والشرعيين، وإقامة أحكام الله بالشكل الصحيح الكامل، وكان التخطيط والتحرك من أجل الوصول الى هذا الهدف، إلا انه بعد ان مشى في هذا الهدف ووصل الى العراق نتيجة بعض المصادفات والاتفاقات انعكس الأمر، ولم يصل هذا التخطيط الى نهايته، بل انقلب أهل الكوفة عليه فانتهى الى ذلك المصير المأساوي المفجع.

ففرق بين ان نشخص ما هو تخطيط الإمام الحسين وبين أن الإمام الحسين توصل الى هذه النتيجة أو لم يصل، ربما كان تخطيط الإمام ودافع الإمام وتحركه هو الوصول الى نتيجة معينة، لكنه من خلال التحرك الى تلك النتيجة في الأثناء ينكشف ان تلك النتيجة لا يمكن الوصول اليها او تعترض بعض العقبات التي تمنع الإمام من الوصول الى تلك النتيجة. يقول الإمام علي عليه السلام عرفت الله بفسخ العزائم ونتف

الهمم[1]، فكون الإمام الحسين خطط للوصول الى هذه النتيجة، لا يلازم ان هذه النتيجة حتماً سوف تتحقق؛ بدليل ان الإمام علي بن أبي طالب، أيضاً خطط لأن يزيل معاوية من الحكم ويحاربه ويسقطه في حرب صفين.. جيّش الجيوش، وخطط، وأخرج الناس الى حرب صفين، ووقعت المعركة وكثر القتلى والضحايا، إلا ان النتيجة ماذا كانت؟ كانت لصالح معاوية، بعد ما اعترض الطريق لعبة معاوية وعمر بن العاص، ومسألة التحكيم ورفع المصحف وكل تلك المسائل.

فالتصدي والتخطيط لاستلام الحكم من قبل إمام ما لا يعني ان تلك النتيجة لا بد وان تتحقق، ربما لا تتحقق تلك النتيجة؛ لأن هؤلاء في عملهم الإجتماعي كما اشرنا إليه لا يخرجون عن الجانب البشري في العمل مع الناس، ومن خلال الأمة.. ومع الأمة لا يخرج النبي أو الإمام عن كونه بشراً ولا يعمل على الغيب والوسائل الغيبية إلا في بعض الحالات الخاصة، بان يكون هناك توجه إلهي خاص الى عالم الشهادة فتأتي مبادرة غيبية وتسعف الموقف، وإلا فبشكل عام عمل الأوصياء والأنبياء والأئمة في المجتمعات، العمل الإجتماعي والتغيير الإجتماعي يكون طبعاً لنفس الأساليب والوسائل البشرية، النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطط في معركة أُحد لحرب المشركين واخرج الناس الى هذه الوقعة، مع ذلك النتيجة كانت لصالح المشركين والجيش الإسلامي اندحر، فلا يعني عدم النجاح لظروف طارئة، أو لخصوصيات، أو خلل في الناس، أو بعض الجوانب الخارجة عن اختيار النبي أو الإمام المعصوم ان الإمام لم يكن يخطط، فقضية الحسين تشبه قضية صفين والإمام علي بن أبي طالب، وقضية النبي في معركة أُحد؛ فالحسين كان مخططاً نتيجة ما كان يعلم به من اكتمال الشرائط اللازمة في الأمة للتحرك ضد السلطة، والثورة ضد الطاغين الحاكمين. كان بحسب القنوات التي من خلالها كان يرتبط بالناس.. بأهل الكوفة والموالين والشيعة، غير ان الأرضية متغيرة...

﴿١﴾ ﴿عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحل العقود﴾. انظر: نهج البلاغة، خطب الامام علي عليه السلام، ج٤ ص٥٤، م س.

أرسل مسلما ووقع ما وقع في الكوفة، انعكس الأمر،مكائد ابن زياد وحيله، والدجل الذي مارسه في مقابل مندوبه مسلم الذي لم يقتله غيلة في بيت هاني بن عروة ﴿تلك الألاعيب الشيطانية﴾، استطاعت ان تقلب القضية ولا يصل هذا التخطيط الصادر من الحسين الى النتيجة، إلا ان الخيبة وقعت في النهاية بعد ما كان الإمام مصمماً على المجيء ومتوجهاً الى العراق، ولهذا وصل اليه هذا الخبر وهو قريب من العراق، هكذا يقول أصحاب هذا التفسير.

وقد حاول أصحاب هذه النظرية أن يستدلوا على هذا التفسير ببعض النصوص الصادرة من الإمام الحسين نفسه عليه السلام. قبل ان ندخل في هذه النصوص توجد نقطة في هذه النظرية أو هذا التفسير تعتبر إيجابية الى حد ما.

امتياز التفسير السياسي على التفسير الغيبي:

ان هذا التفسير يجعل قضية الحسين:

أولاً: قضية معقولة اجتماعياً، وعلى مستوى الرأي العام معقولة، لا أنها كالتفسير الأول قضية غيبية مبهمة، ومن الأمور الخاصة، ومختصة بالمعصومين.

وثانياً: من مميزات هذا التفسير من التفسير الغيبي انه سوف يكون لقضية الحسين مدلول روحي ورسالي، تثبت ان المسؤولية الرسالية والتكليف السياسي من جملة التكاليف المتوجهة الى كل مسلم؛ لأنه يجعل من القضية المأساوية ولهذه القضية الكبيرة هدفاً مشخصاً واضحاً سياسياً، وهو استلام الحكم. ولهذا يثبت للناس ان مسألة استلام السلطة، استلام الإسلام للسلطة، من أساسيات الرسالة، وأصول الرسالة، والتكاليف الشرعية؛ فليس الرسالة الإسلامية عبارة عن مجموعة تكاليف وأحكام مرتبطة بالجانب الفردي للإنسان، صلاة.. صوم.. حج.. وعبادات من هذا القبيل... بل هناك مسؤوليات أخرى وتكاليف أخرى، هذا التكليف له أولوية على كل التكاليف الأخرى، وهو التكليف السياسي والمسؤولية السياسية للإنسان، كل انسان مسلم كما هو مكلف بأن يصلي، ويصوم، ويحج، عليه ان يقيم

حكم الله في الأرض، ويسعى لذلك لكي يكون النظام نظاماً إسلامياً، والشخص الحاكم واجداً للحاكمية الإسلامية، ومطبقاً لمبادئ الإسلام، هذه من المسؤوليات الملقاة على عاتق كل فرد، والإمام الحسين لهذه المسؤولية قد تحرك، إذن فهذه المسؤولية من أعظم التكاليف الشرعية، التكليف الذي يحرك الإمام الحسين، ويجعله يعطي ويبذل دمه، وأهله، وعشيرته، وو...

إذن يدل على ان هذا التكليف من أصول المسؤوليات الشرعية والتكاليف، بحيث قدمها الإمام على كل الأعمال الأخرى، والتكاليف الشرعية التي يمكن ان يمارسها لو بقي حياً وترك هذا الجانب السياسي والاجتماعي من وضع الأمة الإسلامية، وانشغل كما انشغل البعض الآخرون بالصلوات والعبادات في المساجد، اقتصروا على الأعمال الفردية والشخصية، ففي هذا التفسير توجد هذه الميزة والإيجابية، وهو ان هذا التفسير يعلمنا هذا الدرس، درس ان الجانب السياسي والعمل الإجتماعي السياسي من أركان الواجبات الشرعية، وأي فرد مسلم يجب ان لا يدع هذا الجانب ويتركه،ويتصور ان الرسالة الإسلامية لا تضمن إلا الإشتغال بالجوانب الفردية والإجتماعية البعيدة عن الجانب السياسي، هذا المفهوم الذي أوجدته السلطات في اذهان المسلمين، مفهوم الفصل بين الدين والسياسة، هذا المفهوم ليس مفهوماً جديداً، ليس من المفاهيم التي طرحها الإستعمار اليوم، بل قد طرحه بنو أمية أيضاً، تقرؤن في التاريخ انه كانت تأتي الأم والأب ويأخذون بيد ابنهم ويقولون مالك وشغل السلاطين، كان هذا المفهوم مطروحاً من قبل السلطة الجائرة.. كان مطروحاً ان السياسة والسلطة ليست من أمور الدين، وليست واردة ضمن مسؤوليات إنسان مسلم، هذا المفهوم طرحه بنو أمية أيضاً لفصل الدين عن السياسة، وجعل الساحة السياسية ملكا مطلقا لهم، لا يفكر فيها ولا يزاحمهم أحد من المسلمين بدافع التكليف الشرعي، هذا التفسير لقضية الحسين، فيه هذا الإمتياز.. انه يجعل من القضية السياسية قضية رسالية محورية تتقدم على كل المسؤوليات الشرعية الأخرى، وعلى كل الواجبات الفردية الأخرى.

هذه نقطة [إيجابية] من هذا التفسير، ولعل صاحب هذا التفسير اصر عليه أو بعض من قالوا بهذا التفسير انما أصروا على هذا التفسير من أجل هذه الميزة. وهذا الإمتياز وهذه الدلالة التي نستطيع ان نستوحيها ونستفيدها من هذا التفسير لقضية الإمام الحسين عليه السلام.

[أدلة النظرية السياسية]

وأما الأدلة والشواهد التي يستشهد بها أصحاب هذه النظرية على نظريتهم فكثيرة، من جملة الشواهد:

[١] نفس إرسال مسلم الى الكوفة.. والإمام الحسين لو كان يريد ان يستشهد وكان يعلم ان هذا الطريق طريق ينتهي به الى الشهادة، فلماذا يبعث مسلما الى الكوفة وهو سوف يستشهد؟ بعث رسولاً الى الكوفة ليفاوض الناس أربعين يوماً، وفاوض مسلم الناس في الكوفة، وفحص المسألة، ودرس وضع الأمة والموالين، ثم كتب الى الإمام الحسين ﴿ان الرائد لا يكذب أهله فأقدم على جند لك﴾[١]، صدَّقَ الكتب التي كانت قد وصلت الى الحسين عليه السلام، قبل إرسال مسلم. أرسال مسلم معناه ان الإمام كان يحتمل احتمالاً قوياً كبيراً، ان المسألة مسألة واقعية، وان الأرضية وجدت، وان المسألة مستعدة للقيام بتحرك إسلامي جماهيري قوي يسقط النظام الحاكم على المسلمين. هذا يجعلونه من جملة الأدلة والشواهد...

[٢] من جملة الأدلة التي يذكرونها في هذا المجال، التصريحات الصادرة من الإمام الحسين نفسه، يوجد هناك الكثير من التصريحات التي تدل على ان الإمام الحسين كان يستهدف من تحركه هدفاً سياسياً، هذا الهدف بالمعنى الذي أشرنا اليه. مثلاً من جملة النصوص الصادرة من الإمام الحسين ما ينقله الطبري أنه خطب في مكة أو في المدينة خطبة من جملتها هذه الكلمات: ﴿اما بعد فإن الله اصطفى محمداً على خلقه، وأختاره لرسالته، ثم قبضه الله اليه، وكنا أهله وأوصياءه وأحق الناس بمقامه في الناس؛ فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا، وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية،

﴿١﴾انظر: ابن كثير، اسماعيل ابو الفداء، البداية والنهاية، ج٨ص١٦٣، م س.

ونحن نعلم انا أحق بذلك الحق ممن تولاه، وقد بعثت رسولي ﴿هذا كتاب وليس خطبة كتاب لأهل الكوفة بعثه مسلم﴾ وقد بعثت رسولي إليكم مع هذا الكتاب، وأنا أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنة قد أميتت، وان البدعة قد أحييت، وان تسمعوا أمري وتطيعوا قولي أهدكم سبيل الرشاد﴾﴿١﴾. يقول صاحب هذه النظرية ان هذه الرسالة واضحة في الدلالة على أن الإمام الحسين كان يستهدف الإطاحة بالحكم، وكان الغرض والهدف من حركته إطاحة الحكم الجائر المنحرف، واستلام المقام والحق الشرعي الذي هو حقهم، والذي من دونه لا يمكن إقامة حكم الله ولا يمكن تطبيق شريعة الله بالشكل الكامل التام في الطريق.

[٣] من جملة الشواهد التي يستشهد بها، رسالة أخرى بعثها مع شخص آخر عندما تحرك من مكة الى العراق﴿٢﴾، أيضاً ينقلها الطبري: ﴿اما بعد فان كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألت الله ان يحسن الصنيع ويثيبكم على ذلك أعظم الأجر﴾﴿٣﴾.

واضح ان الرسالة مليئة بالدلالة على ان الحسين كان يستهدف الإطاحة بالحكم، وكان يدعو الله للذين اجتمع شملهم وملئهم واجتمعوا على نصرته وإرجاع حقه اليه، وكله تفاءل وأمل، ﴿وقد شخصت اليكم من مكة يوم الثلاثاء بثمان مضين من ذي الحجة يوم التورية، فإذا وصلكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدوا، فاني قادم عليكم في أيامي هذه﴾.

[٤] أيضاً يستدلون برسالة أخرى بعثها الإمام مع مسلم الى الكوفة، ولعل هذا تكملة الرسالة السابقة﴿٤﴾... حينما يقول: ﴿قد بعثت رسولي إليكم وأنا

﴿١﴾ انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص٢٦٦، م س.

﴿٢﴾ بل في الطريق عندما بلغ الحاجز من بطن الرمة، بعد أن وصله كتاب مسلم بن عقيل عليه السلام. وكان قد بعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي. انظر: م ن، ج٤ ص٢٩٧.

﴿٣﴾ م ن، ج٤ ص٢٩٧.

﴿٤﴾ بل هي من الناحية التاريخية أول رسالة بعث بها الحسين عليه السلام الى أهل الكوفة، وكانت مع مبعوثه مسلم بن عقيل عليه السلام. انظر: م ن، ج٤ ص٢٦٢.

أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه فإن السنة قد أميتت وإن... الى أن يقول فان كتب الي قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا منكم على ما قدمت به رسلكم، أقدم اليكم ان شاء الله، فلعمري مالإمام إلا العامل بالكتاب، والقائم بالقسط، والدائن بدين الحق والصلاح﴾﴿١﴾ .

هذا واضح في ان الإمام الحسين بعث مسلماً من أجل ان يستطلع الوضع، ويرى ان الملأ وذوي الحجا واقعاً مستعدون للحرب، والنهوض بهذا العبء الثقيل، حتى هو يتحرك أيضاً، وقد علق المسألة على اخبار مسلم: ﴿إذا أرسل لي قد اجتمعت الكلمة سوف أقدم عليكم وشيكا﴾، يؤكد الكلمة ويعطي المفهوم ويقول: ﴿فلعمري مالإمام إلا العامل بالكتاب﴾، هذا الشخص الذي هو الآن متصدٍ يزيد، ليس صالحاً وعاملاً بالقسط، يعطي المفهوم الذي أشرنا اليه وهو انه لا يريد ان يكون أميراً عليهم ومتسلطاً وحاكماً، بل من أجل إقامة الكتاب والقسط.

[٥] أيضاً يستشهد صاحب هذه النظرية، ان للإمام خطبة في يوم عاشور في كربلاء عندما يدعو على أهل الكوفة الذين كتبوا له الرسائل وبعثوا له الرسائل ثم غدروا به.

قال: ﴿... تباً لكم أيتها الجماعة، وترحا أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم مرجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً أقدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم ألبا لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل افشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلا لكم الويلات، تركتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحسن﴾﴿٢﴾.

مما يدل على ان مجيء الإمام من المدينة كان من أجل إقامة حكم الله في الأرض نتيجة الطلب الذي طلبه [الكوفيون].

هذه وأمثالها من الشواهد يستشهد بها أصحاب هذا التفسير الثاني ﴿التفسير

﴿١﴾ انظر: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العبكري البغدادي، الارشاد، ج٢ ص٣٩، م س.
﴿٢﴾ الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ص٢٤٠، م س.

السياسي﴾، على أن الدافع الحقيقي والسبب الذي من أجله تحرك الإمام الحسين والهدف الذي خطط له في حركته انما هو إقامة حكم الإسلام، والإطاحة بالحكم الطاغوتي.

انا كنت أتصور ان هذه النظرية من النظريات المستحدثة، لكني في مراجعة كتاب البحار في الجزء الخامس والأربعين رأيت ان صاحب البحار ينقل مقطعا عن كتاب تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى، ويذكر فيه نفس هذا التفسير.

مقطع عن كتاب تنزيه الأنبياء:

قال السيد رضي الله عنه **في كتاب تنزيه الأنبياء:** ﴿فإن قيل ما العذر في خروجه من مكة بأهله وعياله الى الكوفة والمستولى عليها أعداؤه، والمتأمّر فيها من قبل يزيد اللعين منبسط الأمر والنهي؟ وقد رأى صنع أهل الكوفة بأبيه وأخيه، وانهم غادرون خوانون، وكيف خالف ظنه ظن جميع نصحائه في الخروج، وابن عباس رضي الله عنه يشير اليه بالعدول عن الخروج، ويقطع على العطب فيه، وابن عمر لما ودعه يقول له: أستودعك الله من قتيل... الى غير ذلك ممن تكلم في هذا الباب، ثم لما علم بقتل مسلم بن عقيل وقد انفذه رائدا له. كيف لم يرجع ويعلم الغرور من القوم، وتفطن بالحيلة والمكيدة ثم استجاز ان يحارب بنفر قليل لجموع عظيمة خلفها مواد لها كثيرة؟ ثم لما عرض عليه ابن زياد الأمان وان يبايع يزيد كيف لم يستجب حقناً لدمه ودماء من معه من أهله وشيعته ومواليه؟ ولم ألقى بيده إلى التهلكة؟ وبدون هذا الخوف سلم أخوه الحسن الأمر الى معاوية، فكيف يجمع بين فعليهما في الصحة؟

الجواب:

قلنا قد علمنا ان الإمام متى غلب على ظنه انه يصل الى حقه والقيام بما فوض اليه بضرب من الفعل وجب عليه ذلك، وان كان فيه ضرب من المشقة يتحمل مثلها تحملها. وسيدنا ابو عبد الله، لم يسر طالباً للكوفة إلا بعد التوثق من القوم وعهود وعقود، وبعد ان كاتبوه طائعين غير مكرهين ومبتدئين غير مجيبين،

وقد كانت المكاتبة من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرائها تقدمت اليه في أيام معاوية وبعد الصلح الواقع بينه وبين الحسن، فدفعهم وقال في الجواب: ما وجب. ثم كاتبوه بعد وفاة الحسن ومعاوية باق فوعدهم ومنّاهم، وكانت أيام معاوية صعبة لا يطمع في مثلها، فلما مضى معاوية وأعادوا المكاتبة، وبذلوا الطاعة، وكرروا الطلب والرغبة، ورأى من قولهم على ما كان يليهم في الحال من قبل يزيد وتسلطهم عليه، وضعفه عنهم ما قوّى في ظنه أن المسير هو الواجب تعين ما فعله من الاجتهاد والتسبب، ولم يكن في حسابه ان القوم يغدر بعضهم، ويضعف أهل الحق عن نصرته، ويتفق ما اتفق من الأمور الغريبة. فإن مسلم بن عقيل لما دخل الكوفة أخذ البيعة على أكثر أهلها، ولما وردها عبيد الله بن زياد لعنه الله وقد سمع بخبر مسلم ودخوله الكوفة، وحصوله في دار هاني بن عروة المرادي على ما شرح في السيرة.. وحصل شريك بن الأعور بها جاءه ابن زياد عائداً، وقد كان شريك وافق مسلم بن عقيل على قتل ابن زياد عند حضوره لعيادة شريك، وأمكنه ذلك وتيسر له فما فعل، وأعتذر بعد فوت الأمر الى شريك بأن ذلك فتك وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان الإيمان قيد الفتك. ولو كان فعل مسلم من قتل ابن زياد ما تمكن منه ووافقه شريك عليه لبطل الأمر ودخل الحسين عليه السلام الكوفة غير مدافع عنها، وحسر كل أحد قناعه في نصرته، واجتمع له ما كان في قلبه ونصرته وظاهره مع أعدائه، وقد كان مسلم بن عقيل لما حبس ابن زياد هانيا سار اليه في جماعة من أهل الكوفة حتى حصره في قصره وأخذ بكظمه، وأغلق ابن زياد الأبواب دونه خوفاً وجبناً حتى بث الناس في كل وجه يرعبون الناس ويرهبونهم ويخذلونهم عن نصرة ابن عقيل، فتقاعدوا عنه وتفرق أكثرهم حتى أمسى في شرذمة، وانصرف وكان أمره ما كان. وانما أردنا بذكر هذه الجملة ان أسباب الظفر بالأعداء كانت لايحة متوجهة، وان الاتفاق السيء عكس الأمر الى ما يرون، ومن صبره واستسلامه وقلة ناصره على الرجوع الى الحق ديناً أو حميته فقد فعل ذلك نفر منهم حتى قتلوا بين يديه شهداء، ومثل هذا يطمع فيه ويتوقع في أحوال الشدة.

فأما الجمع بين فعله وفعل أخيه الحسن عليه السلام فواضح صحيح؛ لأن أخاه سلم كفاً للفتنة، وخوفاً على نفسه، وأهله، وشيعته، وإحساسا بالغدر من أصحابه، وهذا لما قوى في ظنه النصرة ممن كاتبه، وواثق له، ورأى من أسباب قوة انصار الحق، وضعف انصار الباطل ما وجب معه عليه الطلب والخروج؛ فلما انعكس ذلك وظهرت إمارات الغدر فيه وسؤ الاتفاق، رام الرجوع والمكافة﴿١﴾ والتسليم كما فعل أخوه عليه السلام، فمنع من ذلك وحيل بينه، فالحالان متفقان إلا ان التسليم والمكافة عند ظهور أسباب الخوف لم يقبلا منه، ولم يجب الى الموادعة وطلبت نفسه عليه السلام فمنع منها بجهده حتى مضى كريماً الى جنة الله ورضوانه، وهذا واضح لمتأمله﴾﴿٢﴾.

ان هذا التفسير يرجع الى التفسير الأول الذي شرحناه وهو التفسير الغيبي، على كل حال هذا التفسير هو التفسير الثاني بحسب تسلسل العناوين التي بيناها.

التحفظات تجاه التفسير السياسي:

هذا التفسير رغم ما فيه من امتياز أشرنا اليه، ورغم الشواهد التي يمكن ان تذكر وذكروها، لتثبيت هذا التفسير لدوافع ثورة الإمام الحسين، رغم ذلك لا يمكن المساعدة عليه باعتبار عدة خصوصيات وعدة ملاحظات.

الملاحظة الأولى: ان هذه الشواهد التي يذكرها هؤلاء قسم منها قابل للتفسير على أساس تفسير ثالث وعلى ضوء نظرية ثالثة وهي النظرية التي سميناها بالنظرية التاريخية الرسالية، هذه النصوص صحيح فيها دلالة على أن الإمام الحسين كان يصرح أمام الناس: ان الحق لا بد وان يرجع الى أهله: وان الحاكمية والخلافة لا تكون إلا لأهلها، وان هؤلاء الحكام ظلمة لا يقيمون كتاب الله، ولا يقيمون القسط في الأرض، ولا بد وان يعاملوا وان يسقطوا عن هذا المنصب الذي أخذوه ظلماً

﴿١﴾ ربما يعني الكف عن الإستمرار

﴿٢﴾ الشريف المرتضى، ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي، تنزيه الأنبياء، ط الثانية ١٤٠٩هـ، الناشر: دار الأضواء - بيروت، ص ٢٢٧.

وعدواناً.

إلا أن هذا لا يعني ان الدافع الحقيقي للإمام الحسين كان منحصراً بهذا، ولا يعني ان الإمام الحسين منذ تحركه يتصور أو يظن ظناً قوياً أو يعلم علم اليقين سوف لا يستشهد... هذه النصوص وهذه الكلمات كلها قابلة للتفسير على التفسير الثالث؛ لأن الإمام الحسين حتى إذا كان مصمماً على ان يقوم بعملية واقعها الإنتحار والإستشهاد لغرض سوف نشرحه في النظرية الثالثة، لغرض جعل الأمة تاريخياً في مسارها الصحيح، أيضاً لا بد وان يعطي لحركته معنى معقولاً ويبين لحركته وثورته مغزى رساليا إسلامياً، ليبين الحقيقة، فإن حقيقة المحنة والمشكلة كانت مشكلة الجانب السياسي والإجتماعي من حياة الناس؛ لأنه في تلك الفترة الأمة كأفراد كانوا يطبقون الأحكام الشرعية، كانوا يصومون، ويصلون، ويحجون... كما قال لهم معاوية عندما دخل مسجد الكوفة.. صعد المنبر ثم قال: ايها الناس ما حاربتكم لتصوموا وتصلوا وتحجوا... ﴿١﴾، كانوا في زمن معاوية يصومون ويصلون، فالتكاليف والأحكام الفردية في تلك الفترة كانت مقامة.

هذا الخط القيادي المنحرف كان يؤدي الى ان الرسالة حتى في جانبها الفردي سوف تمسخ على الخط الطويل، إلا ان المشكلة الوقتية في تلك الفترة بالذات لم تكن بادئة في الجانب الفردي وفي مقابل الأحكام الفردية، بل كانت في الجانب السياسي، وهذه حقيقة كانت موجودة في تلك الفترة وهي مشكلة الأمة الإسلامية، أو مبدأ المشكلة ومبدأ انحراف الأمة الإسلامية، والإمام عليه السلام كان يعرف ان هذه المشكلة.. وهذا الانحراف سوف لا ينتهي إلا الى مسخ كل الشريعة وكل جوانبها؛ فهو عندما يطرح المشكلة الحقيقية، يطرح الإسلام الحقيقي للانحراف، يطرح المبدأ الحقيقي للأغراض في التجربة الإسلامية والأمة الإسلامية، هذا لم يكن شيئاً على خلاف الواقع وعلى خلاف المسؤولية الشرعية فهو يطرح هذا.. يطرح ان هذا سوف لم يتحقق بالفعل؛ لأنه هو في تحركه سوف لن يستطع ان يرجع قيادة التجربة

﴿١﴾ الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة، ج٢ ص١٦٤، م س.

الإسلامية والجانب السياسي للرسالة الإسلامية يرجعه الى نصابها، لكنه كونه يعلم انه سوف لن يرجعه الى هذا النصاب، لا يجب ان يطرح، لا، لا بد ان يطرح ويبين للناس ان هذه العملية التي سوف يقوم بها في أجل هذا المبدأ الأساسي الذي هو في الواقع روح الإسلام، ومن دون هذا الحكم وهذا الجانب لا يمكن للرسالة ان تحكم، إلا بعمليات من هذا القبيل، هي تحكم الرسالة، كما حكمت في السابق.

إذن فكونه يطرح مفهوم الحاكمية، وان الحق لا بد ان يرجع الى أهله، وان الإمام العامل في كتاب الله والمقيم بالقسط، هذه المفاهيم التي كان يطرحها، والشعارات التي كان يطرحها لحركته، عنواناً لحركته وثورته، هذه الشعارات لا بد وان تطرح على كل حال حتى ولو كان يعلم بأنه سوف يستشهد، لا بد وان يطرح هذه المفاهيم من أجل ان ينبه الأمة الى منشأ ومبدأ وأساس الخطر، وأهمية هذا الأساس، وان هذا الحق الذي ضيّع من قبل هؤلاء، والحق الذي للأمة أيضاً مساهمة في تضييعه، هذا الحق سوق يؤول الى تلك النتائج الخطيرة، تضييع الحق، لا بد وان يفهم الأمة بذلك، ولا بد ان يطرح الحق أو يستشهد، ولا يقدم الله له ان هو بنفسه يمارس عملية القيادة وعملية الإمامة للأمة الإسلامية، فمن جانب يوعي الأمة على هذا المفهوم ويبين للأمة ان الخطر من أين آتى، وأن الأمة من أين تؤكل والرسالة الإسلامية... يبين هذه الأمور، وفي نفس الوقت بيّن أمراً واقعياً وصحيحاً ولعله بعلمه العادي لا بعلمه الغيبي، بعلمه العادي كان يظن ويرجح في نظره انه يستشهد، هناك احتمال ضعيف انه لا يستشهد، وانه قد يتحقق اتفاق معين والأمة تستطيع ان تنهض وترجع له زمام التجربة الإسلامية، هذا الإحتمال لو كان موجوداً يساعد ان يطرح هذا المفهوم سيما وانهم هم الذين ربونا وعلمونا، ان الله سبحانه وتعالى قد يفدي في بعض الأمور، فدى الله إسماعيل.. ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1] فلعله انه قد ينتهي ـ ولو احتمال ضعيف ـ قد يتوفق في مسك زمام الحكم وإقامة حكم الله بل كان من الضروري ان يطرح هذا الشيء،

﴿١﴾ الرعد: ٣٩.

هـذه الـشعارات وهـذه المفـاهيم... لا تـدل علـى ان التخطـيط كـان تخطيطاً لاسـتلام الحكم فقط ولم يكـن هنـاك أي منظـور آخـر للإمـام وأي هـدف آخـر، وان الإمـام لم يكـن يحتمـل احتمـالاً قويـاً سـوف يستـشهد، لا، قـد يحتمـل أو يتـيقن بحسـب العلـم العـادي.

المشاورات التي شاورها لبعض الصحابة والأصحاب، كـان يظـن انـه سـوف يستشهد مع ذلك يطرح هـذه الشعارات، حتـى تكـون هـذه الـشعارات مربيـة للأمـة، وموعيـة للأمـة علـى المـسؤولية الإسـلامية، وعلـى ان الخطـر مـن أيـن يـأتي، وان الإنحراف في هذا الجانب له آثار ونتائج وخيمة جداً على أصل الرسـالة، وكـان لا بـد ان يطرح.

هذا ما يرجع الى الشواهد التي يستشهدون بها، كل الشواهد مهمـا كثـرت، لا تعين ان الإمام لم يكن مثلاً ـ ما يريد أصحاب هذه النظريـة ـ انـه سـوف يستـشهد أو كـان ضـعيفاً احتمـال استـشهاده، وكـان القـوي في نظـري أنـه سـوف يتوفـق في الإطاحـة بنظـام الطاغيـة يزيـد وسـوف يحكـم الأمـة الإسـلامية، حتـى علـى الجانـب الآخر، هذه التصريحات صحيحة. "هذه نقطة"

الملاحظة الثانية: انـه توجـد شـواهد علـى العكـس، أصـحاب هـذه النظريـة يذكرون قسماً منها، لكن يحاولون ان يناقشوا فيهـا، التـصريحات الـواردة عـن الإمـام الحسين، ﴿شـاء الله أن يرانـي قتـيلاً﴾[1]، ﴿مـن رحـل معـي استـشهد﴾[2] وهكـذا كلمات يناقش فيها صاحب هذه النظرية.. يناقش في سندها ويحققهـا تاريخيـاً، الى ان يصل الى هذه النتيجة: ان هذه الروايات ليس لها أصول صحيحة.

إلا انه نحن بحسب الحقيقـة لا نحتـاج الى تـصحيح لهـذه الروايـات التـي تنقـل عن الإمام الحسين والتي تدل دلالة صريحة على أنه سوف يستـشهد في هـذا الطريـق،

﴿١﴾انظر: ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحسني، اللهوف في قتلى الطفوف، ص٣٩، م س.

﴿٢﴾المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص٥٨، م س.

بحسب تصور أصحاب هذه النظرية، وهناك شواهد أخرى من جملة الشواهد، طبيعة الجريان الذي يقع، إذا إنسان يدرس طبيعة الجريان يستطيع ان يستخلص شواهد على أن الإمام الحسين على الأقل يظن أن لم يكن يتيقن كان يظن أن النتيجة أن هناك استشهاد، وكان في نظره كسب المظلومية وإيجاد ما يدل أمام جمهور المسلمين ان هؤلاء المستولين على الأمور على مستوى كبير من الإجرام والجناية والبعد عن الإنسانية فضلاً عن الإسلام والمبادئ الإسلامية، لو يلاحظ إنسان جريان القضية، يجد ان الحسين مثلاً يخرج معه أهله، أطفاله، كل أفراد أخوته... يأخذهم الى الكوفة، إذا كان له غرض سياسي، ويخطط تخطيطا دقيقا كما يقول صاحب هذه النظرية ويظن ويقطع انه ينجح في عمله السياسي، فأطفال معه ونساء... فهؤلاء ليس لهم دور في التخطيط وهذا الهدف الأساسي، نعم هؤلاء يمكن ان يكون لهم دور في تحقيق الهدف الذي تعينه النظرية الثالثة أو التفسير الثالث، وهو إيجاد النتيجة المأساوية على مستوى كل المبادئ والتصورات تهز مشاعر جميع الناس وتسقط اعتبار الحاكمين والمتسلطين أمام كل منطق وكل التصورات.

فإذا كان الهدف هذا، فهذا يتوقف على أن يأخذ معه أطفاله وعياله ويشحن في المسألة كل ما يمكن أن يزيد في الطين بلة، ويزيد في المأساة مأساة، ويكسب المظلومية الحقيقية للإمام الحسين، ويبرز الأعداء على مستوى أبشع المجرمين وأبشع الناس، هذا النحو والترتيب الذي كان موجوداً في قافلة الإمام الحسين، يشهد على الذي كان منظوره أنه على الأقل ربما يستشهد ان لم يكن كان قاطعاً أنه سوف يستشهد، وانه سوف يضطر الى ان يقوم بهذا الدور، إذا لم يكن قاطعاً منذ البداية فلا أقل هذا كان شيئاً وهدفاً منظوراً له، انه إذا لم يقدم الله سبحانه وتعالى له النجاح يتنزل الى الهدف الثاني إيجاد تلك الهزة ويدخل معه الى المعركة، كل هذه الأمور التي تزيد مأساوية القضية وبشاعة المجرمين من هذا يهتز ضمير الأمة حقيقة هذا من الشواهد.

ومن الشواهد، عدم التراجع بعد العلم بمقتل مسلم[١]، لو كان واقعاً له هدف سياسي فقط، بالمعنى الذي شرحناه، فهو قد علم في الطريق ان مسلماً قتل، ويستطيع ان يتراجع؛ لأن الهدف انتهى إذا كان له تخطيط استلام الحكم وكانت حركته وخطواته متجهة الى هذا الشيء فقط، بحيث لو كان يعلم منذ البداية سوف لن يصل الى النتيجة لم يكن يتحرك، إذن فبعد ان علم في الأثناء، وانتهى اليه غدر أهل الكوفة بمسلم، وقتل مسلم كان لا بد وان يرجع؛ لأنه في غير الكوفة لم يكن له مطيع، نعم في البصرة كان له بعض الموالين ولكن الى ان يصلوا الى الكوفة وعبيد الله بن زياد استطاع ان يقتل مسلماً وهو في الكوفة ويستولي على الأمر، إذن فهو أقدر على الإستيلاء على البصرة ومن يأتي منها، فعلى القاعدة إذا كان هدفه منحصراً في هذا التفسير كانت القاعدة ان يرجع ويترك الأمر... هذا أيضاً من الشواهد، عدم تراجعه بعد علمه بمقتل مسلم، وبعد تأكيد الفرزدق عليه بتلك الكلمة المعروفة ﴿إن الناس سيوفهم عليك﴾[٢] وان الإمام لم يكذب قوله، فكان عليه ان يتراجع، فلم يتراجع.. كان في منظوره هدف أكبر من هذا، لم يكن ينظر الى مسألة الحكم والحاكمية بلحاظ تلك الفترة الزمنية المحدودة في التاريخ الإسلامي، كان له نظر أبعد، كان ينظر الى كل أزمنة الأمة الإسلامية وتاريخ الأمة الإسلامية، وذاك متوقف على عملية أخرى تشرحها النظرية الثالثة. هذا أيضاً من الشواهد...

من جملة الشواهد على هذا الموضوع ان الإمام الحسين ـ عندما نراجع التاريخ ـ نجد انه بادر بهذا العمل بعدما واجه الضغوط من حكام بني أمية في المدينة، لم يبادر بنفسه الى هذا العمل، أولاً وجه اليه الضغوط انه لا بد ان يبايع يزيد حتى كلف يزيد والي المدينة انه إذا لم يبايع يضرب عنقه، بعدما واجه ضغوطا من هذا القبيل من قبل السلطة الجائرة الحاكمة، تحرك هذه الحركة...

﴿١﴾ وصل نبأ مقتل مسلم للحسين وهو في زرود. انظر: المقرم عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص٢٠٨، م س.

﴿٢﴾ الأصفهاني، ابو الفرج، مقاتل الطالبيين، ص٧٣، م س.

وأيضاً هناك كلمات صادرة من الإمام الحسين تبين ان هؤلاء سوف لن يتركوني، ان بني أمية سوف لن يتركوني إلا ان يخرجوا هذه العلقة من جوفي[1]، ان يقتلوه، هذه تعبيرات واردة من الإمام الحسين، فهذا معناه ان تحركه في الواقع منطلق من هذه النقطة، ان هؤلاء سوف يقتلوه ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة[2]، كما كتب من بعثه يزيد الى مكة.. حتى لو كنت متعلقاً بأستار الكعبة سوف يقتلني بنو أمية... انطلق من هذه النقطة، بينما لو كان هدفه أقامة حكم إسلامي بالنحو الذي يقوله أصحاب هذه النظرية؛ لأن الشروط كانت موافية؛ ولأن الشيعة والموالين للإمام الحسين كانوا مؤهلين كما كاتبوه وأرسلوله، فهذا يقتضي ان يتحرك سواء أراد ان يقتله بنو أمية أو لا، بينما الإمام الحسين بحسب هذه التصريحات وحسب ما وقع في تاريخه بدأ حركته بعدما واجه الضغوط وبعدما علم ان هؤلاء الطواغيت سوف يفتكون به على أية حال، ويطلبون منه أما ان يبايع أو يقتل، فليس أمامه إلا أحد خيارين، أما ان يترك الأمة ويذهب الى الهند أو غيرها ويصبح إنساناً مجهولاً، وهذا خلاف أصل المسؤولية الشرعية الملقاة على عاتق كل إنسان، فهذه مسألة من يرجح أصالة السلامة، ويرجح سلامة نفسه على سلامة أمته، ويترك الأمة ويذهب الى منطقة نائية بعيدة، أو الخيار الثاني ان يستشهد بهذا الشكل و يقوم بالهدف التاريخي.. وشواهد أخرى من هذا القبيل بإمكان الإنسان ان يستخلصها من مسيرة الإمام وكلماته تدل أو ترجح ان الإمام الحسين منذ ان تحرك من المدينة ومكة كان قد نصب أمام عينيه فكرة ان هذه الحركة سوف تنتهي الى الاستشهاد، وهذه المسألة مسألة الشهادة والتضحية الجسيمة على هذا المستوى، هذه كانت منظورة لديه، وكانت أمام تمام غرضه وهدفه، أو على الأقل أحد الهدفين لو فرض انه لم يقدر الله سبحانه ان ينجح في استلام الأمر، على الأقل كان هو التكليف الترتيبي الثاني الذي كان مكلفاً به أيضاً من قبل الله والرسالة الإسلامية، وكان لهذا الإستشهاد ولهذه النتيجة دورها التاريخي الذي نشرحه في النظرية الثالثة.

والحمد لله رب العالمين

﴿١﴾ أنظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان، ص٧٠.

﴿٢﴾ انظر: الجلالي، محمد رضا، الإمام الحسين ـ سماته وسيرته، ص٩٣، م س.

المحاضرة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿١﴾

السلام على الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أنصار الحسين ورحمة الله وبركاته، هذه الليلة هي ليلة عاشوراء.. ليلة الذكرى الأليمة العظيمة في تاريخ الإسلام، تلك الذكرى التي تصور لنا كيف ان البشرية التي خلقت من نفس واحدة يمكن ان تصل الى قمة الكمال في جانب وان تنتهي الى منتهى الحضيض في الجانب الآخر. هذه الذكرى، تصور لنا القطبين في مسيرة البشرية وكيف يمكن لهذا الإنسان.. لهذا الكائن والمخلوق من أصل واحد وطينة واحدة كيف يمكن لها ـ نتيجة التربية وبإرادة نفسها ـ ان تصعد وتتسامى الى حيث يعجب الكائنات الأخرى جميعاً الى حيث انتهى اليه الإمام الحسين وأصحابه في تاريخ هذه الذكرى، وأيضاً نفس هذا الإنسان.. نفس هذا النوع من الإنسان يمكن ان تصل به شقوته ان ينتهي الى أرذل المستويات المتصورة في هذه الأرض، كما انتهى اليه القطب الآخر. هذه الذكرى فيها من المعاني المتناقضة... نجد كيف ان هذه المعاني المتناقضة الكمال وأروع القيم في جانب، ومنتهى الخسة والدناءة في الجانب الآخر، وكلاهما صادرة من الإنسان.

النظرية الثالثة: التفسير الرسالي.

كنا نتحدث في الليالي السابقة حول تفسير حركة الإمام الحسين، وتحدثنا بالأمس عن التفسير السياسي لهذه الحركة، طبعاً بالمعنى الرسالي للسياسة، أي السياسة من أجل إقامة حكم الله، وقلنا ان هذا التفسير رغم ما فيه من الامتيازات والنقاط الإيجابية ليس هو التفسير الذي يعكس تمام الواقع وتمام الحقيقة في قضية

﴿١﴾ الهاشمي، محمود، محاضرات في الثورة الحسينية، ص٨٥، م س.

الحسين عليه السلام.

هـذا التفسير تفسير جزئي ومرحلي، ويجعل من هـدف الإمام ومن دافع الثورة الحسينية، دافعاً محدوداً، رغم أنه دافع شرعي صحيح يستحق ان يُبذل في سبيله الدم، إلا ان الدافع الذي نحن نتصوره لهذه الثورة المباركة أعمق وأوسع من هذا، وبالمقدار الذي تسمح الفرصة في هذه الجلسة لنا ان نشرح أبعاد هذه الفكرة نقدم بعض المقدمات لتوضيح هذه النظرية.

الأمر الأول: لا بد من تحويل المفاهيم الذهنية الى إيمان قلبي.

ان الأفكار والمفاهيم والقيم الكمالية والرسالية والإنسانية، هذه إذا ما بقيت علة مستوى المفهوم والنظرية وفي وفق عالم الذهن والعقل والإدراك، لا تستطيع ان تحرك الإنسان، فلا بد لأي مفهوم.. لأية فكرة صحيحة يراد منها ان تكون محركة للإنسان نحو عمل.. نحو موقف.. نحو سلوك.. ان ينزل هذا المفهوم وتنزل الفكرة من عالم الإدراك الذهني المجرد الى عالم القلب والعاطفة والوجدان... لأن الذي يحرك الإنسان إنما هو القلب، ليس العقل المجرد، القلب ما يسميه علم النفس حب الذات هو الباعث والمحرك الأساسي لكل شيء، فالمحرك هو دائماً ما يعبرون عنه ﴿بحب الذات﴾، وهو الشوق والحب والعاطفة، لا الفكرة المجردة، فأية فكرة مهما كانت صحيحة وسليمة وقوية من الناحية النظرية إذا أريد من ورائها ان تكون فكرة فاعلة مؤثرة مغيرة لحياة المجتمع لا يكفي لها ان تكون سالمة وصحيحة من الناحية النظرية، [بل] لا بد وان تكون قابلة لأن تنزل الى عالم وجدان الفرد.. وجدان الإنسان، وتتحول الفكرة الى شوق وحب وتوجه من قبل هذا البعد من أبعاد الإنسان الذي نحن نعبر عنه بالقلب، هذه مقدمة شرحناها في ليلة من الليالي وهناك قلنا لماذا نجد أن الأنبياء استطاعوا ان يغيروا التاريخ ويغيروا البشرية، لكن الفلاسفة لم يستطيعوا أن يغيروا التاريخ مع ان الفلاسفة عندهم من الأفكار والاستدلالات المجردة والمصطلحات لعلها لا تقل عن كتب الأنبياء وأحاديث الأنبياء أو بعض الأنبياء على الأقل، مع ذلك لم يستطيعوا ان يغيروا الإنسانية تغييراً جوهرياً أساسياً مشهوداً في

تاريخ البشرية بمقدار ما يغير الأنبياء، أحد العوامل لهذه الظاهرة في الواقع هو أن الفلاسفة يتكلمون مع العقل المجرد ولا يتمكنون ان ينزلوا من العقل الى عالم القلب ويناجوا ويناغوا قلوب ومشاعر الناس، وأحاسيس الناس، ووجدان الناس، وفطرة الناس، هذه المقدمة.

الأمر الثاني: لا بد من قدوة مجسدة حسية في تربية الإنسان.

إن الإنسان يتأثر ـ لكونه حسيا ـ بالمحسوس أكثر مما يتأثر بالمعقول، يتأثر بالقدوة المجسدة أمامه أكثر مما يتأثر بالمفهوم الخاص، انت تجد انك تارة تبين لشخص تريد ان تربيه وتنصحه وترشده، تعطيه مفهوما من المفاهيم افرض مفاهيم: الأمانة، أن يكون الإنسان أميناً، مفهوم المواساة، مفهوم التضحية في سبيل المبدأ، تارة تشرح له هذه الفكرة كمفهوم، تبين له ان الخيانة من الصفات الرذيلة والأمانة من الصفات القيمة الحميدة، وكذا تشرح له معنى المواساة، هذا التأثير لا يبلغ تلك المرتبة التي تنقل له قصة إنسان أو حكاية إنسان، هذا الإنسان قام بعمل بموقف المواساة، انه واسى إنسانا مظلوماً، عندما تنقل له تلك الحكاية وتلك الواقعة، تجد أن درجة التأثير ودرجة التربية سوف تتضاعف وتتزايد، لماذا؟ لأنه هناك سوف يواجه أمامه إنسانا وقدوة.. سوف يجد أمامه واقعاً مجسداً في الخارج، بينما في الحالة الأخرى لا يوجد غير مفهوم ونظرية، وكم فرق بين أثر النظرية والمفهوم وبين أثر القدوة والتعبير الخارجي، وهذه تنشأ من النزعة الحسية في الإنسان، القدوة معناها هناك شيء محسوس وملموس أمامه.. تأثير الإحساس وانجذاب الإنسان وتأثره به أكثر بكثير من القضية المفهومية المفرغة من التجسيد الخارجي، هذا أيضاً مسألة ثابتة، ولهذا تجدون الأئمة عليهم السلام يؤكدون انْ كونوا لنا دعاة بغير ألسنتكم، أو بأعمالكم[1]. النبي والأئمة عليهم السلام لعلنا نستطيع ان نقول ان نسبة ٨٠٪ من تأثيرهم على البشرية كانت

﴿١﴾ عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية﴾. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢ ص٧٨، م س.

من خلال تجسيدهم، ومن خلال القدوة التي جسدوها لهم من خلال سلوك الواقع المجسد الذي كان يمارسه النبي والإمام والمعصوم والإنسان الصالح في المجتمع الذي كان يعيش فيه، اما إذا افترض أنه كان يقتصر في مقام تغيير المجتمعات وتربية الأجيال على مجرد التعبيرات، والتنظيرات، والمفاهيم، والكليات، والقضايا... لم تكن مؤثرة إلا بنسبة ٢٠٪ ولعلها في بعض الأحيان لا تكون مؤثرة أصلاً أي تأثير، هذه حقيقة تنشأ مما أشرنا اليه من النزعة الحسية في الإنسان وتأثر الإنسان في المحسوس أكثر من تأثره بالقضايا المعقولة المفهومة، هذه أيضاً مقدمة من المقدمات الثابتة.

الأمر الثالث: مرض الفتور في إرادة الأمة الرسالية وروحياتها.

هو ان هنالك مرضاً وبيلاً تبتلي به أكثر الرسالات وأكثر الحضارات البشرية، إذا استعرض الإنسان الحضارات يجد انه قد لا تشذ حضارة بشرية ولا رسالة سماوية منها، حتى الرسالات السماوية قلنا فيما سبق ان الرسالات السماوية أيضاً من خلال الطرق والوسائل البشرية تريد ان تغير المجتمعات، لا من خلال وسائل غيبية، ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾[1].

هناك مرض وخطر يحدق بأية أمة تبدأ نهضتها ونموها بعد فترة، هناك مرض وبيل ينتشر في عروق الأمة، عادة وغالباً ان لم يكن دائماً، هذا المرض هو أن أية رسالة في بداية أمرها لها جذوة ودفعة معينة في نفوس الموالين لهذه الرسالة، قبل بروز الرسالة وشخوصها في الخارج واستيلائها على مقاليد الأمور، هناك حالة من الأمل والطاقة الروحية تدفع الناس الى أن يضحوا في سبيل تحقيق الرسالة التي أعتقدوا وآمنوا بصحتها، بعد فترة عندما تتحقق هذه الرسالة وتحكم، يوجد هناك مرض يسري من خلال نقاط الضعف الموجودة في التركيب البشري، سوف يدب هذا المرض في عروق الأمة الرسالية؛ لأن البشر كأفراد عندهم نقاط ضعف كثيرة.. عندهم أهواء، أساساً الإنسان معجون من الترابية والسماوية، وهناك عنصر مهم في

﴿١﴾ الأنعام: ٩.

وجوده وهو عنصر الأهواء، والنزوات، والشهوات، والمسائل التي تتشعب من جانب النفس الأمارة بالسوء، هذه المداخل للضعف في النفس البشرية في هذه الأمة تبدأ في التفاعل في البروز والشخوص للاستيلاء على الأمة كأمة في داخل جسم الأمة كموجود واحد، أيضاً تبدأ هذه الأهواء تتفاعل وتصعد وتبرز الى السطح، وحينئذٍ تبدأ حالة الفتور في الأمة الرسالية، نجد الأمة الرسالية تبتلى بنفسها بهذه الخصوصيات التي في المرحلة الأولى مرحلة تأسيس الأمة لم تكن ـ هذه الخصوصيات والتفاعلات ـ موجودة بهذه الدرجة، بعد مرور مرحلة التأسيس تبدأ نقاط الضعف البشرية والشيطانية، وتبرز الأهواء وتتفاعل وتحاول ان تسيطر على الوضع، هذا مرض لا ينجو منه البشر والأمة الرسالية، وهذا المرض ليس مرضا مرتبطا بالجانب المفهومي بقدر ما يرتبط بالجانب النفسي والإرادي من وجود الإنسان، ليس هذا ناتجاً من أن المفهوم غير واضح، ان الرسالة أسست مفاهيم، ومعالم الرسالة ثبتت.. هذا ينشأ من المداخل النفسية في أفراد الأمة، نقاط الضعف النفسية والروحية الموجودة في قسم من هؤلاء، تبدأ النقاط بالتعامل والحركة الى ان تؤدي الى ان تصبح الرسالية فاقدة لتلك الحالة من الاستعداد النفسي التي كانت مستعدة لها في بداية أمرها حينما كانت متوجهة نحو تأسيس أصل الرسالة والحضارة التي آمنت واعتقدت بها.

هذه حالة تنتاب المجتمعات البشرية حتى المجتمعات التي رسالتها رسالة ربانية؛ لأن أفرادها بشر، صحيح أن الرسالة ربانية، إلا ان أفرادها بشر، فلهم نفس نقاط الضعف الموجودة في سائر الناس، رغم التربية الرسالية والربانية فإن هذه التربية ربما لا تستطيع في بداية أمرها ـ إذا لم تكن قيادتها ربانية معصومة ـ الى فترة طويلة من الزمن أن تقتلع كل جذور هذه المشاكل وهذه الأمراض من نفسها، هذا أيضاً أمر ثالث.

تفسير سيدنا الشهيد الصدر لدوافع الثورة الحسينية:

من مجموع هذه الأمور نستطيع ان نخرج بتفسير لقضية الإمام الحسين عليه السلام كان يذكره سيدنا ومولانا الشهيد الإمام الصدر، الذي كانت قضية أشبه القضايا في وقتنا الحاضر، وعصرنا الحاضر بقضية الإمام الحسين عليه السلام كان يردد هذا التفسير بشكل وآخر، بين حين وآخر كان يقول أن الإمام الحسين كان يواجه خطراً من هذا القبيل في المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية في حياته.

الأمة الإسلامية بعد ان رباها النبي وأسس الرسالة فيها أسسها كأمة إسلامية رسالية، هذه التفاعلات النفسية ونقاط الضعف تفاعلت وتمخضت عن مسألة السقيفة، فإن مسالة السقيفة عندما يدرسها الإنسان يجدها في الحقيقة ليست إلا عبارة عن بروز عوامل الشر، وعوامل الهوى، وعوامل حب السلطة والإمرة في نفوس المسلمين الذين كانوا يتحركون بين يدي النبي في القتال وفي الجهاد، إلا ان تلك الطاقة الحرارية والروحية التي كانت موجودة لديهم.. هذه الطاقة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحيث أصبحت الأمة أمام إغراء الإمرة والسلطة وهي محنة وابتلاء عظيم، هذه النفوس التي كانت ضعيفة ولا تزال غير متربية تربية كاملة، أخذت تتفاعل هذه النزاعات والأهواء فيها؛ فبرزت مسألة السقيفة وحرفت قيادة الأمة الرسالية والرسالة بالشكل الذي تعرفونه، هذا التحريف أدى ان يتشوش مفهوم القيادة الإسلامية نتيجة أن هؤلاء الذين دب هذا المرض فيهم وأستحوذ الشيطان عليهم، وأغرتهم السلطة، أدت هذه الإغراءات ان يغتصبوا الحق عن أهله، والمسألة كانت في بداية أمرها، وهؤلاء كانوا من الصحابة والأجلاء بحسب الظاهر. تكويناً كان هذا مشوشاً طبيعياً لمسألة الحكم والنظرية إسلامية في الحكم والقيادة والسياسة، بحيث واقعاً كان كثير من الناس يعتقدون أن ما وقع كان إسلامياً؛ لأن هؤلاء هم صحابة رسول الله وهم الذين من خلالهم تأخذ الروايات والأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففعلهم كأقوالهم، كما ان أقوالهم تكون معتبرة في نقل الحديث النبوي، إذن ففعلهم الخارجي يكون معتبراً، كان هناك مناشئ لأن يقع هناك تشويش، ووقع التشويش فعلاً، في أصل مبادئ الإمامة والولاية وتشويش في نوع

الحكم وصيغة الحكم الإسلامي، ومشى التشويش أكثر من هذا، بحيث أعمال عثمان في خلافته التي كانت واضحة انها خلاف أوليات الإسلام، مع ذلك كانت تحمل على نصحه في البداية؛ لأنه خليفة، يجتهد مثلاً، فتارة يخطئ فيكون معذوراً عند الله، هذه المفاهيم بدأت تشوش الذهنية وتشوش أصل الرسالة، وأصل هذا البعد من الجوانب الرسالية الإسلامية الجانب المرتبط بقيادة الأمة وبكيفية الحكم في الأمة الإسلامية.

هذه المشكلة كانت مشكلة فترة ما قبل الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام فترة الإمام علي بن أبي طالب، هذه المشكلة استطاع الإمام علي عليه السلام بحكمه في الفترة القصيرة، ان يصون الرسالة منها، ويدفع خطر هذا المرض المفهومي الذي كان يدب في نفوس الأمة الإسلامية والتي كانت تؤدي الى تشويش هذا الجانب من الرسالة، من خلال حكمه الناصع.. من خلال السنوات الأربع استطاع ان يضرب ويقدم المثل الأعلى لشكلية الحكم الإسلامي العادل، والعدالة السياسية والإجتماعية في الإسلام، ولذلك تجدون منذ البداية كان الإمام عليه السلام حدياً مئة بالمئة الى درجة قد يتصور انه تطرف، فالعناوين الثانوية لم تكن بأي وجه من الوجوه يعملها الإمام عليه السلام [١]، لا تجدون في حياة الإمام السياسية والإجتماعية أية أعمال للعناوين الثانوية، قيل له انت الآن لا تعزل معاوية، وتمضي أو تسكت على الأقل عن تعينات عثمان للولاة إلى ان هؤلاء يعترفون بخلافتك ويبايعونك بعد ذلك وبعد أن يبايع معاوية مثلاً تستطيع ان تعزله، بعد ان أخذت منه البيعة لا يمكن ان يخالف؛ لأنه سوف يناقض نفسه ولا الأمة أو أهل الشام يقبلون منه هذا الشيء، فطرح عليه الزبير أو طلحة أو شخص آخر، طرح عليه عناوين من هذا القبيل، ولكن الإمام لم يقبله منذ اللحظة الأولى، ذلك ولم يراهن ولم يجامل ولم يجر على يديه أية حالة يمكن ان تفسر بهذا الشكل، منذ البداية حاول أن يعطي العنوان الأولي والصيغة

﴿١﴾ الصدر، محمد باقر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، ط ـ سنة ـ، دار التعارف للمطبوعات ـ لبنان، ص٦.

الإسلامية الصحيحة للحكم الإسلامي العادل والقيادة الإسلامية العادلة[1]، لماذا؟ لأنه كان يريد ـ بعمله الذي يجسده في الخارج بحكمه ـ كان يريد ان يدفع تلك الجهات والتشويشات التي كانت قد أصيبت الرسالة الإسلامية بها نتيجة السقيفة، ونتيجة الأعمال التي قام بها الخليفة الأول والثاني ثم بالغ فيها الخليفة الثالث، تلك الأمور التي شوشت الذهنية الإسلامية وشوشت صورة الحكم الإسلامي. لو كان الإمام عليه السلام أيضاً يُعمل العناوين الثانوية لما كان قادراً على ان يصحح ما وقع، الناس عرفوا بطلان تلك الصورة وأنها ليست إسلامية من القيادة والحكم من خلال التطبيق الكامل الحدي الأولي للسياسة والقيادة الإسلامية التي جسدها الإمام في فترة حكمه.

هذه مشكلة الإمام علي عليه السلام والتي عالجها الإمام بهذا الشكل ودفعها، وكان موفقاً في علاجه بهذا المقدار. والإمام الحسن ماذا كانت مشكلته؟ المشكلة التي امتحن وابتلى بها.. مشكلته مشكلة زيف معاوية الذي كان يمتلك من السمعة التاريخية المزيفة، وتاريخ الصحبة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحيثيات أخرى من هذا القبيل، وكونه من قبل الخلافة الراشدة، أمام الناس كان يظهر بمظهر أحد الصحابة، الإمام علي عليه السلام أحد الصحابة هذا أيضاً أحد الصحابة، نعم الإمام عليه السلام أفضل منه، وأرفع منه، وأكثر منه علماً.. ومسائل من هذا القبيل، إلا ان هذا صحابي وذاك صحابي فأمام الناس قابل لأن يلتبس ويشتبه بينهما، ومعاوية كان يستطيع بدهائه ان يشوش على ذهنية الأمة الإسلامية من هذه النقطة، ويجعل من القضية كأنها قضيته صراع بين صحابيين مثلاً، أو صراع بين قبيلتين من القبائل المنتسبة معا الى المسلمين والى قريش والى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتصارعان على الحكم فلا فرق بينهما، إلا ان هذا من الفخذ الهاشمي وذاك من الفخذ الآخر، الناس هذه الشبهة

﴿١﴾ ومن كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان: ﴿والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الاماء لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق﴾.
انظر: نهج البلاغة - خطب الامام علي عليه السلام، ج١ ص٤٦، م س.

كانت تنطلي عليهم، وهذا التشويش كان له سوق بين المسلمين، وكان معاوية بنفسه ممن يروجون هذا التشويش للناس، بحيث هذا الإنسان الذي يخرج مع الإمام الحسن ليحارب معاوية لا يدري أكثر من أن هذه الحرب دافعها الحقيقي أن يأتي الإمام الحسن بدلاً عن معاوية ويحكم، واحد من بني هاشم بدل بني أمية؛ [لأنه] بعد لم تكن مكشوفة أمام الناس الأبعاد الحقيقية لهذا الشخص أو لهذا الخط الذي كان يريد أن يحكم.

صلح الإمام [الحسن عليه السلام] بحسب الحقيقة دافعه كان كشف حقيقة أوراق معاوية بن أبي سفيان، وخط معاوية، ولو لا هذا الصلح لما انكشفت هذه الحقيقة ولم تكن الأمة تستطيع ان تعرف أن المسألة ليست مسألة هذا صحابي وذاك صحابي وهذا الشخص وذاك الشخص، هذا الإنسان الذي من هذا الفخذ من قريش وذاك الإنسان الذي من الفخذ الآخر من قريش، صلح الإمام الحسن استطاع ان يكشف هذه الحقيقة، إذن بعد الصلح أمام الناس صورة القيادة وشكل الحكم الإسلامي أصبح واضحاً، من ناحية طبيعية الحكم والممارسات التي يقوم بها الحاكم، وأيضاً من ناحية الحاكم، هذا كمفهوم أصبح واضحا بين أبناء الأمة الإسلامية، نتيجة ما قدمه الإمام علي عليه السلام من المواقف في السنين الأربع من الحكم، وما فعله الإمام الحسن في مسألة الصلح من معاوية.. معاوية الذي جاء بعد ذلك الى الكوفة وقال كلمته المشهورة: انه ما حاربتكم لتصوموا وتصلوا انما حاربتكم لأتأمر عليكم، وكل شرط شرطه للحسن تحت قدمي هذين[1]، بهذا الشكل السافل والصريح يبين ان تمام غرضه وهدفه هو السلطة وحب السيطرة على الناس، أصبح واضحاً من خلال ممارسته بعد ذلك مع شيعة علي.. مع قتله وسفكه للدماء الطاهرة والصراعات والفتن يفتعلها بين القبائل وبين الناس.. هذه المسائل كلها انكشفت خلال العشرين عاماً التي كان يحكم المسلمين [بها] ظلماً وجوراً، كانت هذه القضايا بالتدريج قد أصبحت واضحة أمام الناس. ذاك الشخص الذي ـ مثلاً ـ كان يخرج مع الإمام

﴿١﴾ الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة، ج٢ ص١٦٤، م س.

الحسن لمحاربة الشام وهو متردد انه لماذا يريد أن يحارب، الآن صار واضحاً لديه يريد ان يحارب خط معاوية، وهذا الموضوع لم يكن في اليوم الأول واضحا لأصحاب الإمام الحسن بالمفهوم الكامل، [ولكن] عندما صالح الإمام الحسن وانحسر سياسياً وأخلى الساحة لهذا الطاغية الذي كان مبرقعا ببرقع الإسلام، وصحبة النبي، وانه كاتب الوحي... وهذه الكلمات التي استطاع معاوية بدهائه وذكائه ان يرسمها حول شخصيته في ذهن الأمة الإسلامية ـ في تلك الفترة لم يكن يمكن توضيحها ـ هذه الحقيقة اوضحت بعد صلح الحسن وخلال هذه الفترة التي حكم فيها معاوية.

إذن ففي عهد الحسين صورة القيادة الإسلامية، وطبيعة القيادة الإسلامية، وشرائط القائد الإسلامي، والإمام أصبح أمام الذهن الجمعي للناس، والوضع الإعتيادي للأمة الإسلامية واضحا، ماذا كانت المشكلة إذن؟ كانت هناك مشكلة أخرى ومرض آخر بدأ من حيث انتهى معاوية كان هناك مرض آخر، استطاع انحراف السقيفة ان ينتهي اليه، هذا المرض هو ان معاوية خلال الفترة التي حكم فيها ـ صحيح ـ ان أعماله كانت تكشف واقعه أمام الناس، وهو لكونه حاكما وبيده قدرات وإمكانات هائلة دخل من مدخل آخر وهو مدخل إفساد ضمائر الناس، بحيث أصبح هذا الإنسان رغم علمه ان هذا الطريق هو الحق وذاك هو الباطل، قد أفسد ضميره وإرادته بالمغريات والترغيبات من جانب وبالترهيب وبالقتل من جانب آخر. كلكم تعلمون ان زياداً كان من أصحاب الإمام علي ابن ابي طالب، وكان والي فارس من قبل الإمام علي عليه السلام، وإذا ينقلب هذا الرجل الى عدو لدود للإمام ولخطه، ما الذي قلبه بعد استشهاد الإمام؟ لم يقلبه اختلاف المفاهيم والتصورات الإسلامية، قلبه ـ في الواقع ـ المغريات والترغيبات التي قدمها له معاوية والتي كان منها إلحاقه بأبي سفيان، هذه الأشياء أثرت على شخصيته؛ فانقلب من موالي الإمام، بل عمن نصبهم الإمام، فالإمام لا ينصب إنساناً فاجراً فاسقاً منحرفاً عندما نصبه كانت شخصيته عادلة، له درجة لازمة من العدالة، وإذا ينقلب هذا الإنسان

من شخصية منصوبة من قبل الإمام الى شخصية يعادي بها الإمام أشد العداء، هذا العداء لم يكن من ناحية المفهوم التبس عليه، بل من ناحية ان ضميره اشتري وإرادته اشتريت. الإنسان له جانبان، جانب فكر مجرد، وجانب عواطف وشهوات وأهواء ومطامح، هذا الجانب غير الجانب الأول، ربما الإنسان في الجانب الأول لا يكون مريضا يعرف النظريات الصحيحة، إلا ان الجانب الثاني فيه يكون مريضا، رغم معرفته ان هذا هو الحق يده لا تتحرك باتجاه الحق، بل تتحرك باتجاه الهوى والمطامح، وهو يعرف ان هذه الحركة ليست هي صحيحة، ليست هي الحق وفي طرف الحق، بل في طرف الباطل، رغبة النفس.. شهوة النفس تدفعه الى ان يتجه هذا الاتجاه.

معاوية استطاع ان يفسد هذا البعد الثاني في الأمة الإسلامية إفساداً كاملاً، استطاع من خلال أساليبه الترغيبية والترهيبية ان يفسد هذا الجانب، إذا تراجعون التاريخ ترون انه قام في هذه الفترة فترة العشرين سنة، بأشياء عجيبة وغريبة في هذا المجال، استطاع واقعاً ان يفسد بها أكثر أفراد الأمة الإسلامية إلا من بقي ومن عصمهم الله وبقى على صلة بالأئمة وبكتاب الله، أو كان مشرداً أو مقتولاً، وهذا الوضع يشبه وضع الأمة الآن في العراق﴿١﴾... كيف ان صدام بأساليبه الجهنمية واقعاً اشترى أناسا لم يكن ان يتصور إنسان هذا يمكن ان يشترى من قبل صدام، بماذا اشتراه؟ لم يستدل على أحقيته في الحكم من الإمام الخميني، حتى المعمم المنحرف الذي اشتراه لم يكن منحرفاً قبل هذه الفترة، الآن أصبح منحرفاً ومحسوباً على هذا الجانب، بماذا اشتراه؟ لم يشتره بإعطاء مفاهيم التبست عليه ـ واقعاً ـ فاعتقد ان صدام بريء وهو على حق، والجمهورية الإسلامية هي التي على باطل، بل اشترى ضمير هذا الإنسان من خلال المطامح والإغراءات أو من خلال الترهيب

﴿١﴾ عهد الطاغية المقبور، حيث ألقيت هذه المحاضرات عام ١٩٨٢م، أي بعد استشهاد السيد الشهيد الصدر الأول بعامين تقريبا، حيث كانت الأمة ترزح تحت وطأت وسطوت البعث الكافر، يحكمها الضالمون بالنار والحديد.

أو القتل والتنكيل والتشريد، من خلال القوة أو من خلال المادة... بأحد الشكلين اللذين يرجعان الى هذا البعد من الإنسان، جانب حفظ النفس ورغبات النفس وشهواتها البشرية عن هذا الطريق، ومن خلال هذا الباب استطاع ان يفسد الأمة باعتباره حاكماً وليس فرداً، فهو يمكن ان يغير الأمة كأمة كموجود واحد يغيره كما غيره، معاوية استطاع بهذه السنين التي حكم فيها ان يقوم بهذا الدور الافسادي في الأمة.

فالإمام الحسين تولى الإمامة وهو يجد أمامه أمة خائرة في إرادتها، عالمة بأن الحق مع الحسين لكن خائرة في إرادتها، متميعة في ضميرها، ذليلة، تلهث وراء المصالح الشخصية، والمقامات، والعطاءات التي كان يعطيها الوالي أو الخليفة﴿١﴾، وراء هذه المسائل، تجدون في محاورات الإمام الحسين عليه السلام مع عمر بن سعد في يوم عاشوراء، بماذا يستدل عمر بن سعد، ان لي ضياعا﴿٢﴾ كذا،... استدلالات واهية، هو يعرف ان الحسين ابن بنت رسول الله ولا يشك في هذا، ويعرف ان الإمام الحسين بن علي أحق بالخلافة من يزيد، سيما ان يزيد شخصية معروفة مكشوفة ليس من قبيل معاوية، ليس له صحبة معاوية مع رسول الله.. ليس له تاريخ معاوية... كل هذا كان واضحاً للمسلمين جميعاً، بما فيهم قتلة الحسين وقوّاد قتلة الحسين أمثال عمر بن سعد، إلا ان الذي كان يمنعه ضياعه يريد مُلك الري مثلاً، هذا يعني أن الضمير قد افسد فساداً كاملاً من قبل الجهاز الحاكم، استطاع هذا الجهاز أن يفسد حقيقة ضمائر المسلمين، ويحوّل هؤلاء من ناس يملكون إرادتهم وعندهم حالة من الترفع من المغريات والشهوات إلى أناس ذليلين قد استعبدتهم الشهوات حق الإستعباد، هذه الحالة المرضية لا يكفي في مقام إصلاح الأمة وتخليصها منها الى ان يتكلم بهذه المفاهيم والنظريات، هذه المفاهيم كلها مفهومة لهم أي مفهوم تقوله لهم هم يعرفونه، مثل هؤلاء تكون المفاهيم واضحة لديهم لا

﴿١﴾ ولهذا كانت قلوبهم معه عليه السلام وسيوفهم عليه.

﴿٢﴾ أي أراضي. انظر: المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص٢٤٥، م س.

التباس فيها، يقول له الفرزدق ﴿قلوبهم معك﴾ يعرفون انك أحق ولا نقاش فيه، فاعطاء المفاهيم وبيان الأيدلوجيات والمسائل الأخرى، كلها لا تكون مفيدة في حق أمة مريضة بهذا المرض الوبيل، وهذه الحالة المرضية الخطيرة والتي هي من أخطر الأمراض، هذا آخر مرض وبيل وسرطاني تبتلى به الأمم الرسالية جميعاً. وهو مصدر شقائها وبلائها بالتسافل والإنحطاط، هذا المرض الخطير تجد له آثارا كبيرة على تاريخ هذه الأمة، ومستقبل أجيال هذه الأمة، مثل هذا الخطر لا يمكن ان يعالج إلا من خلال تجسيد عملية من العمليات التي يقبل بها أي ضمير إنساني مهما تسافل هذا الضمير ومهما انتكس؛ لأنها العملية افجع منها، وفجاعة العملية وشراسة العملية أقوى من كل شيء، عملية من هذا القبيل تستطيع ان تنقذ الموقف، ولو بعد فترة من الزمن، وإلا فهذا المرض يستشرى ويتفاقم أكثر فأكثر وينتهي بالأمة رأساً ولا يبقى بعد انتهاء الأمة رسالة، [سوف] يسري اليها والى مفاهيما وقيمها المرض وتنتهي الرسالة وتنحرف كما انحرفت كثير من الرسالات السماوية السابقة، مثل هذه الحالة لا يمكن علاجها إلا من خلال ضرب مثل رائع من أمثلة الترفع عن الأهواء والشهوات، وان الإنسان كيف ينبغي ان يقدم مصالح الآخرين والقيم التي لا بد ان يطبقها في حق الآخرين يقدمها على كل ما يملك، ما يملك كثير وعظيم بالنسبة لما يملكه الآخرون من خلال عملية فيها منتهى التضحية، الإنسان يضحي لا فقط بنفسه، بمقام اجتماعي كبير.. كل تاريخ الوجاهة والزعامة في الأمة، يضحي بأهله، وأولاده، وأمواله.. بكل هذه الأمور التي كلها امتيازات واعتبارات مادية واجتماعية كبيرة.. يتنازل عنها جميعاً من أجل هذا المستضعف وذاك المستضعف. والإمام الحسين عطاءاته كانت تصله من قبل الخليفة أو والي الخليفة.. موجود في تاريخ والي معاوية ويزيد انهم كانوا يعاملون الأئمة معاملة من ناحية مادية يحاولون ان يعطوهم عطاءات لعله أكثر من الآخر باعتبار انهم قرشيون أولاً، وهم من بني هاشم ثانياً، وذو اعتبارات ووجاهة اجتماعية ودينية كبيرة ثالثاً، لم يكن الإمام بنفسه من ناحية وضعه الشخصي والمادي في ضيق، حتى من قبل الحاكمين لم

يكونوا يظلمونهم في العطاءات والصّلاة. يقول والي المدينة بعد ما بلغه مقتل الحسين صعد المنبر وأخذ يقول، كنا نصله ويقاطعنا، ونصله ويقاطعنا أكثر ونحن نعطيه أكثر، عطاؤنا كان مستمراً له[1]، من الناحية المادية لم يكن الإمام الحسين في مضيق.. كان وضعه جيداً، وأجود لعله من الناس المتعارفين، كان يملك ما يملكه الإنسان المتعارف الجيد كما هو واضح من خلال عطاءاته ومسائلة الأخرى، مع ذلك هو يتنازل عن هذا الوضع المادي والإجتماعي الجيد والزعامة الجيدة، يتنازل عن أكثر من هذا عن دمه، ودم أخوانه، وعشيرته.. من أجل ذلك الإنسان الذي يظلم في العطاء، الإنسان الذي الآن يذوق وبال الحكم المنحرف حكم بني أمية، هذا الشخص الآخر عندما يجد أن الإنسان العظيم قد تنازل عن كل هذا في سبيله، إذا كان له أدنى مراتب الإنسانية الموجودة في ضمير كل كائن إنساني ومخلوق إنساني تراه ﴿يتكهرب﴾ بهذا، ويقول: عجيب أن هذا الإنسان يضحي بكل ما عنده من الزعامة، والإمكانيات،

﴿١﴾ قال المجلسي: ﴿وقال المفيد: ولما أنفذ إلى ابن زياد برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد تقدم إلى عبد الملك بن أبي الحارث السلمي فقال: انطلق حتى تأتي عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة، فبشره بقتل الحسين عليه السلام قال عبد الملك: فركبت راحلتي وسرت نحو المدينة فلقيني رجل من قريش فقال: ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الامير تسمعه، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون قتل والله الحسين، فلما دخلت على عمرو بن سعيد قال: ما وراك؟ فقلت: ما سر الامير قتل الحسين بن علي، فقال: اخرج فناد بقتله فناديت، فلم أسمع والله واعية قط مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن علي حين سمعوا النداء بقتله، ثم دخلت على عمرو بن سعيد فلما رآني تبسم إلي ضاحكا ثم أنشأ متمثلا بقول عمرو بن معدي كرب:

عجت نساء بني زياد عجة ... كعجيج نسوتنا غداة الارنب

ثم قال عمرو: هذه واعية بواعية عثمان، ثم صعد المنبر فأعلم الناس بقتل الحسين عليه السلام ودعا ليزيد ونزل. وقال صاحب المناقب: قال في خطبته: إنها لدمة بلدمة وصدمة بصدمة، كم خطبة بعد خطبة، وموعظة بعد موعظة، حكمة بالغة فما تغني النذر، والله لوددت أن رأسه في بدنه، وروحه في جسده أحيانا كان يسبنا ونمدحه، ويقطعنا ونصله كعادتنا وعادته، ولم يكن من أمره ماكان، ولكن كيف نصنع بمن سل سيفه يريد قتلنا إلا أن ندفعه عن أنفسنا﴾. انظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٥ ص١٢١، م س.

والوضع... من أجلي، وأنا أبقى التصق بهذا الإغراء وذاك الإغراء، وأذهب وراء هذا الشخص وذاك القائد الأموي، لا يستسيغون هذا الوضع بعد هذا، وسيكون هذا العمل وهذا الإنسان قدوة عملية رائعة من ناحية، ثم الجانب المأساوي الموجود في التضحية، الجانب المأساوي الذي كان الإمام الحسين دقيقاً في التخطيط له، بحيث حتى الطفل الرضيع يخرجه الى المعركة وفي كيفية المعركة، عندما كان يخرج الى المعركة كان يلبس عمة رسول الله، ويشبه نفسه برسول الله، وهيئة رسول الله، هذه الخصوصيات الإنسانية يجدها في تاريخ القضية ومشاهد وفصول هذه الملحمة الكبرى، يجد الإمام الحسين الجانب المأساوي أيضاً كان يخطط له، إذن لم تكن المسألة مسألة أن يستولي على الحكم ويغلب يزيد ثم انعكس الأمر باتفاقات ومصادفات سيئة غير متوقعة، كان هناك تخطيط دقيق للجانب المأساوي لأبشع صورة ممكنه، حتى تكون هذه الصورة تفوق إحساس كل ضمير إنساني، مهما كان هذا الضمير منتكساً في الرذيلة، هذه الصورة لمأساويتها البالغة تهز ذاك الضمير، وتغلب حالة الخور والجمود والخدر التي ابتليت بها ضمائر الأمة الإسلامية...

ان هؤلاء الذين بالأمس قاموا بهذه المأساة بشكل وآخر وساهموا فيها، أما شاركوا مع الجيش، أو جلسوا في بيوتهم، أو هربوا الى البساتين وخارج الكوفة، تجدون ان المأساة عندما انتشرت فصولها ومشاهدها وأخبارها هؤلاء كلهم بدأت ضمائرهم التي كانت خائرة ميتة خوفاً من سطوة ابن زياد، أو أموال عبيد الله بن زياد، أو إرهاباته وترغيباته، هذه الضمائر انتبهت وتحركت، ما الذي حرك هذه الضمائر؟ هذا الجانب الذي كان مجسداً في وضع الإمام الحسين لم يكن للإمام الحسين أن يحرك هذه الضمائر بالمفاهيم، قلنا ان الإنسان حسيّ يحتاج ان يكون أمامه قدوة، ثم هذا التحريك لضمير الأمة لم يكن يقتصر على تلك الفترة، الإمام ينظر بنظرته العادية كقائد رسالي، [و] يحتاج الى علم الغيب بنظرته بما هو يتحمل رسالة خالدة خاتمة لكل الرسالات السماوية، ينظر لمستقبل أبنائها ومستقبل هذه الأمة، لا بد وان يجعل مع هذه الرسالة قدوة صالحة دائمة على طول التاريخ تصلح هذه

القدوة المجسدة في عمله وثورته ان تحرك وتهز ضمائر الناس عندما تبتلى بهذا المرض، وهي دائماً تبتلى بهذا المرض، تبقى قضية الحسين هي الرائدة وهي الدواء الحقيقي لهذا المرض، ولحد الآن تجد الأمة الخائرة ما يحركها، حتى في العراق قضية الحسين رغم هذا الخور الموجود في الأمة تجدون مسالة الأربعين تهزهم وتحركهم بوجه الطغاة، تعطيهم قدرة بحيث تحركهم ويبذلون ما في دمائهم في سبيل ان يذهبوا الى زيارة الحسين في يوم الأربعين، هذا معناه ان هذه الحركة وهذه الثورة وهذه القدرة التي جسدها الإمام الحسين الى الأبد هي فوق كل الضمائر المتكسة والخائرة والمخدِّرة... تستطيع أن تهزها.. فيها من الخصوصيات ما تهزها وتستطيع ان توقضها، طبعاً كل مورد بحسبه ومقداره، وكل ما تستغل هذه القضية بشكل أفضل ـ كما استغلها الأئمة بعد الحسين ـ يمكن ان يكون لها تأثير أفضل... الشيء الذي يحرك هذا الإنسان انما هو قضية الحسين قبل ﴿١٤﴾ قرن، هذا هو الذي يحركه اليوم مع الفاصل الزمني، لماذا؟ لأن القضية قدوة، تبقى فوق كل الحالات المرضية التي يمكن ان يبتلى بها ضمير الإنسان، سيما وان هذه القضية فيها من المظلومية ومن المأساوية ما يمتزج مع قلب أقسى الناس، مهما يكون الإنسان قاسي القلب، هذه القضية تفوق قساوته، قلما ان القيم والمفاهيم عندما لا تنزل من عالم المفاهيم الى عالم القلب، ولا تمتزج مع الأحاسيس والشعور، ولا تحرك العاطفة فلا تحرك الإنسان. المحرك الحقيقي إنما هو هذا الإحساس، وانما هو هذه العواطف والإرادة النابعة من القلب والشوق.

النتيجة:

إذن المقدمات الثلاثة التي اشرنا اليها يظهر دورها في شرح ما يمكن شرحه لهذه النظرية، إذن فالإمام الحسين كان دافعه ومنظوره في هذه الحركة والثورة المباركة أن يقتلع هذا المرض، وان يعطي العلاج الناصح والصحيح لهذا المرض الذي دائماً تبتلى به الأمم، حتى الأمم الربانية.. حتى الأمم التي صنعتها الأنبياء تبتلى بهذه الحالة بعد زمن نتيجة ضعف البشرية نفسها، فيها أهواء... تركيبتها

وخلقتها هذه... تبتلى بمثل هذا المرض دائماً ولا يكون العلاج إلا بمثل هذه القضية، قضية الحسين سوف تبقى ذات دوافع تاريخية وزمنية، وليست محدودة بالفترة التي عاشها الإمام الحسين عليه السلام.

عفر الله لنا ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته﴿١﴾.

الخلاصة:

ذكر السيد الهاشمي صنفين من التفسيرات الباحثة عن أهداف النهضة الحسينية،

الصنف الأول: مرفوض باطل بلا ريب، وذكر في هذا الصنف نظريتين:

الأولى: نظرية النزاع القبلي العشائري.

الثانية: نظرية المزاج الحسيني الحاد.

الصنف الثاني: صحيح مقبول في نفسه، وذكر في هذا الصنف ثلاث نظريات:

الأولى: النظرية الغيبية الميافيزيقية.

الثانية: النظرية السياسية الحركية.

الثالثة: الرسالية الإصلاحية.

ثم إنه ناقش الأولى والثانية واستبعدهما، وتبنى الثالثة ودعّمها بالأدلة والقرائن.. وهذه النظرية هي نظرية استاذه السيد الشهيد الصدر قدس سره.

وخلاصة هذه النظرية: ان الحسين عليه السلام أقدم على عملية استشهادية تضحوية، استهدف الشهادة ليهز ضمير الأمة ويبعث فيها روح التضحية والإيثار، ولكنه لم يكن باستطاعته طرح الهدف بهذا الوضوح؛ لأن الناس سوف يقولون عنه انه انتحر والقى بنفسه في التهلكة، فبطّنها بشعارات تنسجم مع نفسية الأمة المهزومة، لكي يكون معذورا من الناحية الظاهرية ومقبولا عند الرأي العام الإسلامي. وقد

﴿١﴾ الى هنا انتهى كلام السيد الهاشمي دام ظله.

نجح الحسين عليه السلام في تحقيق هذا الهدف، واقتلع من النفوس مرض الإسترخاء والإحباط والمصلحية، ودفع بالأمة الى المواجهة من الطواغيت على طول الخط.

والشيء الطريف في ما طرحه السيد الهاشمي لعله أمران:

الأول: انه حاول استيعاب جميع النظريات وردها.

الثاني: تعميق نظرية استاذه السيد الشهيد وتأصيلها، وذلك من خلال طرحه لثلاث مقدمات:

المقدمة الأولى: ضرورة تحويل المفاهيم الذهنية الى إيمان قلبي.

المقدمة الثانية: ضرورة القدوة المجسدة المحسوسة في تربية الإنسان.

المقدمة الثالثة: مرض الفتور في إرادة الأمة الرسالية وروحياتها.

وإن كانت المقدمة الثالثة مما نوه عنه السيد الشهيد قدس سره.

خلاصة الخلاصات:

بعد هذه الجولة في كلمات هذه الثلة من العلماء الأعلام نستطيع أن نسجل مجموعة من النقاط فيها خلاصة لكل ما قيل:

النقطة الأولى: ان هناك قاسما مشتركا بين جميع ماطرحه هؤلاء الأعلام، ألا وهو ان هدف الإمام الحسين عليه السلام الرئسي هو الإصلاح، وقد صرح عليه السلام ـ بحسب الرواية ـ بهذا الهدف في وصيته التي كتبها وتركها عند أخيه محمد بن الحنفية، وقد جاء فيها: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله، اريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليهم السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين،

وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب﴾[١].

وهذا ـ باللغة الحديثة ـ نستطيع أن نقول أنه أول بيان من بيانات الثورة الحسينية.

النقطة الثانية: وبعد أن فهمنا أن هدف الإمام الحسين عليه السلام الإصلاح، ينبغي أن نفهم الوسيلة التي توسل بها للوصول الى هذا الهدف، فإن لكل هدف وسيلة توصل إليه. وفي هذا المجال نلاحظ أنه عليه السلام كان يريد ـ بحسب الظاهر ـ قلب نظام الحكم، والإطاحة بيزيد، وتأسيس حكم إسلامي قائم على أساس العدل. ولهذا كان عليه السلام يتعاطى مع الظرف الموضوعي، فكانت خطواته منسجمة مع الواقع المعاش آنذاك، فتراه قام بمايلي:

أولا: الرفض الكامل والقطعي لبيعة يزيد.

ثانيا: الإستجابة لطلب أهل الكوفة، والسفر للعراق.

ثالثا: وبعد القضاء على حركة مسلم عليه السلام واستشهاده ، واصل الأمام سيره باتجاه العراق مع إعلان التمرد على السلطة.

النقطة الثالثة: وهنا يأتي السؤال: هل أن الحسين عليه السلام كان قادرا على الإطاحة بحكومة يزيد بتلك الثلة من الرجال؟ وهل من المنطقي أن يواجه إمبراطورية بكل إمكانياتها بذلك العدد القليل من الأنصار؟ فأين هو الإصلاح الذي كان يرومه؟

وجوابه: إن الإمام الحسين عليه السلام كان يعرف منذ البداية وفق الإرهاصات والمعطيات على الأرض ـ فضلا عن العلم الإلهامي المفترض فيه كإمام معصوم ـ أنه سيستشهد، بل أصبحت مسألة استشهاده بعد استشهاد مسلم وسقوط الكوفة بيد عبيد الله أوضح من الشمس في رائعة النهار؛ لإنه بعد مقتل مسلم أصبح أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن يعود الى المربع الأول ـ كما يعبرون ـ ويقبل ببيعة يزيد، وإما أن يواجه السلطة مواجة مسلحة، والمواجة المسلحة محسومة لصالح

﴿١﴾- بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٤٤ ص ٣٢٩ :

السلطة أكيدا.

إذن كان الإمام الحسين يسير نحو الشهادة منذ انطلاقته من مكة وقبل استشهاد مسلم عليه السلام؛ ومما يؤكد ذلك أنه أعلن في ليلة التروية التي خرج في صبيحتها الى العراق أنه مشروع استشهاد، ولهذا انفض عنه الناس ولم يبق معه إلا طلاب الشهادة... فقد جاء في خطبته التي يمكن اعتبارها البيان الثاني من بيانات الثورة: ﴿الحمد لله وما شاء الله، ولا قوه إلا بالله، [وصلى الله على رسوله وسلم -خ ل]، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما اولهنى الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، وخير لي مصرع انا لاقيه، كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء؛ فيملان منى اكراشا جوفا واجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا اجور الصابرين. لن تشذ على رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده، من كان باذلا فينا مهجته، وموطنا على لقاء الله نفسه، فليرحل فانى راحل مصبحا ان شاء الله﴾[1].

إن من يقرأ هذه الخطبة لايشك طرفة عين أنها طافحة برائحة الشهادة ولغة الدم. ومن هنا لابد للباحث أن يقف ويتأمل ويرفض فكرة قلب نظام الحكم والإطاحة بيزيد كوسيلة للإصلاح، ويبحث عن وسيلة أخرى...

النقطة الرابعة: نعم الإمام الحسين عليه السلام أراد الإصلاح ولكن لا عن طريق السلطة والحكم، بل عن طريق الشهادة والدم، وذلك لعدة أسباب:

السبب الأول: استحالة قلب نظام الحكم مع قلة العدد وخلان الناصر.

السبب الثاني: لو تنزلنا وقلنا بأن الحسين عليه السلام استطاع أن يطيح بحكم يزيد ويؤسس لحكومة قائمة على أساس العدل، ألا يحتمل أن تنتكس تجربته بعد رحيله عليه السلام ويعود الطغاة الى سدة الحكم ثانية، كما حدث بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، حيث تسلط معاوية على رقاب العباد، وعاث في الأرض الفساد.

﴿١﴾ انظر: ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، مثير الأحزان، ص٢٩، م س.

السبب الثالث: أن الحسين عليه السلام لم يكن يبحث عن حل مرحلي مؤقت، وترميم جزئي هنا أو هناك، بل كان يبحث عن حل جذري يستأصل الفساد من جذوره في دنيا الإسلام، فأسس للثورة والتمرد على الطغيان، ومن ذلك نفهم أن ثقافة الثورة والإنتفاضة ثقافة حسينية مئة بالمئة، لأننا قبل يوم الحسين عليه السلام كنا نرى المعارضين يصلبون على جذوع النخيل، وتقطع أيديهم وأرجلهم، ولا من مستنكر.

السبب الرابع: ان أي عملية إصلاح وتغيير لايمكن لها أن تحقق النجاح الأمثل إلا أن تكون ممزوجة بالعاطفة؛ لأن العاطفة هي الوقود المحرك نحو أي مشروع إصلاحي[1]، ولهذا السبب نلاحظ أن الحسين عليه السلام عمل على تحشيد جميع المثيرات العاطفية[2] من أول خروجه من المدينة الى رجوع عياله اليها، ولهذا السبب كانت تفاصيل المعركة والنتيجة التي انتهت اليها كالزلزال الذي وقع على رؤوس المسلمين.

كما ان استلام الحسين عليه السلام للسلطة الزمنية وبقائه كم سنة في الحكم لايعطيه

﴿١﴾ وعلى هذا الأساس نجد أن جملة من الآيات القرآنية الكريمة تؤكد على الجانب العاطفي في اعتناق الرسالة، ومن أمثلة ذلك:

١. ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله...﴾. البقرة: ١٦٥.

٢. ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله...﴾. آل عمران: ٣١.

٣. ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه...﴾. المائدة: ٥٤.

٤. ﴿ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم﴾. الحجرات: ٧.

وغير ذلك من الآيات الكريمة.

﴿٢﴾ حتى مصرع عبد الله الرضيع عليه السلام حينما عرضه الإمام الأعداء وطلب منهم أن يسقوه الماء ما كان هدف الإمام عليه السلام أن يسقى الماء، لأنه عليه السلام كان يعلم بأنهم سوف يقتلوه. وقد كتبنا دراسة حول هذه النقطة للبحث عن الدافع الحقيقي لخروج الحسين عليه السلام بالطفل وعرضه أمام الأعداء بعنوان ﴿مصرع عبد الله الرضيع ـ رؤية تحليلية﴾. راجع تلك الدراسة في: المنهج، مجلة فكرية فصلية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره، السنة الثانية، العدد الخامس، ص١٥١.

هذا الدور الفاعل في حياة الأمة ولايعطيه زخما من العاطفة بالشكل الذي تتمتع به نهضته اليوم، بل قد يشكل استلام السطة عامل نفور من الحسين عليه السلام من حيث طبيعة السلطة ومن حيث أنه يريد إرجاع الأمة الى محمديتها البيضاء، وهي قد ابتعدت عن ذلك؛ شأنه في ذلك شأن أبيه أمير المؤمنين الذي عانى الأمرين﴿١﴾، فمن خلال السلطة لن يسطيع الحسين عليه السلام أن يلهب العواطف بالمستوى الذي جعل منه شهيدا مظلوما يعيش في وجدان الأمة الى الأبد، الأمر الذي أعطى الزخم للمبادئ والأهداف التي حملها لتكون أهداف أمة صنعها الحسين بدمه الطاهر.

النقطة الخامسة: ينبغي أن نلتفت الى أن الحسين أراد إسقاط المشروع الأموي الذي أراد أن يعود بالأمة الى الجاهلية بثوب الإسلام، ولأجل اسقاط المشروع برمته، والقضاء على الأطروحة الأموية من أساسها لا يكفي أنك تسقط هذا الحاكم، بل لابد من تعرية المشروع برمته وكشف زيفه وإماطة اللثام عن وجهه القبيح، فقد حوّل الأمويون الخلافة الإسلامية الى ملك عضوض، واتخذوا مال الله دولا، وعباده خولا، فكانت مهمة الحسين عليه السلام معقدة لايكفي فيها إلقاء الخطب والبيانات، فالناس كانوا في ذلك الحال بين قانع بمايجري يرى أن هؤلاء خلفاء

﴿١﴾ يقول عليه السلام ـ بحسب الرواية ـ في بعض خطبه: ﴿...فيا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، فقبحا لكم وترحا، حين صرتم غرضا يرمى. يغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويعصى الله وترضون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد. كل هذا فرارا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فإذا أنتم والله من السيف أفر. يا أشباه الرجال ولارجال، حلوم الاطفال، وعقول ربات الحجال. لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم. معرفة والله جرت ندما وأعقبت سدما. قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا، وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراسا وأقدم فيها مقاما مني، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين. ولكن لا رأي لمن لا يطاع﴾. انظر: نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج١ص٦٩، م س.

الرسول، وبين مكسور الإرادة رافض لمايجري لكنه خانع، وبين من يقف على التل ساكتا طالبا للراحة والدعة؛ فاستطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يحقق نتيجتين جليلتين بإراقة دمه الطاهر:

النتيجة الأولى: أنه استطاع أن يهز ضمير الأمة هزة عنيفة، ويصعقها صعقة أيقضتها من رقدتها ودفعت بها الى ساحة المواجهة.

النتيجة الثانية: أنه استطاع أن يثبت بالدليل العملي أن القائمين على الحكم أعدء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليسوا خلفاءه. فكيف يقتل خليفة النبي ابن بنت النبي؟ وكيف يسبي خليفة النبي عيال النبي؟ وكيف يطاف برأس ابن النبي في ظل حكومة خليفة النبي؟ وكيف؟ وكيف؟ وكيف؟...

النقطة السادسة: وبناء على ذلك كله نسطيع القول بأن نهضة الحسين عليه السلام كانت تسير نحو هدفين، هدف معلن وآخر مضمر، أما الهدف المعلن فهو إرادة الإصلاح عبر التغيير والإطاحة بحكم يزيد وتأسيس حكم عادل قائم على اساس الشريعة المقدسة، وهذا الهدف ينسجم مع الظرف الموضوعي ومايجري على الأرض من أحداث.

وأما الهدف المضمر فهو إرادة الإصلاح عبر الشهادة والدم، فكان عليه السلام يستهدف الشهادة ليكون الملهم الأول لجميع الأحرار والرافضين للظلم والطغيان، ليس فقط في الآن والمرحلة التي يعيشها، بل ليكون الملهم للثائرين بوجه الطغيان على طول الخط.

وهذا في الحقيقة هو الذي يفسر لنا وجود نوعين من الشعارات التي أطلقها الحسين عليه السلام شعارات يريد بها التغيير، وشعارات يستهدف بها الشهادة، فمن شعارات الهدف المعلن ـ مثلا ـ ﴿ألا وإن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، واحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير﴾[1]. ومن شعارات الهدف

﴿١﴾انظر: الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٤ص٣٠٤، م س.

المضمر: ﴿من لحق بنا منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح﴾[1]. وهذه الكلمة قالها عليه السلام يوم خرج من مكة، وهي ذات مغزى عميق؛ لأن الفاتح عادة هو المنتصر، فكيف يتحدث الحسين عن الفتح في الوقت الذي يؤكد فيه أنه شهيد، إن هذا يعني أن الحسين عليه السلام يريد أن يقول: إن دمائنا سوف تكون فتحا عظيما لهذه الأمة؛ لأن القيم والأهداف التي حملناها هي التي سوف تنتصر في النهاية، فليس المهم أن تنتصر ـ مرحليا ـ لتعيش عدة سنوات ثم تموت وتموت معك أهدافك، بل المهم أن تحيا أهدافك بأي ثمن، وكلما كان عمر الهدف الذي حملته طويلا كان عمرك بطول عمر ذلك الهدف.

وبما أن الحسين عليه السلام حمل أهداف الإسلام؛ فهو خالد بخلود الإسلام، ولعل هذا هو أحد معاني تفسير ماورد عن النبي: ﴿حسين مني وأنا من حسين..﴾[2].

النقطة السابعة: إن الأمة التي كانت محبطة تعيش الموقف المناقض للعاطفة قبل يوم الحسين عليه السلام، ﴿قلوبهم معك وسيوفهم عليك﴾، امتزجت عاطفتها بموقفها بعد يوم الحسين عليه السلام؛ فتبدل الإحباط الى صمود، والهزيمة الى إقدام، تبدلت الأخلاقية السلبية الى ﴿الأخلاقية الأخرى التي كان يريد أن يبثها وأن ينشرها في الأمة الإسلامية وهي أخلاقية الإرادة والتضحية والعزيمة والكرامة﴾.

فقد أعطت هذه الثورة الزخم والإندفاع لأغلب الثورات التي وقعت بعدها، وستبقى تمد الثائرين بالزخم والوقود الى عصر الظهور، بل حتى حركة الإمام المهدي عليه السلام ستستمد زخمها من دم الحسين الطاهر وآلامه وعذاباته. ومن هنا نسمع في الروايات أن أحد أهم الشعارات التي يرفعها الإمام المهدي عليه السلام:

﴿١﴾ المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ط الرابعة، مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف، ص٥٨.

﴿٢﴾ رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انظر: النيسابوري، محمد بن محمد الحاكم، مستدرك الحاكم، ط ـ ١٤٠٦هـ، الناشر: دار المعرفة بيروت، تحقيق: د. يوسف المرعشلي، ج٣ص١٧٧.

﴿يالثارات الحسين﴾[١].

فمفهوم الإحباط والركوع أمام الطغات، ﴿هذا المفهوم.. تبدد بعد حركة الحسين عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ واحتل بديله مفهوم التضحية الذي على أساسه قامت حركة التوابين[٢].. حركة أربعة آلاف لا يرون لهم هدفاً في طريقهم إلاّ التضحية، لكي يكفّروا بذلك عن سيئاتهم وموقفهم السلبي تجاه الإمام الحسين﴾. بل حتى بعض الحركات التي ربما تكون غير مستقيمة كانت تستلهم التضحية من يوم الطف في وقوفها بوجه السلطان[٣].

النقطة الثامنة: وعلى هذا الضوء تتميز الألوان ونفهم سر قبول الحسين عليه السلام لدعوة الكوفيين، فإن ذلك القبول كان وفق تكليفه الظاهري الذي لو تخلف عنه لأشكل عليه الف مشكل بما معناه: ان الحسين دعته الأمة للإمامة وندبته لمناجزة الطغاة ولكنه قعد عن واجبه، وترك الأمة ترزح تحت سياط الطغات.

فقبوله بتلك الدعوة لا يتناقض مع علمه بأن الأمة سوف تتراجع عن نصرته أمام سياط الجلادين، وأن نهايته سوف تكون مأساوية؛ لأنه أساسا كان يسير نحو هذه النهاية التي أرادها بمحض إرادته. وعلى حد تعبير السيد الطباطبائي: فإن: ﴿علم الإمام عليه السلام بإذن الله بكل جزئيات الحوادث الماضية والآتية لا تأثير له على أعماله الإختيارية...﴾.

النقطة التاسعة: ولعل اختيار الحسين عليه السلام لأرض العراق ليكون منطلقا لنهضته، له عدة مسوَغات جديرة بالإهتمام، منها:

﴿١﴾ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، عيون أخبار الرضا، ط الأولى ١٤٠٤هـ، طبع ونشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، تحقيق: حسين الأعلمي، ج٢٦٨٢.

﴿٢﴾انظر: ابن كثير، اسماعيل ابو الفداء، البداية والنهاية، ج٨ص٢٨٠، م س.

﴿٣﴾ كان مصعب بن الزبير يرتجز ـ بعد أن خذله أصحابه ـ في مواجهة الأمويين:

وإن الاولى بالطف من آل هاشم   تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

انظر: ابن كثير، اسماعيل ابو الفداء،البداية والنهاية، ج٨ ص٣٤٦، م س.

أولا: استجابة لدعوة الكوفيين، وهذا واضح جدا.

ثانيا: إن للحسين أنصارا في مناطق أخرى من العراق كالبصرة التي بعث لزعمائها يدعوهم لنصرته.

ثالثا: إن الحسين عليه السلام لوذهب الى أي نقطة في الدنيا فإنه لن يحصل على العدد الذي حصل عليه من الأنصار من أهل العراق، فقد أثبتت الدراسات أن نصف شهداء الطف ـ تقريبا باستثناء شهداء أهل البيت ـ هم من أهل العراق[1]، الأمر الذي يؤدي الى تفنيد مقولة: أن العراقيين كاتبوه وخذلوه، بل إنهم تراجعوا امام سطوة الطغاة التي لايمكن تحملها عادة إلا لمن باع نفسه لله، وساعد على هذا التراجع عوامل أخرى تفاعلت لسنا بصدد بحثها الآن.

رابعا: لو أنه عليه السلام بقي في المدينة أو مكة لكان نتيجته الإغتيال مادام رافضا للبيعة، وقتله غيلة سوف لن يكون له الأثر الذي خلفه مقتله في كربلاء بتلك الطريقة البشعة بعد الحصار والعطش وسبي عياله والسير برأسه من بلد الى بلد.

خامسا: ولعل انتقال الحسين عليه السلام من مكة الى العراق فيه سر من الأسرار الإلهية التي كشف عنها الزمن، فلو أن الحسين استشهد في مكة لدفن هناك، ولكان قبره اليوم حفنة من الحجارة أسوة بقبر أخيه الحسن عليه السلام، وأبنائه زين العابدين والباقر والصادق ﴿عليهم السلام أجمعين﴾، ولَحُرمت الأمة من فيوضاته وعطاءاته. فشاءت الحكمة الإلهية واختارت له بقعة كربلاء ليكون وسط شيعته ومحبيه الذين يستمدون من العزم على مواصلة الدرب بعيدا عن النواصب من السلفيين الوهابيين الذين استباحوا حرمة مراقد المعصومين وعشرات الآلاف من الصحابة والصالحين في البقيع وغيرها، فكربلاء كانت وما تزال وستبقى منارا ومشعلا لطريق الأحرار الذين يحملون أهداف الحسين عليه السلام، أهداف الإسلام العظيم، ويرفضون الطغيان والعصيان والشيطان الرجيم.

﴿١﴾ انظر: المنهج، مجلة فكرية فصلية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر، السنة: الثانية، العدد: الخامس ﴿محرم ـ صفر ـ ربيع الأول﴾ ١٤٣٠هـ، ص١٨٣.

النقطة العاشرة: لايخفى أن الإمام المهدي عليه السلام يظهر في مكة، إلا أنه ينتقل الى العراق ومن العراق يبدأ الفتح العالمي، وتبدأ حركته بالتمدد شمالا باتجاه تركيا وما يليها وشرقا باتجاه ايران وما يليها، وغربا باتجاه بلاد الشام والحجاز وما يليها، وجنوبا باتجاه الخليج وما يليه... وزخم هذه الحركة برمتها من دم الحسين الطاهر عليه السلام كما سبقت الإشارة إليه، وهذا يعني أن العراقيين هم الذين سوف يحملون مشعل هذا الفتح العالمي، وما ذاك إلا لأن نفوسهم لكثرة البلآت والضغوطات ممحصة، وقربهم من الحسين عليه السلام وفّر لهم تربية حسينية خالصة.

والى هنا نكون قد وصلنا الى نهاية المطاف فإن كنا قد وفقنا في تقديم شيئا نافعا؛ فذلك هو المرجو ومنه تعالى التوفيق، وإن كنا قد أخفقنا فيكفينا أنا جمعنا كلمات هذه الثلة من الأعلام وتركنا الباب مفتوحا للقراء والباحثين والخطباء الحسينيين في أن يقولوا كلمتهم.

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، وله الشكر

النجف الأشرف
عبد الرزاق النداوي
٦/ربيع الثاني/١٤٣٠هـ

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. اضواء على ثورة الإمام الحسين، السيد الشهيد محمد الصدر، محمد، اصدار: مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر ﵁، تحقيق وتعليق: الشيخ كاظم العبادي الناصري.

٣. صحيح البخاري، البخاري، محمد بن اسماعيل، طبعة بالأوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول ـ ١٤٠١هـ، دار الفكر بيروت، الناشر دار الفكر بيروت، ج٤ص١٨٣، وص٢٠٩.

٤. اسماعيل ابو الفداء، ابن كثير، البداية والنهاية، ط الأولى ١٤٠٨هـ، طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، تحقيق: علي شري.

٥. علي بن عيسى، الأربلي، كشف الغمة، ط الثانية ١٤٠٥هـ، دار الأضواء ـ بيروت.

٦. علي بن موسى بن جعفر، ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ط الأولى، ١٤١٧هـ، مطبعة مهر.

٧. بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر، ط الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، طبع ونشر: مؤسسة الوفاء ـ بيروت.الأميني، عبد الحسين، الغدير، ط الأولى ١٣٩٧هـ ١٩٩٧م، طبع ونشر: دار الفكر ـ بيروت، ج١٠ص٣٢.

٨. مستدرك الحاكم، النيسابوري، محمد بن محمد، ط ـ ١٤٠٦هـ، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، تحقيق: د. يوسف المرعشي.

٩. مصباح المتهجد، الطوسي، محمد بن الحسن، ط الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، الناشر: مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت.

١٠. تاريخ الأمم والملوك، الطبري، محمد بن جرير، ط ـ سنة ـ، الناشر مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء.

١١. مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب، شير الدين، ط ـ ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م، الطبعة الحيدرية ـ النجف، تحقيق لجنة من أساتذة النجف.

١٢. أدب الطف، شبر، جواد، ط ـ سنة ـ.

١٣. معجم لغة الفقهاء، محمد قعلجي، ط ـ سنة ـ.

١٤. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، محمد حسين، ط الثانية، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، ، ج٨ص٣٠٨.

١٥. لواعج الأشجان، الأمين، محسن، ط ـ سنة ـ، الناشر: مكتبة بصيرتي.

١٦. الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب، ط الثالثة ١٣٨٨هـ، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ آخوندي، تحقيق علي أكبر غفاري.

١٧. تحف العقول عن آل الرسول، الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة،ط الثانية ١٤٠٤هـ، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، تحقيق: علي أكبر غفاري.

١٨. مقتل الحسين، المقرم، عبد الرزاق، ط الرابعة، مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف.

١٩. شيخ المضيرة أبو هريرة، محمود أبو رية، ط الثالثة ١٩٧٠م، طبع ونشر: دار المعارف ـ مصر.

٢٠. معجم البلدان، الحموي، ياقوت، ط ـ سنة ـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٢١. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم، ط الرابعة ٢٠٠٦م، منشورات: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٢. مقاتل الطالبيين، الاصفهاني، ابو الفرج ، ط: الثانية، سنة ـ، المطبعة: المكتبة الحيدرية في النجف، الناشر: مؤسسة دار الكتاب ـ قم، تحقيق: كاظم المظفر.

٢٣. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ط ـ سنة ـ، الناشر: دار صادر ـ بيروت.

٢٤. تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، ط ـ سنة ـ، المطبعة: دار صادر ـ بيروت، الناشر: مؤسسة ونشر فرهنك أهل.

٢٥. الأمالي، الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، ط الأولى ١٤١٧هـ، الناشر: مؤسسة البعثة، تحقيق: قسم الدراسات في مؤسسة البعثة ـ قم، ص٢١٧.

٢٦. مثير الأحزان، ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر، ط ـ ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م، طبع ونشر: المكتبة الحيدرية ـ النجف.

٢٧. مجلة الفكر الإسلامي، العدد السابع عشر، السنة الخامسة، محرم الحرام ـ ربيع الأول، ١٤١٨هـ.

٢٨. الحسين يكتب قصته الأخيرة، الروازق، صادق جعفر، ط الأولى ١٤١٧هـ ـ ٢٠٠٦م، طبع في مطبعة لسان الصدق ـ قم، الناشر: مكتبة الغدير.

٢٩. التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقية الهزيمة، الحائري، كاظم، ط ـ سنة ـ، الناشر: القسم الإعلامي في مكتب أية الله العظمى السيد كاظم الحائري ـ النجف الأشرف.

٣٠. مقتل الحسين، ابومخنف الغامدي، لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي ، ط ١٣٩٨هـ، المطبعة العلمية، الناشر: المكتبة العامة للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تحقيق: الحاج الميرزا حسين الغفاري.

٣١. الارشاد، المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العبكري البغدادي، ط ـ سنة ـ، طبع ونشر: دار المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٣٢. الإمام الحسين ـ سماته وسيرته، الجلالي، محمد رضا، ط ـ سنة ـ، طبع ونشر: دار المعروف ـ قم.

٣٣. اسرار الشهادة للدربندي، ط الحجرية.

٣٤. الأمالي، الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، ط الأولى ١٤١٧هـ تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم.

٣٥. حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ دراسة وتحليل، القرشي، باقر شريف، ، ط

الأولى، ١٣٩٥، طبع ونشر: مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف، ج٢ص٣٠١.

٣٦. الخصائص الحسينية، التستري، جعفر، ط ـ سنة ـ، دار الإعتصام، تحقيق: جعفر الحسيني، ص١٤.

٣٧. الإمامة والسياسة، الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ط الأولى ١٤١٣هـ، مطبعة أمير قم، الناشر: انتشارات شريف رضي ـ قم، تحقيق الأستاذ علي شيرى.

٣٨. البرهان في تفسير القرآن، البحراني، هاشم، ط الأولى المحققة ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، المطبعة: ستارة، منشورات: مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات ـ قم، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين.

٤٠. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، ط ـ سنة ـ، طبع ونشر: دار الفكر، تحقيق علي شير.

٤١. كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة، ابو فرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، ط ـ سنة ـ.

٤٢. المسائل الصاغانية، المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، ط الأولى ١٤١٣هـ، مطبعة: مهر، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية المفيد، تحقيق السيد محمد القاضي.

٤٣. فقه الرضا، القمي، علي بن موسى بن جعفر، ط ـ سنة ـ، الناشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا، تحقيق مؤسسة آل البيت.

٤٤. مستدرك الوسائل، النوري، الميرزا حسين، ط الثانية ١٤٠٨هـ، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٤٥. نهج البلاغة، خطب الامام علي عليه السلام، ط ـ سنة ـ، طبع ونشر: دار المعرفة بيروت، تحقيق: محمد عبدة.

٤٦. وسائل الشيعة، الحر العاملي، محمد بن الحسن، ط الثانية ١٤١٤هـ، مطبعة مهر ـ قم، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم.

٤٧. السيرة النبوية، ابو الفداء، اسماعيل بن كثير، الطبعة الأولى١٣٩٦هـ، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، تحقيق مصطفى عبد الواحد.

٤٨. ذوب النضار في شرح الثار، الحلي، ابن نما جعفر بن محمد، ط الأولى١٤١٦هـ، طبع ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم، تحقيق: فارس حسون كريم.

٤٩. اقبال الأعمال، الحسني، علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس، ط الأولى١٤١٤هـ، طبع ونشر: مكتب الإعلام الإسلامي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني.

٥٠. الأمالي، الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، ط الأولى ١٤١٧هـ تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم، ص٢١٧.

٥١. عاشوراء في فكر الإمام الخميني، إعداد ونشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٥٢. نهضة عاشوراء، الخميني، روح الله، ط الثانية ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ـ الشؤون الدولية.

٥٣. أهداف ثورة الإمام الحسين، الحائري، كاظم، ط ـ سنة ـ، اصدار: القسم الإعلامي في مكتب المرجع الديني سماحة آية الله العظمى السيد كاظم الحسيني الحائري ـ النجف الأشرف، ص٦ ومابعدها.

٥٤. علم الإمام ونهضة سيد الشهداء، الطباطبائي، محمد حسين، ط الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، دار المحجة البيضاء، ترجمة محمد رضا اللواتي.

٥٥. دروس في علم الأصول، الصدر، محمد باقر، ط الثالثة ١٤٢٦هـ، المطبعة شريعة قم، ، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، اعداد وتحقيق:لجنة التحقيق التابعةللمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، المجلد الأول، الحلقة الثانية.

٥٦. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين الجبعي العاملي

الشهيد الثاني، ط الثانية سنة ـ، تحقيق وتعليق السيد محمد كلانتر.

٥٧. حقيقة النهضة الحسينية، المطهري، مرتضى، ط ـ سنة ـ، اصدار: لجنة الأسبوع الحسيني ـ جمعية الثقافة الإجتماعية، ومن ترجمة صادق البقال. مقاتل الطالبيين.

٥٨. نظرة اسلامية حول عاشوراء، فضل الله، محمد حسين، ط الأولى١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع.

٥٩. محاظرات في الثورة الحسينية، الهاشمي، محمود، ط ـ سنة ١٣٦٢ش، المطبعة: نمونة، الناشر: مكتب السيد محمود الهاشمي.

٦٠. كامل الزيارات، القمي، جعفر بن محمد بن قولويه، ط الأولى ١٤١٧هـ، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر مؤسسة الفقاهة، تحقيق: الشيخ جواد القيومي ـ لجنة التحقيق.

٦١. تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي، ط الثانية ١٤٠٩هـ، الناشر: دار الأضواء ـ بيروت.

٦٢. أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، الصدر، محمد باقر، ط ـ سنة ـ، دار التعارف للمطبوعات ـ لبنان.

٦٣. المنهج، مجلة فكرية فصلية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر ﵍ ، السنة الثانية، العدد الخامس.

٦٤. مستدرك الحاكم، النيسابوري، محمد بن محمد الحاكم، ط ـ ١٤٠٦هـ، الناشر: دار المعرفة بيروت، تحقيق: د. يوسف المرعشلي.

٦٥. عيون أخبار الرضا، الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، ط الأولى ١٤٠٤هـ، طبع ونشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، تحقيق: حسين الأعلمي.

٦٦. موسوعة الشعر والادب الاصدار الخامس، قرص سي دي مدمج.

الفهرست

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٧
تقديم	٨
المقدمة	١١
السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره	
توطئة	٢٧
القسم الاول : علم الامام ونهضة سيد الشهداء	٢٧
هذا العلم لا تأثير له في العمل	٣٩
القسم الثاني : علم الامام العادي	٤١
موت معاوية وخلافة يزيد	٤٩
الامام وبيعة يزيد	٥١
اثر الامتناع عن البيعة	٥١
ترجيح الموت على الحياة	٥٢
اختلاف اسلوب الامام	٥٧
الخلاصة	٥٩
السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره	
توطئة	٦٣
التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقية الهزئمة	٦٤
مشاهد موت الارادة في المجتمع الحسيني	٦٧
التحول في اخلاقية الهزئمة إلى اخلاقية الارادة	٨٤
دقة التحرك في عملية التحول	٨٧
الامام الحسين عليه السلام يخطط لعملية التحويل	٨٨

شعارات الحسين عليه السلام في تبرير مخططه ٨٩
اساليب كسب اخلاقية الهزئمة ٩٣
الدرس الذي نستفيده من التخطيط الحسيني ١٠٠
الخلاصة ١٠١

السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره

توطئة ١٠٧
الاهداف المحتملة للحسين عليه السلام ١٠٨
الهدف الأول ١٠٨
الهدف الثاني ١١٤
الهدف الثالث ١١٥
الهدف الرابع ١١٦
الهدف الخامس ١١٨
الهدف السادس ١١٩
الهدف السابع ١٢٢
الهدف الثامن ١٢٧
الخلاصة ١٣٤

السيد روح الله الموسوي الخميني قدس سره

توطئة ١٤١
حقيقة عاشوراء ١٤٢
اسباب نهضة الحسينية ١٤٣
اهداف النهضة الحسينية ١٤٦
الخلاصة ١٥٠

السيد كاظم الحسيني الحائري دام ظله

توطئة ١٥٥
ثورة الإمام الحسين عليه السلام ١٥٥
آراء المفسرين ١٥٦
شهادة الامام الحسين عليه السلام انتصار كبير للإسلام ١٦٠
تقييم والرآيين ١٦٢
مناقشة صاحب كتاب الشهيد الخالد ١٦٤
الخلاصة ١٧١

الشيخ الشهيد مرتضى المطهري قدس سره

توطئة ١٧٥
النص ١٧٦
منطلقات الثورة أو العلل الفاعلة ١٨٢
خطأ فادح ١٩٣
الخلاصة ١٩٨

السيد محمد حسين فضل الله دام ظله

توطئة ٢٠٣
أسلمة عاشوراء ٢٠٣
السياسية أساس في حركة الاديان ٢٠٦
المضمون العاشورائي ٢٠٧
دراسة السيرة عملياً ٢١٤
الخلاصة ٢١٤

السيد محمود الهاشمي الشاهرودي دام ظله

توطئة ٢١٩
المحاضرة الثانية ٢٢٠
النظرية الأولى - التفسير الغيبي ٢٢١
التحفظات حول التفسير الغيبي ٢٢٣
النظرية الثانية - التفسير السياسي ٢٣٥
المحاضرة الثالثة ٢٣٧
امتياز التفسير السياسي على التفسير الغيبي ٢٤٠
أدلة النظرية السياسية ٢٤٢
التحفظات اتجاه التفسير السياسي ٢٥٧
المحاضرة الرابعة ٢٥٤
النظرية الثالثة - التفسير الرسالي ٢٥٤
تفسير سيدنا الشهيد الصدر لدوافع الثورة الحسينية ٢٥٩
الخلاصة ٢٧٠
المصادر ٢٨١
الفهرست ٢٨٧

إصداراتنا

١. الجهاد.
٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٣. أحكام الدخان في شهر رمضان.
٤. توقيع اليد العليا
٥. فقاعة الظاهرة الفرعونية.
٦. خواطر وذكريات (١ – ٢).
٧. شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام.
٨. أضواء على ثورة الحسين عليه السلام.
٩. خواطر وذكريات (٣ – ٤).
١٠. منهج الصالحين (خمسة أجزاء).
١١. مباني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
١٢. الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣م.
١٣. منية الصائمين.
١٤. القبلة في فكر السيد الشهيد الصدر قدس سره.
١٥. الإمام المهدي وبعده المعرفي.
١٦. فقه الأخلاق.
١٧. أضواء على منبر الصدر (ثلاثة أجزاء).
١٨. شرط الشجاعة في مرجع التقليد.
١٩. مفهوم الحرية في فكر السيد الشهيد الصدر قدس سره.
٢٠. البحث القرآني عن السيد محمد الصدر قدس سره.
٢١. الثورة البيضاء.
٢٢. أحسن القصص من حياة المولى المقدس (الحلقة الأولى).
٢٣. منة المنان في الدفاع عن القرآن.
٢٤. الإستشراق والتبشير.
٢٥. أهداف نهضة سيد الشهداء في كلمات الفقهاء.

٢٦ عجائب الكون من فكر الشهيد الصدر الثاني ﭬ.

٢٧ أين نحن من الصدر؟!!

٢٨. مسائل في الحجاب.

٢٩. ما تمناه الصدر الأول وحققه الصدر الثاني.

٣٠ شذرات من سيرة السيد الشهيد محمد الصدر ﭬ.

٣١. احسن القصص من حياة المولى المقدس الحلقة الثانية.

٣٢. البحث اللغوي في المشتق

٣٣. إشكالية المثقف الديني بين سندان التقليد ومطرقة الحداثة.